رحلة إلى يافع

أو

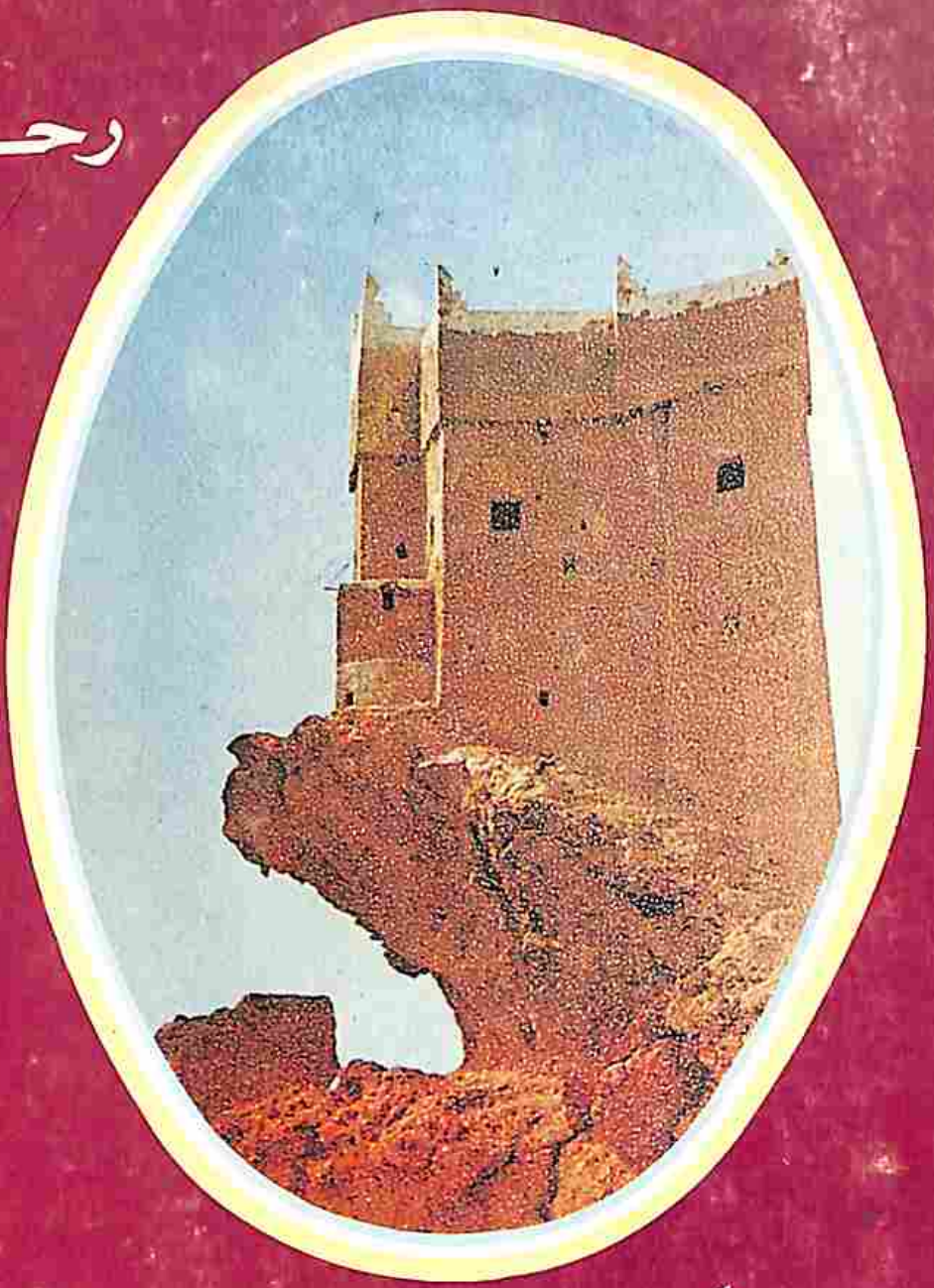

يافع في أدوار التاريخ

المؤلف:

الشيخ عبدالله بن أحمد بن محسن الناخبي

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

هدية للطالب المجد
محمد بن ابي بكر باذيب
للذكرى والدعاء
من المؤلف عبد العزيز الخيي

تاريخ الشراء ١٤١٨/٩/٢٨هـ

مكتبة
محمد أبو بكر باذيب
التاريخ ١٤١٨/٩/٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف

رحلة إلى يافع
أو
يافع في أدوار التاريخ

المؤلف:

عبد الله بن أحمد بن محسن الناخبي

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الإهداء

إلى روح والدي ووالدتي اللذان هما سبب وجودي واللذان سهلا لي سبيل التعليم والتعليم.

وإلى أبناء بلدتي أهل بن ناجي الكبير منهم والصغير الذين لهم الفضل في إخراج هذا الكتاب.

وإلى أبناء يافع عمومًا لعلهم يذكرون ويتذكرون.

وإلى أصدقائي بحضرموت الذين أعمروني بالإحسان إليهم جميعًا أهدي هذا الجهد المتواضع.

المؤلف

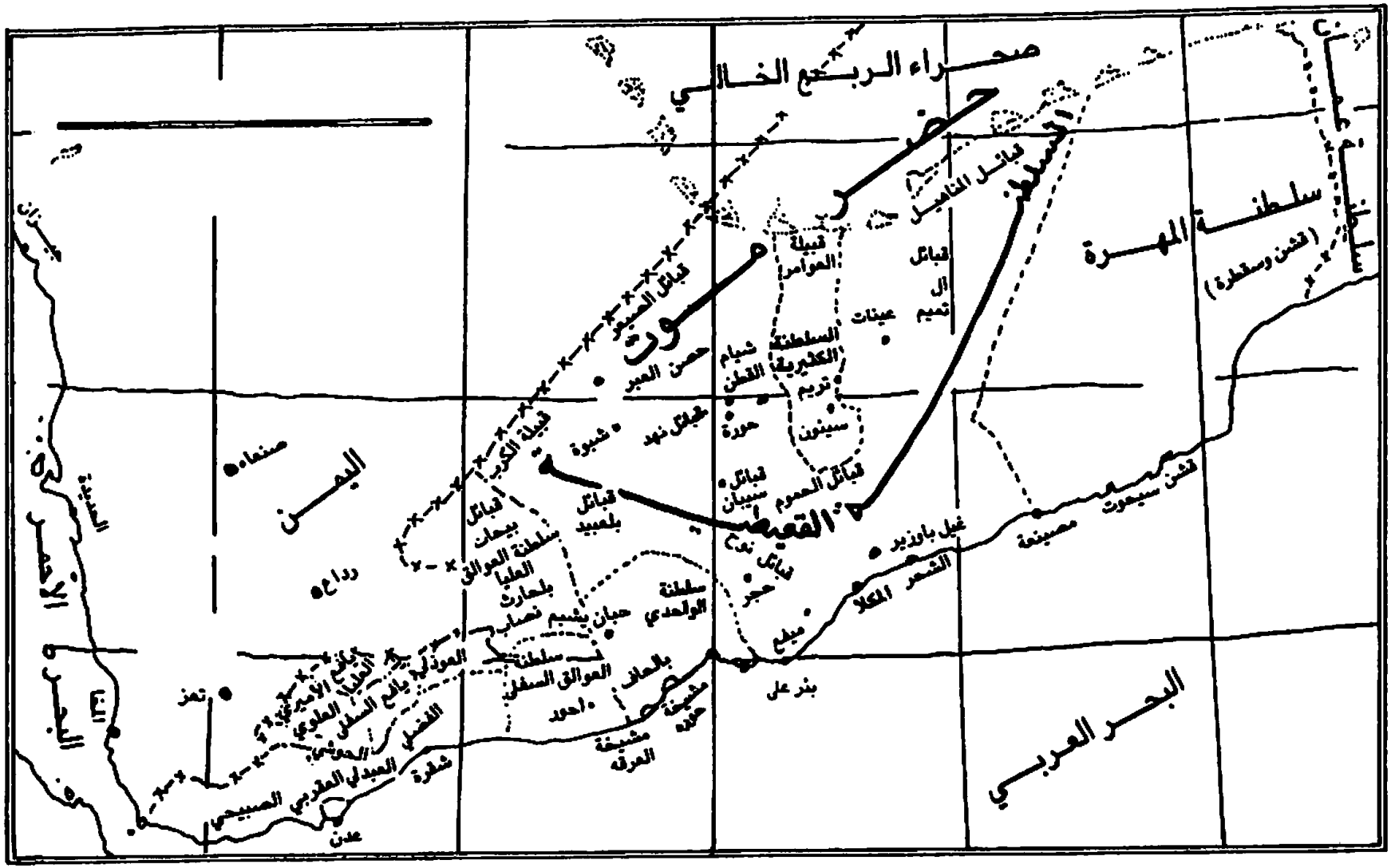

التقسيم الإدارى لحضرموت وإمارات الجنوب العربى مع قبائلها الرئيسية

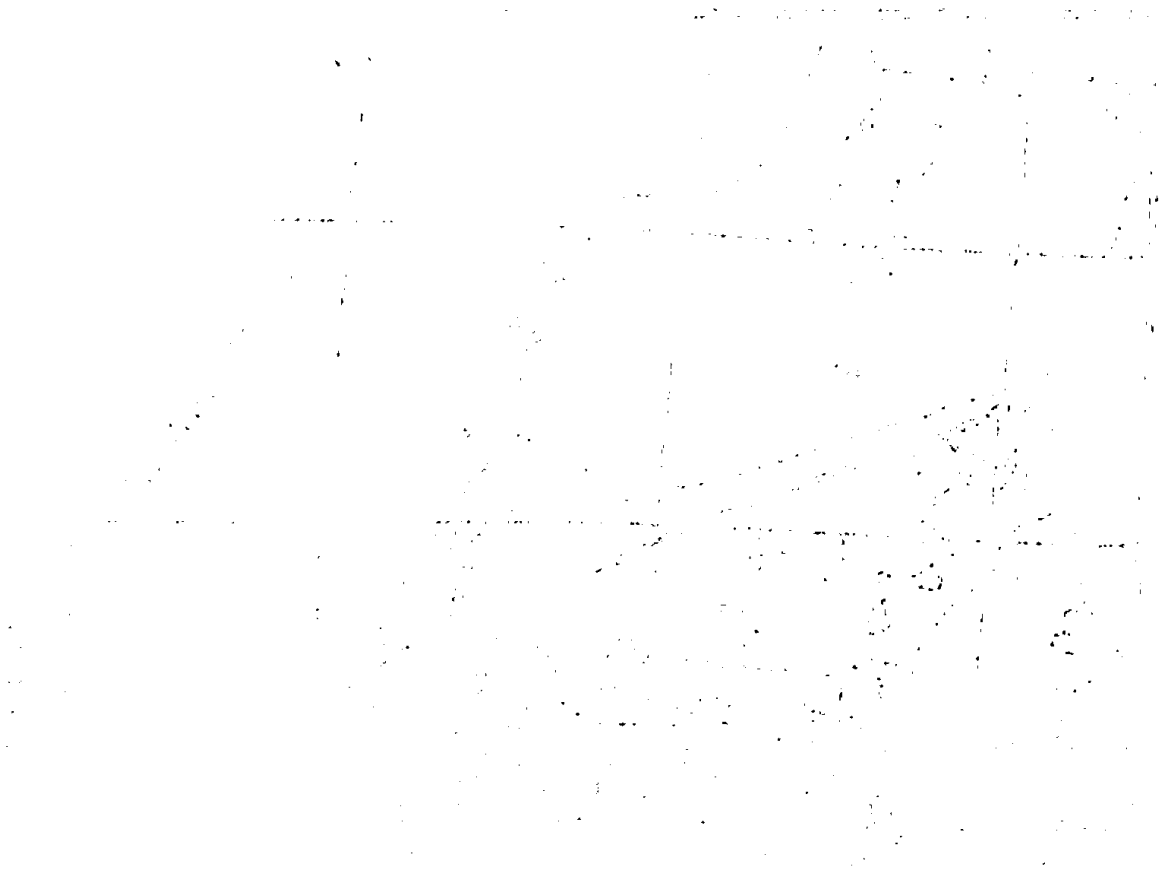

مقدمة

جمعت في هذه الرحلة ماتيسر لي جمعه لكي يعرف اليافعى مكانته بين الشعوب.

ولكى يعرف إخوانه العرب والمسلمون أن اليافعى أسهم إلى حد كبير في بناء الامبراطورية الإسلامية وليدرك كل شعب ان من لاتاريخ له لا حياة كريمة له ومن لا ماضي له لامستقبل له.

والتاريخ اليافعى تعرض إلى تجاهل أو اخفاء ماله من خصائص وقد نجد ماعليه وباسهاب في بعض الفترات من الزمان ويكاد تاريخ يافع ان يفقد ويضيع بين ذكاء المؤرخ اليمنى ودهاء المؤرخ الحضرمي إلا أن الحق لايعدم النصير ولو بعد حين.

واننى إذ أقدم هذه المعلومات كمحاولة مضنية فاننى آمل ان يمد الله في العمر لاقوم بزيارة إلى ربوع يافع لتمكننى من جمع المزيد من تاريخ يافع ولكى اقف على الأوضاع الراهنة ولاشاهد البلدان والقرى والعالم والآثار على الطبيعية وأرجو أن يهيء الله الأسباب ويمدنى بعونه لاخراج كتاب يضم معلومات وحقائق لعلها تحفى أبناء يافع خاصة وأبناء الصاد عامة لمواصلة البحث والتنقيب واستقصاء الحقائق التاريخية ليضم مايمكن ان يتوصلوا إليه إلى أصله العربى على امتداد مواطن العرب والمسلمين.

وليكون مادة طيبة تغذي الفكر العربى وتلهمه مصادر الخير والقوة والمعرفة وليكون جسراً يؤدى إلى احياء تراث الآباء والأجداد وتخليد اسماء وأعمال أولئك الأمجاد الذين ضربوا أروع المثل في العلم والمعرفة والشجاعة والنجدة والآباء.

وما أسرة الإمام الشيخ عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعى إلا مثلاً حياً للأسر اليافعية.. في ميدان العلم والمعرفة.

وماحسان بن زياد اليافعى إلا علماً واحداً من أعلام البطولة المتوفرة في يافع.

وما الحكومات التى تكونت في لحج وعدن وحضرموت إلا دليلاً ناصعاً لما لهذه القبيلة اليافعية من أمجاد وتاريخ ومجد.

وأين اتجهت وأين ذهبت تجد أن رجالات يافع يتمتعون بميزات عربية ذات طابع عربى تنم عن أصالة وكرم وسمو.

وانني اختصر القول هنا وأدع القلم يستريح إلى حين ويسرنى ان اتقدم بالشكر من كل قلبى إلى أولئك الذين شجعونى وساعدوني وقاموا بدور مشكور في التصحيح والمراجعة والتقريط ومن أمدنى بالمعلومات فلهم جميعا منى الشكر الجزيل والثناء الدائم.

المؤلف : عبدالله بن أحمد بن محسن الناخبي

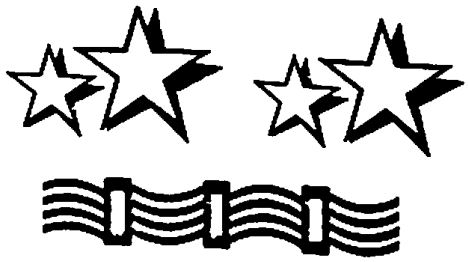

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن والاه وبعد فهذه خواطر سجلتها ومعلومات دونتها أثناء سفرى إلى جبل يافع وبالذات إلى ذى ناخب إلى بلدتى ومسقط رأسى حُمْحُمَة عاصمة أهل بن ناجي عمر بن عبدالرب بن أحمد بن ناجى أرجو ان أوفق إلى سرد معلومات تبقى ذكراها وإلى فوائد يستفيد منها راغب المعرفة لشىء عن هذا الجزء العربى الحبيب المجهول للكثير من العرب أو على الأقل يكون لى مذكرة وذكرى ولبنى قومى تذكره وسلوى وبالله الاعانة ومنه التوفيق.

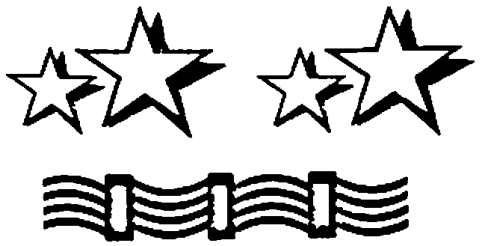

التأهب للسفر

كان يوم الاثنين ٣٠ محرم عام ١٣٩٠هـ هو اليوم المحدد للسفر حيث غادرت المكلا ومعى الشاب النبيل عبدالله قاسم بن جبران في طريقنا إلى مطار الريان ومنه استقليت الطائرة إلى عدن[١] وتخلف عنى عبدالله قاسم في انتظار طائرة حكومية وكانت ظروفى قاسية إذ كان ابنى أحمد ووالدته في الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج وابنى محسن في بغداد لاكمال دراسته هناك وكنت اشعر بالضيق والألم من الفراق وكربه وكنت اتمثل بقول الشاعر :

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب

فكيف لي وقد ودعت الشباب وفارقت الأحباب وزحفت الشيخوخة بمنغصاتها وعوارضها واحداثها وكنت اتخوف من عناء السفر وويلاته وعذابه لولا ان الولد عبدالله قاسم كان مصراً على سفرى وهون علىَّ الأمر فما وسعنى إلا أن استسلم لرغبته فجد عزمى متوكلا على الله. وبدأت عوامل الذكريات تنوشنى والأشواق تحركنى والحنين إلى مراتع الطفولة تثيرنى وتدفعنى لرؤية بلدتى حمحمة الجميلة فكان شوقى إليها شوق الغريب إلى وطنه والفصيل إلى عطنه فبينما أنا غارق في الذكريات وتحت وطأة الأشواق قاطعنى السيد المفضال عبدالله بن أبى بكر المحضار الذي تشرفت بمعرفته بمطار الريان وكان إلى جانبى في الطائرة وكان التعارف وكانت احاديثنا برهة من الوقت حول المكلا وعدن وفيما يتعلق بالسفر وسار الصمت برهة. فإذا بالمضيف يشير إلى الأحزمة وهبطت الطائرة بمطار عدن الدولى حوالى الساعة الثانية وثلاثة أرباع الساعة وأبى كرمه إلا أن أكون بصحبته إلى منزله العامر وقدم لنا ماتيسر من المأكولات وقضيت معه برهة من الوقت ثم

---

(١) غادرت المطار الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين.

استأذنته وتحركت بى سيارته إلى منزل الأخ الفاضل عبدالقادر بن محمد الشرفى وقابلنى كما هى عادته بالترحيب والحفاوة ماجعلنى اشعر باننى بين أهلى وفي منزلى وشـاء فضله وكـرمه مبالغة منه في الحفاوة بي ان عطل عمله وأولانى كل رعايته وعنايته وان لسانى ليعجز بالثناء عليه فجزاه الله عنى خيراً.

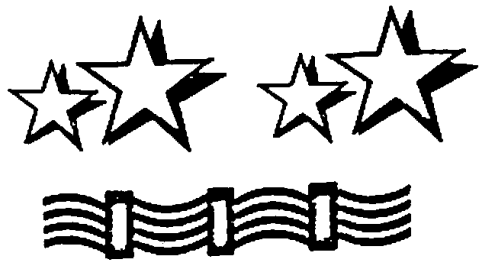

ثلاثة أيام في بيت الشرفي

الشرفي معروف بعدن والمكلا ويافع، معروف باخلاقه وحسن معاملته معروف بصدقه وأمانته ووفائه معروف بخدمته لصالح أصدقائه ومعارفه أنه الرجل الذى لاتفارق الابتسامة شفتيه حتى في أحلك الظروف واقسى الأزمات وفوق ذلك فهو رجل عمل لايكل ولايمل وله خبره ودراية في الشئون التجارية يعتمد على نفسه في كل أعماله لذا فتراه في حركة دائبة وقل ان تفوته المعرفة بأكثرية الناس وله مكانة مرموقة لدى الهيئات التجارية والمؤسسات والمكاتب وتراه مع العمال في مرح ومزح وهو إلى جانب ذلك محب للصدقات وله خبره بالمستحقين من الفقراء والمساكين يعطى صدقاته لمن يستحقها بكل تكتم وسرية وهو الحانى على اخوانه وأقاربه الساعى لاجلهم في الأمور التى تعود عليهم بالنفع.

ومن حسن الحظ ان يكون منزلى بالمكلا مجاوراً لمنزلهم وبفضل هذا الجواد والصداقة المتينة بينى وبين الشهم عبدالحافظ محمد فضلت أن يكون نزولي في منزلهم بعون ولم يألو جهد الشيخ عبدالقادر بن محمد في توفير الراحة لى فجزاه الله عنى خيراً.

عـــــدن

عهـدى بعـدن كان منذ عام ١٩٤٧م وقد تعرفت آنذاك على بعض أجزائها ومعالمها أما اليوم وبعد مضى حوالى ٢٣ عاما لى من زيارتها فقد اتسعت رقعتها وازدحمت بعماراتها وقصورها ومساجدها التى جددت أو أسست على أحدث طراز لقد أصبحت الصحراء الجرداء سابقا مكتظة بالمبانى عامرة بالسكان وتكاد المنطقة التى تشمـل الشيخ والمعـلى والتواهى والمنصورة أن تتصل ببعضها لتكون مدينة واحدة أما عدن التاريخية فشهرتها معروفة جاهلية وإسلاماً وقد ظلت مطمح انظار الفاتحين والغازين من شرقيين وغربيين وشهدت حوادث عديدة ورهيبة وظل أهلها بين مد وجزر وتداولتها حكومات متعددة قريبة منها وغريبة عنها وانتهت اليوم إلى حكومة الثورة وأصبحت عاصمة الجمهورية وميناؤها من أشهر الموانىء في الشرق العربى ويتسع لعدد من البواخر مختلفة الأحجام لقد شاهدتها ولم استطع ان أكون فكرة صحيحة عنها لقصر المدة إذا الواقع ان مكثى في عدن لايتجاوز ثلاثة أيام فقط ولم تكن مفيدة لى ولكنى شاهـدت في خلالها الصهاريج التاريخية والمتحف وتجولت في السيارة في أجزاء من المعلى والتواهى والمنصورة والشيخ عثمان ودار سعد وكانت جولة خاطفة تمكنت من رؤية مسجد النور بالشيخ عثمان ومسجد الرضى بالمنصورة وشاهدت محلات التجارة والمطار الدولى ولاحظت كتابات على بعض العمارات بالخط الكبير تظهر منها بوضوح كلمة مؤممة وفهمت إنها البنوك الموجودة بعـدن ولافتات أخرى على بعض العمارات تشير إلى مراكز حكومية وحاولت ان التقى ببعض الأصدقاء ولم اتمكن غير صديق واحد هو فرج بن غانم التقيت به صدفة في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل بالمطار وكانت بالنسبة لى فرصة سعيدة وكانت أكثر جلساتى بمكتب السيد عامر بن عبدالله بن مخاشن وقابلت صديقى الشيخ هادى بن محمد العزاني مرات واخاه الشيخ شيخ بن محمد.

وعدن غاصة بابناء الجنوب والشمال وغيرهم وهم يترقبون عودة النشاط التجارى وكلهم آمال وأحلام والطوالع تبشر بخير ويقول بعضهم ان الأزدهار للتجارة لن يكون إلا بتشغيل رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية واقامت شركات وبنوك أهلية تتحمل مسئولية التصنيع والأعمار والاصلاح الزراعى تحت إشراف ومراقبة ومساهمة الدولة وان فائض الأرباح إذا خصم منه بنسب معينة سيكون له الأثر الكبير في انشاء القرى وتعبيد الطرق وتوسيع المقاطعات الزراعية وعلى الدولة ان تسهم في تسويق الانتاج وجلب مايتطلبه المواطنون من الطلبات ريثما يتمكن السكان من الاكتفاء الذاتى من إنتاج وصنع بلادهم وهى وجهة نظر من وجهات نظر أخرى ولاحظت أثناء ذهابى وإيابى مشروع تعبيد الطريق الموصلة إلى أبين من عدن بدلا من طريق الساحل والعمل فيها جاد على قدم وساق.

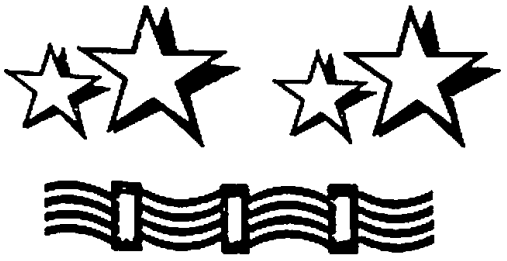

تاريخ عدن

فقد الفت الكتب الكثيرة في ذلك وتقول انها من أقدم أسواق العرب وذكروا إنها شبه جزيرة على ساحل البحر في دلتا وادى لحج وعندها ينتهى مخلاف لحج وهو منتهى اليمن كما قال الشاعر :

تقول عيسى وقد وافيت مبتهلات ... لحجا وبانت لنا الاعلام من عدن

امنتهى الأرض ياهذا تريد بنا ... فقلت كلا ولكن منتهى اليمن

ويقـول ابن خلدون كان من حمير. . ابين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير وإليه تنسب عدن ابين وهى أعظم المراسى باليمن وهى خزانة ملوك اليمن ومحط رحال التجار ولم تزل بلد تجارة من زمن التبابعه إلى زمننا هذا وهى ملتقى المحيط الهندى والبحر الأحمر ونافست تجارتها تجارة القسطنطينية على عهد الرومان مما عرضها لهجوم الرومان وتدميرها ولكنهم عادوا واحتلوها وجعلوها مركزا تجاريا مهما واطلقوا عليها اسم رومانيوم امبوديوم أى مخزن الرومان وشهرة عدن معـروفـة عالميا واشتهـرت أيضـا بأدبـائهـا وعلمائها ومنهم الأديب العندى والتكريتى واشعارهم مدون البعض منها في كتب التاريخ والأدب واقتصر على هذه الإلمامة الموجزة ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتب التاريخ المطولة .

من عدن إلى يافع

اشعرنى الولد عبدالله قاسم بان السفر إلى يافع تقرر يوم الخميس ٣ صفر عام ١٣٩٠هـ بعد الظهر وعلينا أن ننقل امتعتنا إلى الشيخ عثمان حيث ستكون السيارة في انتظارنا هناك وفعلا حزمنا امتعتنا ومعنا الشيخ عبدالقادر بن محمد الشرفى وركبنا سيارة أجرة إلى الشيخ عثمان ومكثنا برهة من الوقت في محل الكهالى تمكنا من زيارة سوق الخضرة وتأدية فريضة الظهر بمسجد النور وعدنا إلى محل الكهالى وفي اثناء جلوسنا كان في الناحية المقابلة شخص لم اتشرف بمعرفته إلا أنى أجد في نفسى شعوراً يدفعنى إلى السؤال عنه ولكن أحد الحاضرين فاجأنى قائلا هذا صديقك عمر بوبك أخو عبدالله بوبك القحيم ووجه الخطاب إليه قائلا هذا الشيخ عبدالله أحمد الناخبي وكانت مفاجأة سارة وكان من أهم أغراض السفر زيارة محلهم في جعار وهذه الصداقة القديمة تمت عن طريق المراسلة وقام كل منا وعانق صديقه وبدأ في توسلات حارة يريد مرافقتى له إلى جعار ولم نكد نقلت من قبضته إلا بعد توسلات منا ولاسيما وامتعتنا على السيارة وتخلصنا منه بعد جهد حيث أن أخاه مازال معتقلا وعند العودة من يافع سوف أمر عليه في جعار أملاً أن التقى بأخيه وفي الساعة الثانية بعد الظهر أشير علينا بركوب السيارة.

في السيارة

أخـذ كل منـا مقعـده في السيارة وقد خصصت لي ولعبدالله قاسم المقعدان الأماميان متوكلين على الله وكان سائقها ومالكها طالب صالح ومساعده وهما من أظرف من عرفنا وفي نفس الوقت فهما من أقرب الناس إليَّ وتحركت السيارة باسم الله واتجهت بنـا نحـو السـاحل الطريق المعبد الطبيعى وكان منظر البحر رائعاً والسيارة تطوى الساحل بسرعة فائقة ولم نشعر بشيء من التعب الذى كنت اتوقعه وفي نقطة معينة من الساحل أدار السائق عجلات السيارة إلى جهة الشمال فإذا نحن نشاهد أمامنا طريقا معبده وبعد دقائق معدودة شاهدنا تقاطع طرق يتجه خط منهـا إلى الكـود فجعار وخط يتجه شرقا وهو خط سيرنا وظهرت أمامنا الحدائق والأشجـار الباسقة المنتشرة هنا وهناك وعلى جانبى الطريق وقيل لي هذه مزارع زنجبـاد وما انهى محدثى حديثه حتى ظهرت مدينة زنجباد ومرت بنا السيارة في شارع منها وتوقف أمام مقهى لتتزود بالوقود ولم نتمكن من التجول فيها وكانت الساعة تقارب الثالثة والربع بعد الظهر وتحركت بنا السيارة نحو شقره في طريق معبدة وكنت قد عرفت شقره سابقا ووصلنا إليها حوالى الساعة الرابعة والنصف ومكثنا بها حوالى ثلاثة أرباع الساعة ثم استأنفنا السفر متجهين إلى الشمال الشرقى في طريق معبده وقطعنا عقبة العرقوب ومازالت الشمس في سياق معنا وقبل ان تغرب انحرفت السيارة بنا عن الطريق المعبدة إلى طريق ذكرتنى بجول عبيد وريدة المعاره وقيل لنا هذه الطريق إلى يافع وشاهدنا قرية امصره وقد تبينا جماعة كانوا يتجولون حولها عرف الولد عبدالله أحدهم وبعد المغرب وقفت بنا السيارة بالقرب من قرية أم حرا وبعدها مررنا على قرية الماجل ثم الصعيد التى مكثنا بها حوالى نصف ساعة للراحة ولشرب اكواب البن والشاهى ثم واصلنا سيرنا حتى هبطنا إلى السيلة البيضاء.

ليلة السيلة البيضاء

عندما هبطنا إلى السيلة البيضا كنا نسمع هزيم الرعد ولمعان البرق وفي مكان اشبه بالتـل اشـار علينا سائق السيارة بالانتظار خوفا من السيل وكانت تراقفنا سيارة أخرى ملك بن متاش اليافعى ولم نلبث إلا يسيراً حتى هطلت علينا الأمطار بغزارة وحالاً قام الجميع بتغطية السيارتين «بطربال» كان الولد طالب قد استعد به ولم نمكث إلا يسيرا حتى سمعنا صوت السيل المدمدم فحمدنا الله على السلامة وفي الصباح كان السائق أول من توجه إلى الوادى فعاد يحوقل ويهلل من عظم السيل والذى لم يشاهد مثله كما قال وقمنا بدورنا إلى مجرى الوادى لنتوضأ لأداء فريضة الصبح فرأينا ما هالنا من عظم السيل الذى كان ارتفاعه أكثر من متر ونصف على مستوى الوادى الذى يقدر عرضه بحوالى ستين مترا على وجه التقريب ان لم يكن اكثر وبعد أداء الفريضة تحركت بنا السيارة متجهة في نفس الوادى تبحث لها عن طريق لأن السيل لم يترك أثر الطريق التى كانت معروفة من فعل السيارات ويقوم مساعد السائق بعمل شاق أمام السيارة يدحرج الصخور الكبيرة من أمام السيارة وبعـد أن قطعنا مسافة لابأس بها شاهدنا عددا من السيارات متجهة إلى عدن وعددا من رجالها يزيحون الصخور الكبيرة من أمامها وصادف ان أحدا من أهل بلدتنا كان مع النفر الذاهبين إلى عدن بسيارته فصاح بن عبدالله قاسم هل معكم أكل انقذونا فأننا بدون أكل منذ غداء الأمس فبادر صاحبنا وقدم لنا مالديه من خبز البلاد وكم كانت فرحتى لرؤية قرص الخبز من صنع بلدتى والذى طال عهدى بين رؤيته وذوقه مايقارب ٤٢ عاما والتهمناه بشهية وحمدنا الله الذى اطعمنا بعد جوع ومن حسن الحظ ان السيل لم يكن من فروع الوادي البعيدة ولكنه كان من وادٍ لم يكن بالبعيد مناً مع ان هذا الوادي المسمى بالسيلة البيضا من اطول الأودية في هذه المقاطعة وتصب فيه عدة من الأودية الجانبية وتقطعه السيارة واعنى الجزء

الـواقـع على الطريق حوالى خمس ساعات بالسيارات الصغيرة لاندروفر كالتى نستقلها وبعد ان قطعنا السيلة البيضا وانحرفنا إلى واد من الفروع التى تصب إليها ويسمى أم دقيقة انتهينا منه إلى عقبة معبدة بعض الشىء واجتزناها وهبطنا واديا صغيرا وصلنا منه إلى سبيح عاصمة الشقى ومنه إلى حبيل تي الحبيل ومايسمى اليوم بسباح ولبثنا فيها برهة من الوقت شربنا أكواب البن والشاهى حيث اصبحت سوقا ومركزا مهما للقوافل ثم واصلنا السفر وبعد دقائق معدودة لاحت لنا الجبال التى كنا قد عرفناها وكأن لسان حالها يقول أهلا وطأتم سهلا ونحن نردد قول الرسول الكريم حيثما عاد من غزاة وشاهد جبل أحد قال هذا جبل يحبنا ونحبه وهنا تعود الذكريات الممتعة ذكريات الطفولة ذكريات الاتراب وفي مجرى الوادى الرئيسى حيث تنساب المياه مياه الغيل على وجه الأرض وقف محرك السيارة.

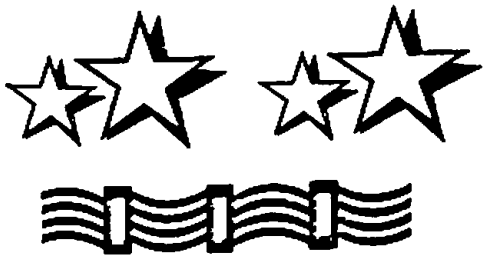

محـــــوال

إننا الآن باطراف محوال أول ربوع الآباء والأجداد وفي وسط المياه الجارية حيث وقفت السيارة امتدت الأيدى لتناول الحقائب وأخذ البعض يفيض الماء على بدنه في أحد الغدران ثم بعد ذلك أخذ يقلب بدلاته الجديدة ليختار أيها أفضل لمقابلة الأهـل والـولـد والأصدقاء أما أنا فلم أغير من ملابسى واكتفيت بالوضوء فقط استعدادا لأداء فريضة الجمعة وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ٤ صفر وتركت رفقاء السفـر في مكانهم وتقدمت مشيا على الأقدام حتى قطعت مسافة لابأس بها ثم عمدت إلى صخرة فجلست عليها وإذا بشاب آت من حديقة له وقطع الوادى إلى حديقة أخرى فلما رأنى سلم علىَّ ورديت عليه التحية ودارت بينى وبينه هذه المحاورة :

قال : من أين أنت

قلت : من حمحمة

قال : لا .

قلت : ولماذا لا .

قال : من ال من أنت .

قلت : من أهل بن ناجى .

قال : من أهل بن ناجى .

قلت : نعم .

قال : واسمك من .

قلت : عبدالله أحمد .

قال : بن محسن عبدالرب .

قلت : نعم .

فوثب نحوى قائلا : أنا أحمد حسين.

قلت : ابن حسين مَن.

قال : بن حسين قاسم.

فما وسعنا إلا أن تعانقنا طويلا وكادت تطفر الدموع من الأعين إذ هذا الشاب من أقرب الناس لي نسبا. يجمعنى واياه الجد على ناجى وإذا بالسيارة مقيلة والركاب في أحسن ملابسهم ثم ودعته على ان نلتقى بالبلاد وركبت السيارة وهى تمر بنا على حدائق البن التي قد عرفناها في محوال ثم اسفل ثلب ثم مضيضه وقمزان ثم حمحمة وتحت ديارها وفي سيلة شباب وقفت السيارة.

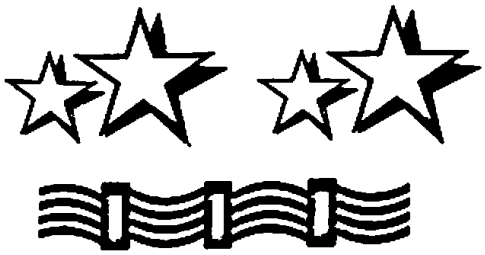

المفـاجـــــأة

وقفت بنـا السيارة في سيلة شباب وكان أول المستقبلين انجال عبدالله قاسم ولحق بعدهم والد عبدالله الأخ قاسم بن جبران وماكاد يعانق ابنه حتى اشار إليه نحوى وان يسلم على فرفع صوته بدون شعور الشيخ عبدالله أحمد أهلا وسهلا وظل يكررها وكانت مفاجأة للاخوة أبناء بلدتى وأخذت الأصوات تتساءل هو هو فما ان تأكدو من حقيقة وجودى بينهم حتى هبوا سراعا إلى سطوح منازلهم وأخذوا يطلقون العيارات النارية بدون شعور وذلك علامة الفرح وشارة الترحيب وكان قد حان وقت صلاة الجمعة فذهبت رأسا إلى المسجد وتجمع المواطنون وطلبوا منى ان القى خطبة الجمعة فاستجبت لطلبهم والقيت خطبة ارتجالية تأثر لها الحاضرون وتـأثـرت انا بها لأنها استعراض على الحث بالعمل الصالح والتذكير بمن كنت اعرفهم منذ ٤٢ عاما وأين هم اليوم وقد كانوا للمجالس غرة وللعيون قرة إلا أننى اشاهد أبناء أولئك الأبطال وارجو ان يكونوا خير خلف لخير سلف وبعد الصلاة القيت خطبة وعظية ثم ذهبت إلى بيتنا المتواضع ذلك البيت الذى تشدنى إليه ذكريات الطفولة إذ به كان مسقط الرأس وما ان ظهرت أمام باب المسجد حتى عاد اطلاق النار مرة أخرى حتى دخلت المنزل وامتلأ المكان بالمرحبين وبعد أخذ بعض الراحة اشير على بالتحرك إلى بيت أبناء المرحوم محمد حسين الذين تربطنى بهم قرابة من جهة جدتهم أم والدهم التى هى عمتى شقيقة والدى علاوة على الصلاة الأخرى وكان المرحوم بطلا مقداما معروفا في الأوساط اليافعية وابناؤه ورثوا منه الشهامة والبطولة والكرم وهم يرون ان أول ضيافة ينبغى ان تكون من قبلهم وكانت فرصة ثمينة حيث التقيت بالشاب الواعى سالم محمد الذى سيغادر البلاد بعد يومين اثنين في طريقه إلى ألمانيا الشرقية للدراسة وأما إخوانه عبدالرحمن الذى قد عرفنـاه سابقـا واخوه حسن فقد كثرت اللقاءات بيننا واجتمع شمل الاخوة وتناولنا الغداء ثم عدنا إلى منزلنا لأخذ قليل من الراحة وقبيل المغرب ذهبنا إلى

المسجـد لأداء فريضة المغرب ورتبت لهم ثلاثة أحاديث دينيه بعد المغرب وبعد الظهر وبعد العصر من كل يوم مدة اقامتى .

اليوم الثانى ٥ صفر

خرجت اتجول مع بعض الاصدقاء إلى المحل المسمى المقطوع لمشاهدة غرس البن والذى لنا به عدد من الغراس ومن الاصدقاء الأخ قاسم بن جبران وصديق الصبا ورفيق الطفولة على محسن ثم ذهبنا إلى حديقة البرقة لمشاهدة بعض غراس لنا بها وبعد ان تجولنا برهة من الزمن عدنا إلى المنزل وقد طفنا في طريقنا بعض الحدائق العامرة ملك أهل بن ناجى .

اليوم السادس والسابع والثامن والتاسع من صفر

وفي يوم ٦ و ٧ و ٨ و ٩ كان لقائى مع شركائى في مزارع اسفل ثلب وهم الاخوان حسين ومحمد أبناء صالح محسن بن سعيد عامر وكانت هناك اخطأ طال امـدهـا نظرا لغيابى وكانت من الأسباب الداعية لسفرى إلى يافع وبفضل الله وبفضـل التجاوب من الاخوان وبفضل التعاون المخلص من المرافقين لى وهم محسن على وعلى محسن استطعنا ان نصحح الاخطاء ورتبت الأمور على أحسن مايرام .

اليوم العاشر من صفر

ويوم ١٠ من صفر كان يوجد نزاع على سقى بعض المزارع من أحد أشعاب مزارعنا الثلاثة ورتبت لهم نظام توزيع الماء وانتهت المشكلة التى كانت تقلق وكيلى .

اليوم الحادى عشر من صفر

وفي اليوم ١١ صفـر اشعرت الأخ قاسم بان مهمتى قد انتهت وانني قررت السفر يومَ ١٥ من صفر وحاول اقناعى بالبقا ولو لمدة وجيزة ولكن ظروفى اقنعته .

ساعات الوداع

كانت مدة اقـامتى المحـدودة عامـرة بمجالس الاخوان الشيقة وقد غمرونى بلطفهم وكرمهم ومآدبهم السخية ولا استثنى أحدا من الاخوان أهل بن ناجى مما جعلنى اعجز عن رد الجميل إلا بالدعاء لهم من خالص القلب ومنهم من ترك عمله ولازمني مدة اقـامتى كاخى على محسن وأخى محسن على وإزاء هذا الـود واللطف ومظاهر التكريم والترحيب فقد حان يوم الفراق وكان الأخ صالح علي ناصر معى وشاهد بعض مايطلق العبرات ولم يستطع أخى صالح على التغلب على عواطفه عندما أخذت بنت عمى تطلق العبارات المؤثرة والدموع الغزيرة لم يستطع أخى صالح التغلب على مشاعره بل أطلق لعيونه ان تجرى الدموع سخية أما أنا فحاولت على ضعفى ان أكتم ألمى مما جعلنى والأخ صالح ان نهرب من القرية إلى مكان بعيد عنها لئلا نشاهد المناظر الباكية وكان الاخوان يتوافدون علينا إلى ذلك المكـان البعيد وفي العيون عبره والـوحدة تعبر عن الحزن والأسى وما ان اقبلت السيارة إلا والصـدور مشحونة بالتأثرات وسرعان ماوضعت نفسى بالسيارة وفي الصدر حسرة وفي العيون عبرة وهكذا فارقنا الاعزاء وودعنا الاصدقاء.

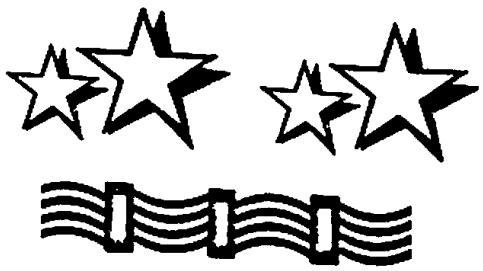

وصف حمحمة

بماذا أصف حمحمة إنها البلدة التى أول مارأيت النور فيها واظلنى سماؤها واقلتنى ارضها وتغذيت من خيراتها وشربت من مياهها وهى مرتع الطفولة ومسرح الخيال وبها قضيت مراحل الطفولة بين الاخوان والاخوات ورعاية الأهل وحنان الأم وعطف العمات والخالات واسم حمحمة له وقع في النفس يثير كوامن الأشواق ويلهب العواطف ويزكى الذكريات فشوقى إلى حمحمة دائما كشوق زهور الزلى إلى قطرات الندى وشوق الابن البار إلى أمه الحنون رعاك الله ياحمحمة وحفظك وجعلك عامرة بالعمل والعلم قوية برجالك زاخرة بنشاط شبابك.

وحمحمة عبارة عن مجموعة حصون موزعة على مرتفعات من سلسلة جبال متشابكة وتشمل قامر ويضم وحوطه المشائخ آل المطيرى والحصون الرئيسية التى سميت كلها باسم حمحمة وهذه الحصون تلتف حوالى مسجد آل علي يمنة ويسرة وكل هذه الحصون يطلق عليها اسم حمحمة وحمحمة المجموع حصونها يشطرها وادى شباب إلى شطرين ماعدا يضم فقامر ويشمل مساكن طائفة من آل على وآل ظيف والحوطه مساكن آل المطيرى هذا شطر. ومساكن المليكى وأهل علي ومسكننا ومساكن آل ظيف الشطر الثانى وكلها تطل على الوادى الرئيسى المعروف بوادى ذى ناخب وتسكن هذه البلدة قبيلة أهل بن ناجى عمر ولهم عداها عدة قرىً وهى مضيضة وقمزان ودور عديه ومحوال والأخير به عدة مساكن وهذه القرى تقع على شاطىء الوادى الرئيسى يمنة ويسرة وحقول البن والمزارع تكون جزاماً أخضر يمتد على شواطىء الأودية ويتسع على شاطىء الوادى الرئيسى. والقرى تطل على تلك الحقول من المرتفعات المحيطة بها على امتداد الأودية فتكسبها منظرا جذاب يلفت الأنظار وياسر القلوب ويشتد العجب لقوة الإنسان اليافعى حينما يشاهد السدود الضخمة والمساقى الموصلة للماء إلى الحقول والحيطان الهائلة التى شيدت لصيانة

هذه الحقـول من السيول الهـائلة وأينما ذهبت في طول الوادى وعرضه تجد هذه السدود والحيطان وقد احكمت وشيدت بطرق هندسية فنية اكتسبوها عن تجارب قديمـة ويشتـد العجب حينـما ترى الصخـور الضخمة وقد وضعت في أوضاع متناسقة وكيف تم نقلها ووضعها بهذه الطرق الفنية أنها قوة الانسان وتفكيره وهؤلاء السكان مازالوا يحرصون على تعمير الأرض الممكن استصلاحها نظرا إلى ان الجبال الشاهقة محيطة بها ماعدا فجوات الأودية وحتى بعض الجبال استطاعوا اخضاعها وزرعوها بطرقهم الفنية ومن القى نظرة على هذه الجبال والقرى والحقول والمزارع المختلفة لابد وان يجتذبه منظرها فسفوح الجبال تمثل نطاقا سندسيا أخضر يشد هذه الجبـال والقـرى وهى تطل على هذه الحقول تمثل فصوصا الماسية تزين به تلك الأحـزمـة الخضراء وهذه المناظر البديعة جعلت من السكان طاقة هائلة لتطوير بلادهم وعمارتها ولذا نجدهم أوفياء لها مهما قست عليهم من أثر الجدب والقحط في فترات من الـزمـان فهم لن يتخلوا عنهـا أينـما حلوا وأينما تمركزوا فذكرياتهم وأشواقهم دائمة إليها دوام الحياة ودوام الليل والنهار ويرحم الله شوقى حينما قال :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه بالخلد نفسى

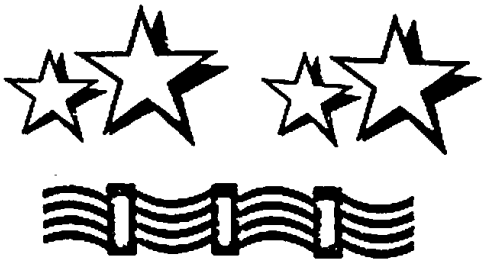

الآثـــــار

قل ان تمر بوادى ذى ناخب من أعلاه إلى مصبه إلا وتشاهد أثارا من المبانى على مرتفعات من الجبال مازالت انقاض البعض منها باقية والبعض الآخر عفى عليها الدهر ولم يبق منها إلا أكوام من الصخور دالة على ان عمرانا قد كان وان سكانا قد عمروا هذه البقاع فبادوا وتشتتوا وطوى عليهم الدهر ثوب النسيان وشاهد حالهم يقول تلك :

هــذه آثـارنـا تـدل علينـا فـانظـروا بعـدنـا إلـى الآثـار

وفي حمحمة بالذات توجد آثار كثيرة عبارة عن خرائب متعددة على قمم الجبال المحيطة بحمحمـة الجـديدة فعـلى جبـل حمد والجبال المحيطة بقامر وبحمحمة الجديدة توجد خرائب لقرى كبيرة دالة على انها كانت عامرة بعدد كبير من الناس ويقال ان خرائب حمد كان يسكنها قوم يقال لهم آل العلمى والخرائب الملتفة على قمم جبال حمحمة يقال انها كانت مساكن اسلاف القبيلة الحالية ومنهم آل بريك الذين ينتسبون إلى ناجى بن عمر بن عبدالرب بن أحمد ولقصة جرت لهم من جراء طوفـان أتى على جميع المزارع اضطروا للهجرة تاركين وراءهم العدد القليل من الأهالى ليحتفظوا بما تركوه من حبوب كنزوها وأدوات وحلى ليتمكنوا من العيش والعمارة لبعض الأراضى ريثما تصلم الأموال عندما يستقرون في جهة تناسبهم وكذا توجد آثار خرائب في الزراع الذى يشرف على عطف النود والراغة ويقال انها كانت مساكن آل بن صيعر وخرائب في جبل شمسان يقال انها كانت لقوم يقال لهم أهل بلم ومثلها في دور الجحيلة وفي وادى سلب توجد كثير من الآثار والآثار كثيرة في جبل يافع على العموم مثل تمر والعر وخلة وغيرها مازالت تنتظر من يحل رموزها فيكشف لنا عن أخبار أهلها ليعرف اخواننا العرب شيئا عن هذا الجزء المجهول من بلاد العرب.

انطباعاتي

في المدة الوجيزة التى قضيتها بين الاخوة والاحباء شاهدت تحولا كبيرا في التفكير والعادات والبنايات بل وفي المحادثات وحل المشكلات وتنويع المأكولات وانواع الأوانى وتزيين الجدران بالصور المختلفة وشرب الشاى والأرز الذى لم يعرف قبل ٤٢ عاما مضت والفرش المشمع والقطف وفرش النوم الوتيرة والمخدات والسرر الحديدية المريحة كل ذلك متوفر ويتوفر أكثر في يافع الاعلا وذلك بفضل الاسفار واحتكاك يافع بالامم المختلفة شاهدت ابناء بلدتى يديرون آلة رافعات المياه ويسوقون السيارات ويقومون باصلاحها ويسوقون الآلات الزراعية. ويوجد عدد منهم من يشتغل باللاسلكى ولهم به خبرة والفضل يعود إلى كثير من هذا التحولات إلى الجيش بعدن إذ كان الجيش قد لعب دورا مهما في تدريبهم وتثقيفهم وتمكينهم من الخبرات الفنية وارتفاع أساليب الحياة المعاشية ولاحظت تحولا كبيرا في مفاهيم الحياة فهم بحق يمثلون معنى التعاون باوسع معانيه وماهذه المدرسة الرابضة على شاطىء الوادى الرئيسى وعلى مرتفع بسيط من مجرى السيل بأسفل حيد الجرارة الا نموذج حى على معنى هذا التعاون. فأهل الوادى من سكان القرى من السائلة حتى محوال يتسابقون للعمل بالتناوب بدافع من الاخلاص والرغبة ويبذلون المال والجهد في سبيل المصلحة العامة وهاهى المدرسة مشرفة على التمام وقد بنيت على أحدث طراز وتستعد لقبول أكثر من مائة وخمسين طالبا ولاحظت من البعض نفورا من الظلم ومخلفات الجهل البغيض والعادات الجاهلية الممقوتة والكل يتجه لبناء الوطن على أساس من العدل والمحبة وهذه الروح ينبغى تنميتها وتعهدها من قبل الشباب الواعي وقد لاحظت ان بعضهم قد تحرد من رواسب الظلم الذى ورثوه من العهود السابقة وهو ينشد الحق أينما كان وكيف كان عن طواعية وفهم لعلمه ان بيوت الظالمين مصيرها الخراب والدمار والفناء ولو بعد حين وشواهد ذلك ماثله

لكل ذى عقل مفكر وقلب حى . ومما يسترعى الانتباه مايلاحظ على الشباب من طموح واهتمام لتطوير الحياة في مقاطعة أهل بن ناجى وماطرق المواصلات الا دليل على ذلك ويتجه طموح الكثير منهم بعد اتمام المدرسة إلى بناء أو توسيع الجامع الذى لم يعد يتسع للمصلين والأمل قوى ان نسمع ان مسجدا بحمحمة قد بنى على أحـدث طراز ويتسـع لكل المصلين وقد تحدثت إلى بعض الشباب الواعى وتحـدثوا إلى وكان الحديث حول اصلاح ما أفسده الدهر واحسست منهم تفهما لواقعهم وعملا لجعل مجتمعهم قدوة حسنة بحيث يصبح فيه التعاون والاصلاح والحفاظ على شعائر الدين والعدل والمحبة صفات ذاتية وشن حملة على الاحقاد والضغـائن والجهل والظلم والطغيان بشتى الوسائل وتوجيه المواطنين إلى العمل وإقامة المشاريع النافعة والعناية بالنشىء الجديد بنين وبنات وماذلك على العاملين بعزيز ولا مستحيل . أما حرصهم على الأمن فهو الحرص على الحياة سواء بسواء .

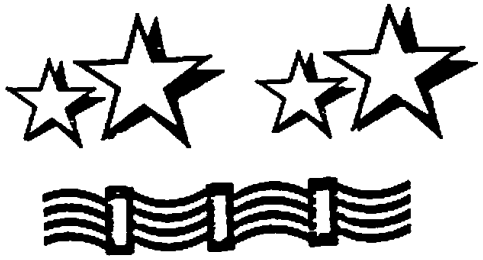

أين تاريخ يافع

تاريخ يافع لازال في غاية من الغموض والإبهام ولعل أكثر المؤرخين تعمدوا وتجاهلوا واخفوا الوثائق التى تكون التاريخ ليافع إلا ماكان ملائما لغرض المؤرخ أو ماكـان من حادثة لا سبيل إلى تغطيتها فقد يذكرون يافع عرضا ومع ذلك فقد نلمس عدم الانصاف للحقيقة حتى في عرض الحوادث. ومؤرخوا اليمن الذين قصدوا لكتابة التاريخ اغفلوا اسم يافع حاولنا ان نجد في التواريخ التى بين أيدينا شيئا يصلح كأساس لوضع تاريخ ليافع فلم نجد الا عرضا والتاريخ الحضرمى بدوره يعد خلوا بالنسبة لتاريخ يافع ونجده يستقصى الاخبار والحركات والكلمات وكل صغيرة وكبيرة لأفراد أو حكومات من غير حكومات يافع وإذا نظرنا إلى آثار يافع في حضرموت من حصون وقلاع وآبار ومساجد لأخذنا العجب من عدم ذكرها فمثلا في الساحل تجد دولة آل بريك وغيرهم من الأفراد عمروا القصور الشاهقة كدار ناصر والحصون المحيطة بالمدينة ومثل هذا دولة القعطة كالباغ وحصن بن عياش والسور والحصون الممتدة على الطرق إلى القرى وإلى الغيل وقل مثل ذلك في المكلا كحصن النقيب والحصون المطلة على المدينة وضواحيها وعمارات القطعة كالبـاغ والعمارات الكبرى في الضواحى إلى القلاع التى مازالت آثارها باقية في أجـزاء المـدن الكـبرى وكذا المساجد في الساحل كالجامع القديم ومسجد عمر والغالبى وعلى حبيب ونور البلاد ومثل ذلك في سيون وتريم من قصور وأبار لازالت تحمل اسم اصحابها حتى اليوم أما شبام والقطن والغرط فلسنا بحاجة فالمقاطعة كلها غالبا من املاك يافع وهى عامرة بالقصور والآبار والمزارع وقل مثل ذلك في حوره وبقية المقاطعات ولو أردنا التفصيل لضاق بنا المقام فمثلا أوقاف آل بن همام على المساجد والمصالح الأخرى في تريم نجدها كثيرة وقد كانت في طي الكتمان لولا

أحد أفراد آل همام استطاع أن يكشفها للناس ويحيى ما أمكن احياؤه في العام الأول أى في عام ١٣٨٨ هـ ولعلها كانت خطة مدبره لاخفاء اسم الواقفين لانهم من يافع لولا ان الوثائق هى التى كشفت هذا السر.

لماذا سموا بيافع أو بنى مالك

ان كلمة يافع تشمل الجزء الواقع بين عدن واليمن والفضلى والعوذلى والضالع ولحج وهى تطلق على اسم القبيلة الكبيرة الساكنة في هذا الجزء وكلمة يافع هى اسم لجدهم الأعلى الذى ينتسون إليه وهو أى يافع أبو قبيلة من رعين ونسبته كالآتى هو :

يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعين الرعينى فالى يافع تنتسب القبيلة اليافعية ويقال لهم بنو مالك نسبة لجدهم الاعلى مالك بن زيد وجاء في التاريخ ان يافع بن زيد كان يسكن جبلا سمى به ثم تكاثر نسله فسمى الجزء المعروف به وقد كان يعرف قديما بسرو حمير- ورعين هى القبيلة الحميرية المشهورة جاهلية واسلاما ومازالت منهم طائفة باليمن الشمالية تحمل هذا الاسم ونورد أبياتا جاء فيها ذكر رعين لأحد شعرائهم قال :

الا من يشترى سهرا بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت ... فمعذرة الاله لذى رعين

وقال آخر :

لى منزلان بلحج منزل وسط ... منها ولى منزل بالقرب من عدن
حولى بها ذو رعين في منازلها ... وذو كلاع وهمدان وذو يزن

فيفهم من البيت الأخير ان مساكن رعين حول لحج وهو دليل على ان المنطقة المعروفة بيافع وماجاورها كانت بها مساكن ذى رعين وذكر الهمدانى في كتابه صفة جزيرة العرب سرو حمير وبعضا من أوديته وقراه وجباله وذكر منها العر وحية وعلة وحطيب وبهر وذو ناخب وذو ثاوب وسلفه وشعب وعرميحان وسلب والعرقة ومذوره والمجزعة وتيم وقال ان العر لأذان من يافع وثمر للذراحن من يافع وحبه للابقور

منهم وعله للاصووت منهم وذو ناخب لبنى جبر منهم وذو ثاوب لبنى صائد منهم وسلفه لبنى شعيب منهم والعرقة للأهجور منهم وهى واد وهم بنو هجر وصدور لبنى كلب من يافع وسلب لبنى جبر منهم وفي كل موضع من هذه المواضع قرى ومساكن كثيرة ويقول في موضع عند ذكر وديان في جهات بنى أرض قال ووادى الذويب ليافع اهـ.

وذو رعين هو ملك حمير كما يقول الجوهرى وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبأ وهم آل ذو رعين.

وعلى ماذكره الهمدانى من اسماء الأودية والقرى واسماء القبائل أقول أما الأودية والقرى فمازالت تحتفظ بهذه الاسماء ولم يحدث لها التغيير إلا ما استجد من القرى والمزارع كما اعتقد. وأما اسماء القبائل فقد حدث التغيير في البعض فمثلا ذو ناخب وسلب كانت تسكنه بنو جبر والقبائل الساكنة فيه الآن عدة قبائل تسمى باسماء أخرى مثل آل مرشد وآل الكهالى وآل بنى ناجى وآل ام شق فهل بعض هذه القبائل ترجع في انسابها إلى بنى جبر ام ان بنى جبر قد بادت وانقرضت وحلت هذه القبائل محلها ويقال ان بعض القبائل تحتفظ بانساب قبائل يافع مثل بن جرهوم اليزيدى واحد مشائخ بنى بكر ولربما غيرهما ولا ندرى ماذا تضمه وثائق الانساب التى يقال انها موجودة لديهم.

وادى سلـب

المحنا فيما سبق لذكر وادى سلب وهو الوادى الرئيسى الذى يمتد من مشارف حدود يافـع الأعـلى وحـدود البيضاء ويسمى بوادى ذى ناخب ويمر عبر سلب ويصب في البحر غربى مدينة شقرة وتصب إليه أودية عديدة جانبية على امتداده يمنة ويسرة وفي باب الافلاك تلتقى عدة أودية كبرى مثل وادى السيلة البيضاء ووادى سنبا ووادى ريبان لتكون مجرى واحدا إلى ان ينتهى إلى البحر وتحيط به وبـاوديتـه الفـرعية جبال شاهقة وعلى شواطىء الأودية الفرعية قد توجد مظاهر العمـران أما الوادى الرئيسى المسمى سلب فتلتق على شاطئيه الغابات الكثيفة ويشاهد المرء ان هذه الغابات كانت عامرة في عهود قديمة لوجود الآثار الدالة على ذلك وعلى قمم الجبال توجد الاثار تدل على ان عمرانا قد كان في هذا الوادى وقد ظهر في أجواء عام ١٣٥٣هـ سد يحتضن واديا من فروعه من فعل جرف السيول العارمة وتعتبر هذه الأودية من اخصب الوديان ولعل مايشاهد من المياه الجارية في عدد من هذه الـوديان وغيرها كانت تستغل لرى هذه المزارع التى قد أصبحت غابات موحشة وقل مثل ذلك في السيلة البيضاء.

استجابة يافع للخليفة الثانى

(١)جاء في التاريخ ان سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى استنفر العرب للحاق بجيش عمرو بن العاص الذى انحدر من بلاد الشام متجها غربا لفتح مصر فكانت القبيلة اليافعية أول من استجابت لنداء الخليفة والتحقت بجيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص وكان موقع القبيلة اليافعية على الميسرة وأبدت هذه القبيلة من الكفاءة القيادية والحربية ماجعلها تدبر خطة لاجتياز نهر النيل الذى كان حائلا بين جيش المسلمين وجيش الرومان وجاء ذكر القائد المحدث مبرح بن شهاب والقائد البطل سفيان بن زياد وان خطتهما لاجتياز نهر النيل كانت معروفة وان هذه القبيلة كانت أول من اجتاز نهر النيل وأول من ركزت اعلامها في الضفة الغربية وسمى ذلك المكان الذى نزلت به القبيلة اليافعية بالجيزة ومازال اسم الجيزة حتى اليوم معروفا بهذا الاسم وكان القائد الشجاع سفيان بن زياد اليافعى أول من نصب العلم في الضفة الغربية أمام بيت مرتا القبطية التى كانت معرضة للقتل من قبل جنديين رومانيين لولا ان رأها حسان بن زياد فأسرع نحوها قائلا لن تفلتا منى ورب الكعبة فصرعهما في بيت مرتا ووقف إلى جانبها وكانت في حالة أغماء فلما أفاقت رفعت رأسها ورأت جثتى الجنديين الرومانيين أمامها غارقتين في بحر من الدماء فشكرت للجندى العربى الذى كان إلى جانبها فعله وتزوجت به اخيرا وأولدها ولدين.

وهذه القبيلة هى التى عناها الخليفة عمر بن الخطاب عندما كتب لعمرو بن العاص بقوله لاتجعل بينك وبين قومك بحرا فأبن سورا يحمى ظهور المسلمين في جيزة الفسطاط وقد أراد عمرو ان ينزل عند رغبة الخليفة ويبنى حول جيش

---

(١) صليل السيوف لحبيب جاماتي.

المسلمين في الجيزة سوراً منيعا ولكن اليافعيين ومن كان معهم من أبناء البادية أبوا إلا أن تظل السهول مكشوفة من أمامهم ومن ورائهم وقالوا لعمرو قائدهم دعنا من السور ياعمرو فانما أسوارنا صدورنا فما كان من عمرو إلا أن نزل عند رغبتهم وكان ذلك عام ٢١ هجرية الموافق عام ٦٤٢م ووقتها بنى عمرو بن العاص في الفسطاط الجامع الذى يحمل اسمه إلى الآن وكان بين الذين اشرفوا على بناء الجامع وزخرفته حسان بن زياد اليافعى البطل المغوار الذى أحبه عمرو ووضع فيه ثقته وجعله من امنائه المقربين.

وفي شرح القاموس عند ذكر يافع قال انه أبو قبيلة من رعين ومنهم مبرح بن شهاب بن الحارث بن ربيعة بن سعد بن شخيث بن شرحيل بن حجر بن عمرو بن شرحيل بن عمرو بن يافع اليافعى الرعينى الصحابى رضي الله عنه أحد وفد رعين على النبي صلى الله عليه وسلم ونزل مصر على ميسرة عمرو وخطته بالجيزة معروفة إلى أن قال واليافعيون من المحدثين جماعة وفيهم كثرة منهم عبدالله بن موهب وعبدالله بن سعيد بن الصعبة وغيرهما واستطرد قائلا: من متأخريهم قطب الحرم المكى الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعى.

التعريف بعبدالله بن أسعد اليافعي

هو قطب الحرم المكي عفيف الدين الإمام عبدالله بن أسعد بن سليمان بن فلاح اليافعي نزيل مكة المؤرخ الباحث المتصوف الفقيه من شافعية المذهب ومن مواليد عدن وبها نشأته، وميلاده قبل السبعمائة بقليل ووفاته عام ٧٦٨هـ وله عدة مؤلفات منها :

١ ـ مرءات الجنان يقع في أربعة أجزاء[١].
٢ ـ كتاب الموهم في أصول الدين.
٣ ـ كتاب التطريز في التصوف.
٤ ـ كتاب المأتين حكايات الصالحين.
٥ ـ كتاب نشر المحاسن.
٦ ـ كتاب الروض العطر في حياة الخضر.
٧ ـ كتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين.
٨ ـ وله ديوان حوى غرر الشعر[٢].

---

(١) في التاريخ وهو من أنفع التواريخ وافيدها.

(٢) عقود الألماس للسيد علوى بن طاهر.

ابنـــــاؤه

وله من الأبناء الذين بلغ إليه علنا عنهم هم الأول : وجيه الدين عبدالرحمن بن عبـدالله بن أسعد اليافعي المتوفى في مدينة الشحر عام ٩٤٩هـ وقد بنى بها مسجدا يعرف اليوم بقبة آل مزروع وكان قد زار حضرموت مرتين وكانت وفاته بالشحر كما سبق في المرة الثانية وعندما زار حضرموت في المرة الأولى واتصل بعلمائها وحضر المجالس العلمية انشد قائلا :

مـررت بـوادى حضـرمـوت مسلما فالقيتـه بالبشـر مبتسمـا رحبـا
والقيـت فيـه مـن جهـابـذة العلى اكابـر لايلقـون شرقـا ولا غربـا

الثانى : من أولاد الشيخ عبدالله بن أسعد الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله ولم اطلع على ترجمة له إلا أن ابنه محمد بن عبدالوهاب بيذكر في المجال العلمى ولم يصل إلينا شيء عنه ومحمد هذا اعقب عبدالرحمن بن محمد بن عبدالوهاب الملقب بالوجيه ولد بمنى عام ٨٣١هـ وتوفى بمكة عام ٨٧٨هـ.

الشخصيات العلمية اليافعية

١ ـ منهم القاضى عمر اليافعى وابنه عيسى بن عمر وهما ممن عاصر جمال الدين أبو عبدالله الفقيه محمد بن علي بن علوى وأخذ عليهم بعض العلويين[١].

٢ ـ ومنهم العلامة محمد بن عيسى اليافعى الجريرى وابنه عمر بن محمد بن عيسى الجـريرى وقد أخذ عنهما الشيخ محمد بن أحمد بأفضل والشيخ عبدالله بن أحمد بامخرمه وقرء عليهما عددا من كتب الحديث والفقه وغيرها[٢].

٣ ـ ومنهم ممن نعرفه هو السلطان صالح بن غالب القعيطى وحيد عصره وفريد دهره عالما أديبا مؤلفا جمع بين القديم والحديث يتقن عددا من اللغات الأجنبية علاوة على لغتـه العربية واللغات التى يتقنها قراءة ونطقا وكتابة هى الانجليزية والفرنسية والألمانية والفارسية والاردو ومؤلفاته كثيرة منها «مصادر الأحكام الشرعية» يقع في ثلاثة أجزاء مطبوع «والآيات البينات الدالة على وجود خالق الكائنات» مطبـوع «والمـلاحة البحرية» يقع في مجلدين مخطوط و «مبحث التعبد بأحاديث الآحاد» ـ مطبوع ورحلته إلى دوعن «ورسالة في الهندسة» مخطوطة لم تطبع «وتفسير مفردات القرآن» ألفه باللغة العربية والأردو مخطوط لم يطبع وغيرها.

ومنهم القاضى الشيخ ناصر بن صالح بن الشيخ علي.

ومنهم القاضى الشيخ أحمد بن عوض المصلى.

ومنهم القاضى الشيخ سعيد بن أحمد المحمدى.

ومنهم العلامة الشيخ محمد جابر الرشيدى.

ومنهم العلامة الشيخ محمد بن حسين السيلى.

---

(١) راجع البرقة المشيقة.

(٢) نفس المرجع وعقود الألف.

ومنهم العلامة الشيخ صالح بن علي بن علي الحاج.
ومنهم العلامة الشيخ محمد سالم الموسطى.
ومنهم العلامة الشيخ علي بن محمد أحمد سواد الضبي.
ومنهم العلامة الشيخ صالح بن محمد بن عامر.
ومنهم العلامة الشيخ يسلم بن سالم سند اليزيدى.
ومنهم القاضى الشيخ محفوظ سعيد المصلى.
ومنهم العلامة الشيخ عبدالرب بن عبداليزيدي.
ومنهم العلامة الشيخ عمر بن محمد القعيطى اليافعى نزيل مكة.
ومنهم القاضى الشيخ أبو بكر اليافعى.
ومنهم القاضى الشيخ عبدالقادر بن سعيد بن علي الحاج.

ومنهم سيف بن حسين بن عبدالله بن عمر القعيطي اليافعى من مواليد الشحر كان والده صاحب ديوان من الشعر الحميني، نشأ وتثقف في حيدر آباد حيث درس القانون والأدب في الجامعة العثمانية التى درس فيها أيضا في شعبة الدراسات العربية والإسلامية. توفى في عام ١٩٦٨م وله عدة مؤلفات ضخمة منها:

١ ـ خصائص اللغة الحضرمية وهو عمل موسوعى يتكون من أكثر من ١٢ مجلد ضخم ـ مخطوط.
٢ ـ فقه اللغة الحضرمية ـ مخطوط.
٣ ـ الأمثال والأقوال الحضرمية جزئين ـ مخطوط.
٤ ـ فوح المدام عن رباعيات الخيام ـ مخطوط.

هذا قل من كثر وقطره من مجموع ما أكثر العلماء من يافع وأكثرهم ممن لم نتشرف بمعرفة اسمه وآمل ان أجد من يسهل لي تسجيل اسماء الكثير منهم ممن لم نعرفهم.

الشخصيات الأدبية اليافعية

الأدباء من يافع فيهم كثر قديما وحديثا منهم من لم يصل إلينا شيء عنه ومنهم من عرفنا عنه النذر اليسير وقد اطلعت على قصائد رائعة لاحد أدباء يافع من الزقالده ولم اتمكن في هذه البرهة من الحصول على اسمه ولا على الديوان الذى قرأته منذ سنين وهو ديوان العيدروس والزقلدى يمتدح السيد العيدروس بقصائد عصماء مدونه في الديوان المذكور وإلى ان نحصل عليه فلربما تكون لنا عودة إلى شيء من التوسع في تاريخ يافع أو تاريخ هذا الجزء من الجنوب : ونذكر الآن مايحضرنا من اسماء الأدباء كما يلى القاضى أبوبكر اليافعى الذى المحنا في قائمة العلماء وهو من المعاصرين للأمير الفضل الحميرى في أجواء عام ٤٩١هـ وكان هذا الأمير قد جلب الماء إلى بلاده بعد أن كلفه غاليا واضطر إلى شق الجبال الصماء لايصاله إلى المكان المطلوب له وعندما انهى عمله امتدحه القاضى المذكور بقصيدة منها :

وأقل مكرمة له وفضيلة اجراؤة للغيل في الأجناد
شق الجبال الشامخات كأنما كانت معالمها متون وهاد

ومنهم الأستاذ صلاح بن عبدالقادر البكرى الأديب المؤرخ والموظف بالبلاد السعودية في الوقت الحالى .

عمر مثنى حسن اليافعى تلقى تعليمه بمعهد النور وحصل على جانب كبير من العلوم الدينية ثم اشتغل بقراءة الأدب والعلوم السياسية وهو من الشخصيات الواعية ويتمتع بقوة المعارضة وصفاء القريحة وجودة الحافظة ولايكاد يمر عليه وقت الفراغ إلا وهو مكب على قراءة كتاب لا لقطع الوقت ولا للتسلية ولكن ليعطى فكرة عن هذا الكتاب بكل دقة .

الأمير علي بن صلاح بن محمد القعيطى أديبا مؤرخا سياسيا ذا شخصية مؤثرة وقوية ومحبوبة اعترف بفضله أدباء ومؤرخوا حضرموت وله مجموعة في التاريخ ذكرها

باوزير وهى مشهورة في الأوساط الحضرمية المشتغلة بالتاريخ .

ومنهم الشاب عبدالحافظ الحوثرى اليافعى الذى يحمل شهادة عالية بامتياز وهو عامل إدارى في وزارة المعارف .

ومنهم حسين سعيد الحضرمى .

ومنهم سالم بن أحمد البطين الحضرمى .

ومنهم ناصر عمر مخارش .

ومنهم الأستاذ حمزة المفلحي تعلم في عدن ويدير مدرسة بالمملكة السعودية .

ومنهم الدكتور صالح عبدالملك بن همام طبيب خريج جامعة الاسكندرية .

ويوجد عدد كبير منهم في المعاهد العلمية في البلدان العربية وعما قريب سيعودون وهم يحلمون معهم رسالة العلم والأدب .

من الشعراء الشعبيين اليافعيين

منهم سالم بن أحمد الرشيدى مؤلف كتاب محمد الفاتح .
منهم ناصر صالح الناخبي .
منهم عبدالرحمن محمد الرشيدى .
منهم حسين بن عبدالله القعيطى .
منهم صلاح بن أحمد الأحمدى .
منهم يحيى عمر .
منهم صالح سند .
منهم سالم علي يحيى بن علي الحاج .
منهم سالم علي بن ناجى الناخبى .
منهم صالح عبدالرحمن المفلحى الشاعرى العاطفى .
منهم المقدم عبدالله بن صالح السعيدى .
منهم عبدالحبيب الجحوشى .
منهم سليمان بن عبدالله عفيف .
منهم ناجى بن علي الحاج .

من فضليات النساء اليافعيات

منهن فاطمة بنت عبدالله أحمد الناخبى ويعود لها الفضل في انتشار تعليم البنات في حضرموت وقد كتب عنها الكثير من المستشرقين والمستشرقات وآخر من كتب عنها السيدة الموقرة من قبل هيئة الأمم المتحدة.

ومنهن نور عبـدالحبيب بن زياد التى اسهمت إلى جانب التـدريس بتعليم الاشغال اليدوية وهى وفاطمة المذكورة تديران مدرستين للبنات في المكلا وتوجد طائفة من نساء وبنات يافع قد احرزن قدرا مناسبا من التعليم.

كما توجد في المكلا السيدة الصالحة نور المعروفة بعواديه وهى تقوم بعد عدد كبير في جميع النساء ووعظهن وتعليمهن أمور الدين والاخلاق.

جهلنا بتاريخ يافع

قلت آنفا ان تاريخ يافع في غاية من الغموض والابهام وقد حاولت ان أجمع نتفا مما تيسر لى جمعه ولكنها لاتصلح كأساس لتاريخ يتناسب ومجد هذه القبيلة الكبيرة وحاولت الحصول على معلومات مضبوطة أو وثائق قديمة أو على الأقل مسيرات يافع التى نسمع عنها ولو نعرضها وكانت محاولاتى تذهب سدى وقد علمت من شخصية محترمة لها ولع بالتاريخ انه يوجد في سكرتيرية عدن وحدها ابان الحكم الانجليزى ماينيف على الفى ملف مليئة بالوثائق التاريخية للجنوب العربي وليس الآن بغريب على الانجليز فقد احصوا كل شيء في الجنوب وساعدتهم الامكانات ولما لهم من نفوذ فقد استطاعوا ان يجمعوا عن الجنوب مالايتيسر لغيرهم بل رأينا البعض قد تطوع وقدم للضباط الانجليز كتبا خطية نادرة ووثائق تاريخية لا لشيء إلا ليسمع من الانجليزى كلمة نشكرك أو ليستلم دريهمات معدودة بينما يحاول المواطن الحصول على قدر بسيط من التعاون ولو يبذل المال بسخاء فلم يجده غالبا إلا ماندروكم أجد في نفسى من اسى ومرارة حينما أقلب صفحات التاريخ ولا أجد عن يافع غير كلمات عابرة ونتف لا تكون تاريخا ولا تساعد على تأليف رسالة تاريخية مدعمه بالمصادر مضبوطة بتاريخ الأحداث عبر السنين الخوالى ومع العلم ان مقاطعة يافع غير مجهولة والقبيلة اليافعية مشهورة إلا أن التاريخ اليمنى والحضرمى لم يشر بما يفيد[1] إلا عرضا ماعدا كلمة لمفتى حضرموت السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف احببت ان أورد منها مايلى قال رحمه الله .

لاينكر ماكان لبنى مالك من الوفاء وحفظ الذمام فقد كانوا فيه مضرب المثل ومازال الناس يتعالمون بالمطرب المدهش من أخبارهم وذكر رحمه الله امثلة كثيرة على

---

(١) راجع ص٣٢ من هذا.

ذلك وختمها بقول الشاعر :

تلاقوا بنى مالك مدى شرب فنجان ومن له دعيه عند صاحبه جابها

إلى أن قال وكم لها من اخوات لا تحصى بالمئات فلا دافع ليافع عن الشهامة والنجدة والوفاء كما لاينكر حظهم من الاعتناء بالصلوات جماعة في المساجد ومن محاسنهم انصاف الرعايا في الحقوق المالية ثم استطرد قائلا ومازالت الابوة تذكر عن شم الأنوف من يافع انهم يتواضعون للضعفاء ولأهل العلم والدين كما يشمخون بأنوفهم على الرؤساء والمتكبرين وتلك عادة الكرام الخ كما أنا نجد من كثير قد اشتغلوا بالتراجم أو التاريخ لم يتركوا نقيصه الا ووصفوا بها يافع ولربما أن اية مزية ترفع من شأن يافع يكون نصيبها الاغفال والاهمال ولندع ذلك للباحثين المنصفين ولنعد إلى مانحن بصدده .

يافع والسلاطين

مرت مئات السنين على يافع وكان رمز وحدتها السلطان العفيفى المسمى عفيف وهو أول سلطان عرفنا اسمه ولا نعلم عمن كان قبله وعفيف هذا هو تنتسب إليه أسرة آل عفيف الذين أخرهم محمد ومحمود ابناء عيدروس بن محسن بن علي بن أحمد بن علي بن غالب وشقيقه عبدالكريم أبناء معوضه بن سيف بن قحطان بن معوضه بن محمد بن عفيف هذه الأسرة هى أقدم الأسر التى حظيت برئاسة يافع ثم تلتها أسرة آل الشيخ على هرهرة التى أخرها فضل ومحمد وينحدران من عمر بن صالح بن أحمد بن علي هرهره فكانت هذه الأسرة رمزا لوحدة يافع الاعلا كما أصبحت أسرة العفيفى رمزا ليافع الأسفل : وهاتان السلطنتان لايملكان مقومات السلطنة بمفهومها المتعارف فلا جيش ولا حرس ولا سجن ولا ضرائب وإنما كانت القبائل اليافعية تمثل الجيش متى مادعت الحاجة إلى ذلك وتمتاز بالطاعة لسلطانها عند نشوب الحرب ويمثل السلطان القائد المباشر لإدارة المعركة متى حدثت اما دخلهـا أى السلطنـة فمن عمل ايديهم الخاص أو مما يجود به عليها اتباعها من القبائل من عشور الحاصلات وبدون قرار اجياد وفي عهد هاتين السلطنتين جرت حوادث صمد لها السلاطين وجرت حروب طاحنة بينهم وبين ائمة اليمن سوف نتعرض لذكر ماتجمع لدينا من معلومات في الفصول الآتية بإذن الله .

الحـدود

تقع منطقة يافع في الجزء الشمالى الشرقى لعدن ويقع الجزء الشمالى منها على هضبـة تظهـر بوضـوح تسكنها قبائل يافع العليا وتظهر الجبال الشاهقة والأودية العميقة في يافع السفلى واشهر جبال يافع جبل ثمر وجبل العر وجبل نصبا كساد وجبـل أهل يزيد وجبل موفجه وأعظم الأودية وأطولها وادى حطيب ووادى ذى ناخب ووادى السيلة البيضاء وحدد بعضهم يافع فقال يقع يافع مابين عدن وجبل الظاهر والبيضاء وجبال الأجعود وجبل حرير والربيعتين ويحدده البعض الآخر بانه يقع بين اليمن والضالع ولحج وبلاد الفضلى والعوذلى (وكلها متقاربة) .

السلطان عيدروس بن محسن العفيفي

سلطان يافع السفلي

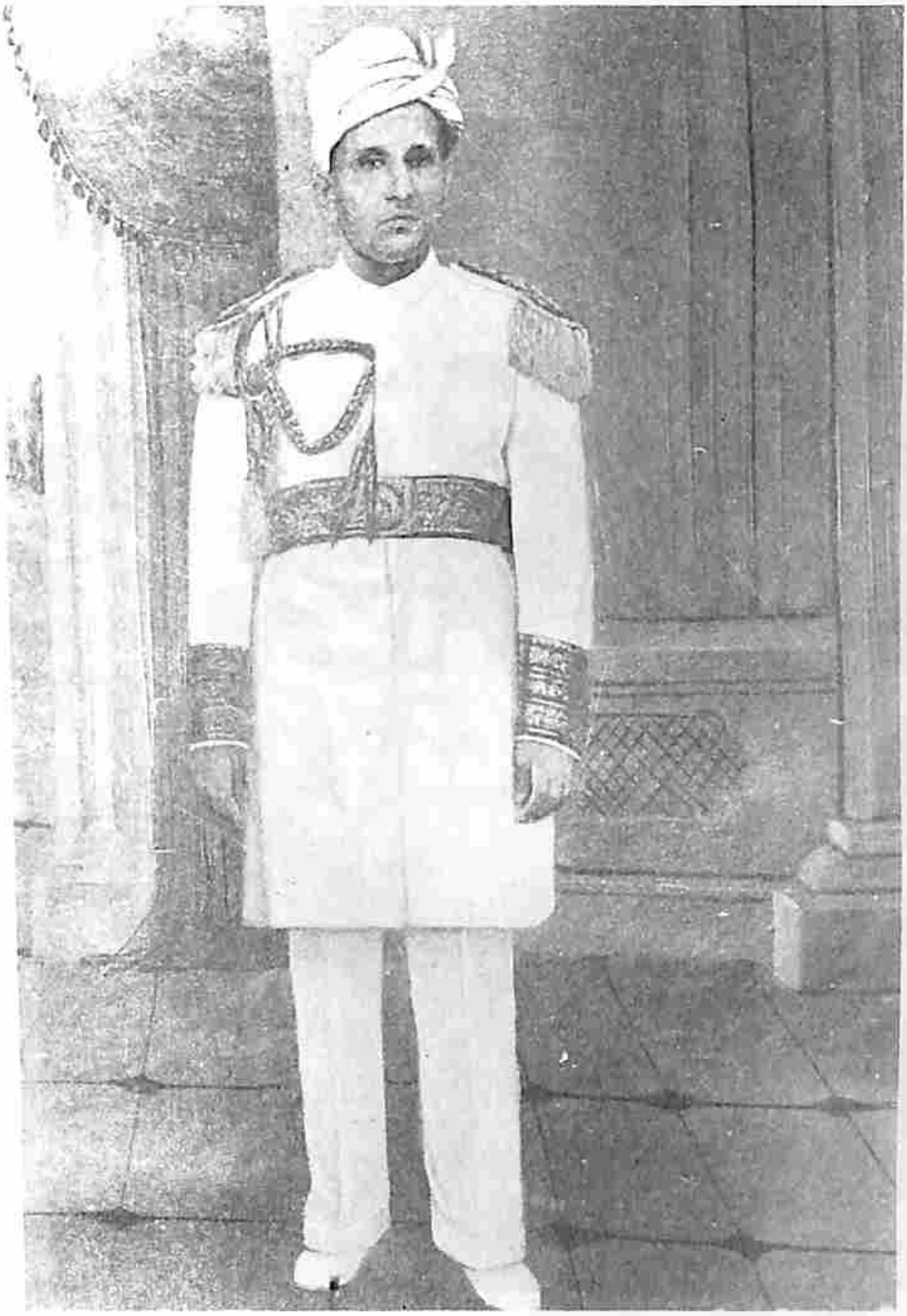

السلطان محمد بن صالح بن عمر هرهره

سلطان يافع العليا

السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني بالزي الرسمي في احتفال توليته عرش السلطنة القعيطية وبجانبه المرحومين الأمير محمد عبدالله العولقي (رئيس دولة اتحاد الجنوب العربي بالتداول) والسلطان محمود عيدروس العفيفي (سلطان يافع السفلى) وزميل السلطان غالب القعيطي من الطفولة.

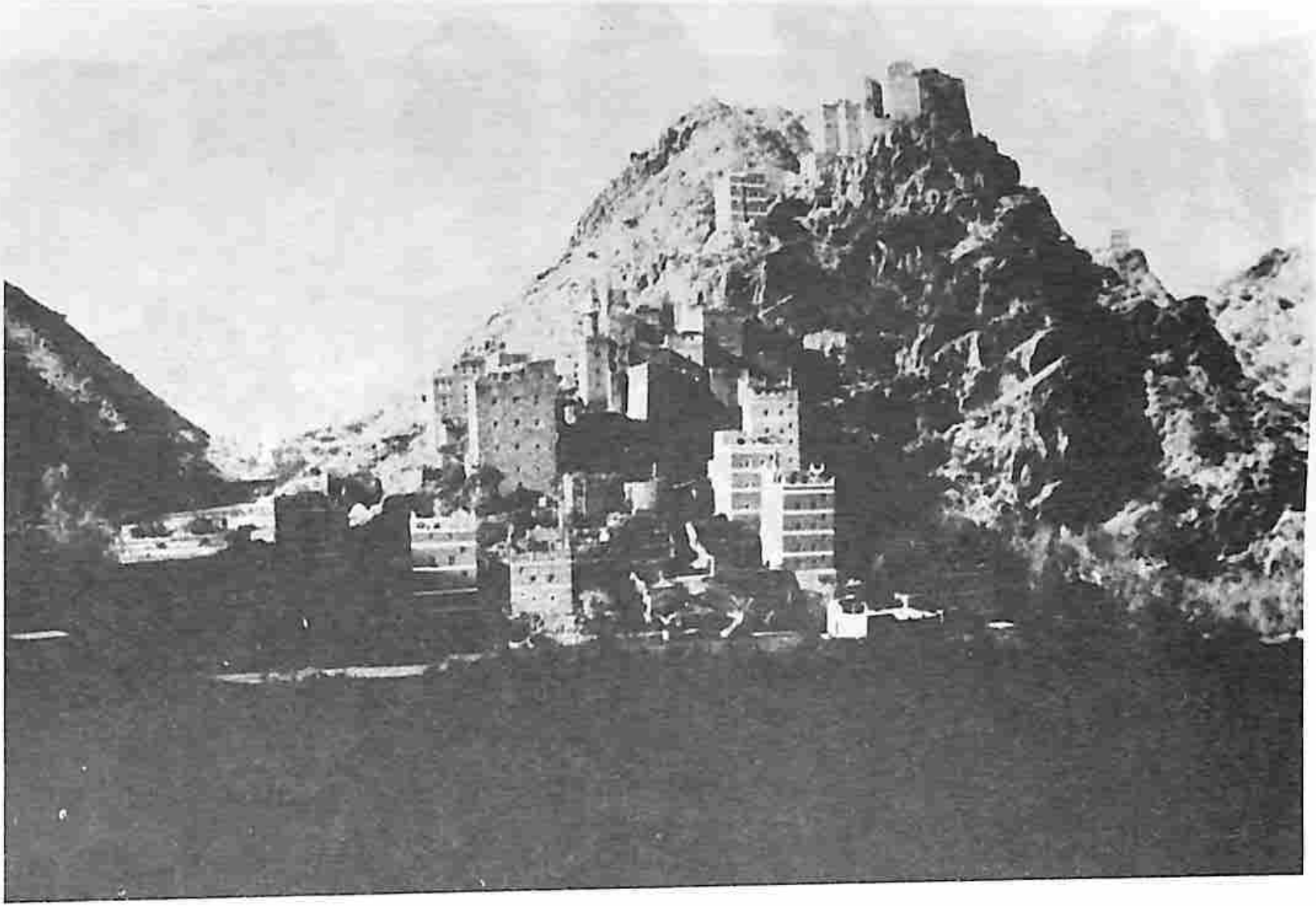

المحجبة (يافع العليا)

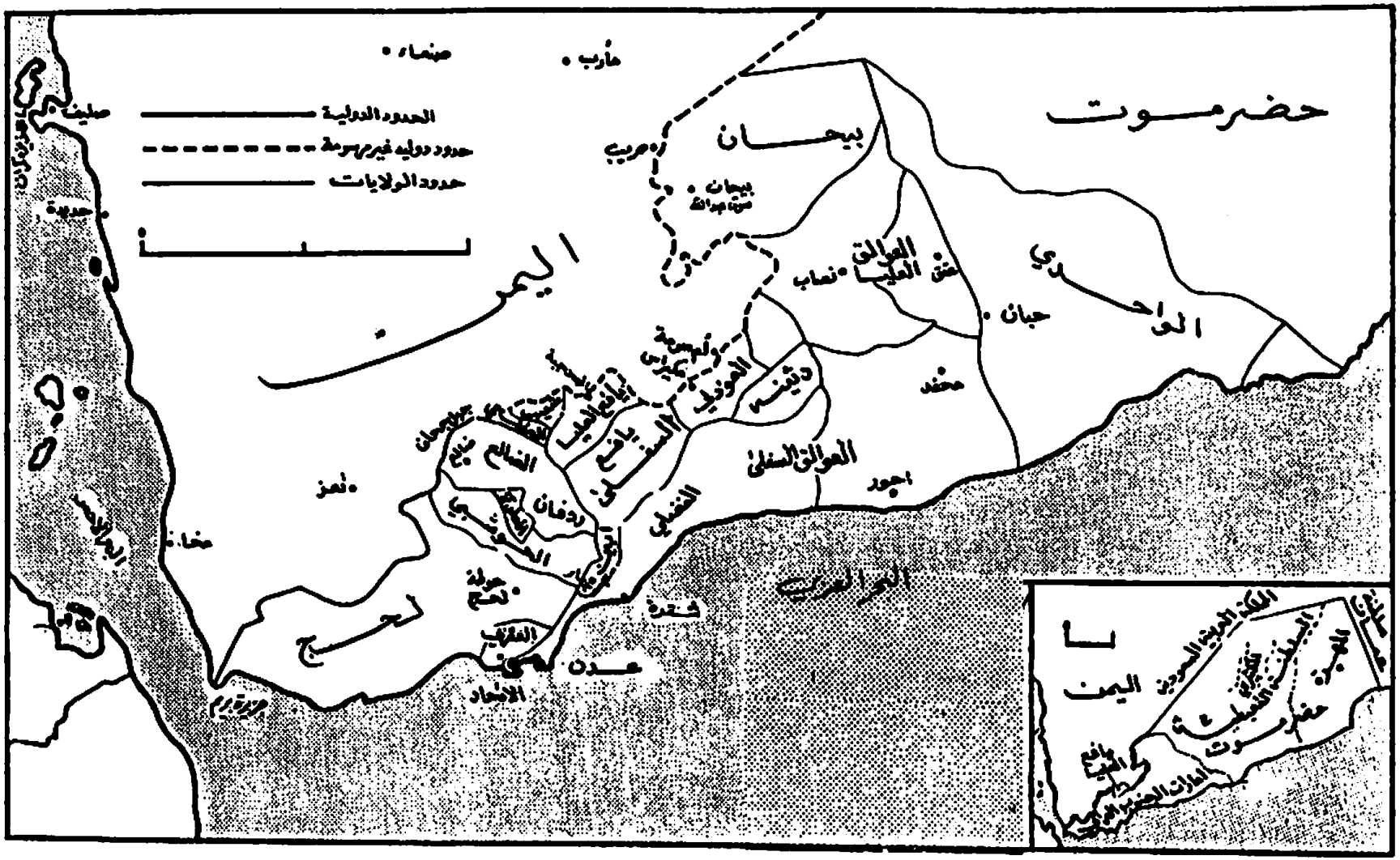

عدن وإمارات الجنوب العربي

يافع في لحج وعدن
وفي بعض مناطق الجنوب وماحولها

معروف ان بلاد يافع اشبه بخزان بشرى وكلما كثر السكان اضطررا للبحث عن متنفس لهم لهذا نجدهم بكثرة في لحج وعدن وماحولها كما نجدهم في حضرموت والخليج العربي وغيرهما من البلدان وأينما وجدوا الاستقرار القوا عصا التيار فيه وكونوا لأنفسهم كيانات محترمة فمثلا نجد الأبقور وهم فخد من كلد سكنوا قرية بنا ايه من قرى لحج وامتلكوا ارضا بها لاستغلالها وصارت منسبو به لهم ومازالت لهم أراضى تسمى بأرض الباقرى بالقرب من الحوطة من جهة الشرق بالقرب من فير الشريف عبدالله بن أبى بكر باعلوى الأحدب المتوفى عام ٩٦١هـ ثم انتقلوا من لحج وسكنوا الضالع مع إخوانهم ابقور الضالع وهم الشعار وقبيلة الشعار في الضالع مشهورة ولها مواقف وطنية ضد الاستعمار وسكن لحج أيضا من يافع قبيلة المنتصر وقبيلة العزيبة من يافع القارة وفي صهيب نجد قبيلة آل علي من ذى ناخب من أهل بن ناجى عمر ووكل إليهم منصب الرئاسة وفي أرض القطيبى الخرمان من أهل كساد من ذى ناخب ونجد بين الضالع والحواشب آل الثعلبى من الأبعوس من آل أحمد وفي حالمين قبيلة آل علي عامر من الأبعوس وفي الأزارق نجدال بن سبعه من يهر ونجد آل السليمانى من آل سعد في ابين ولحج وعدن وفي فترة من الزمان حكموا هذه المناطق أى لحج وابين وعدن برئاسة الأمير حسين بن عبدالقادر السليمانى كما سيأتى إن شاء الله وفي بعدان جماعة من آل غرامة وفي الملاجم جماعة من آل على صلاح من يافع الضبى وفي الأزارق جماعة من آل الحذيفى من يافع وفي العدين جماعة من آل الشيخ على هرهره رئيسهم الشيخ على محسن باشا وفي الجعاشن جماعة من آل الشيخ على أيضا رئيسهم أحمد المنصور بن هرهره وفي السحول جماعة من آل علي بن ناجى بن عمر وفي الربيعتين آل أبو شامة

وفي جبن جماعة من آل عاطف صلاح وكلهم من يافع .

وأما آل سلام فنجدهم منتشرين في لحج والضالع والمخجفة وهم فخذ من كلد وبالقرب من جبل موفجة حيث توجد بلدة تسمى بركات وهى البلدة التى نزح منها آل سلام ليتمركزوا في المناطق الآنفة الذكر واستطاعت هذه القبيلة ان تظهر وجودها بكفاءة ومقدره حتى كان لها المقام الملحوظ بين القبائل المجاورة مما سهل على الشيخ فضل بن علي العبدلي ان يعلن فرض سلطته على مقاطعة لحج عام ١١٤٥هـ وبعد أن تم له الاستقلال بلحج اتخذ الحوطة عاصمة ملكه ومنذ ذلك الوقت نشأت الدولة العبدلية وكان لها ماكان في التاريخ سجل معظمة الأمير أحمد فضل في تاريخه هدية الزمن وتحيل طالب المزيد عليه[1].

---

(١) ونجد ان المصعبى في بيحان واسمه هادى بن إسحاق عندما اشتد الخلاف بينه وبين بعض القبائل واضطر إلى بناء حصن له ولأهله ولم يستطع فقد استنجد بالجهاوره من يافع وبنوا له الحصن وسمى بالجهورى أى الحصن وبعد ان تم بناؤه قال له الجهورى اتركه مفتوحا وعلينا حمايته فشكر له صنيعه وسميت القرية بحصن هادى وبها ولد الشيخ محمد سالم البيحانى وفي حصن الجهورى يقول أحد الشعراء الشعبيين :

بوناصره قال بيننا الحصون أربعة ... في بطن بيحان لوجاب البلا نرجعه

والجهورى شيخ بالدسمال والمدرعة ... شيخ الثلاثة يشلهن على درعه

إمارة السليمانى اليافعى

المحنا فيما سبق عن آل سليمان وانهم قبيلة من آل سعد وتواجدهم في لحج وعدن وابين ففى أجواء عام ١٠٣٨هـ على مايظن أعلن الأمير حسين بن عبدالقادر فرض سلطته على عدن ولحج وابين وكان ذلك قبل ظهور سلطنة العبادل ولم تملك الدليل على الزمن الذى انشئت فيه هذه الدولة إلا أن عام ١٠٥١هـ كانت هذه الدولة قد بلغت اعلا مجدها وإزدهار نضهتها وكان لمكانتها القوية وبعد صيتها مما جعل أئمة اليمن يخشون بأسها ولكن الفرصة لم تحن للانقضاض عليها وحتى ان صفى الإسلام أحمد بن الحسن بن القاسم حينما اختلف مع عمه الإمام المؤيد محمد بن القاسم وبعد معارك دامت بينهما انتهت بهزيمة أحمد بن الحسن وحينها لم يجد ملجأ أميناً غير عدن لدى أميرها حسين بن عبدالقادر وكان ذلك عام ١٠٥١هـ وأواه ابن عبدالقادر وأكرم نزله وامنه بعد خوف وبذل له المال بعد فقر وبوأه مقاما يليق به ولكن أحمد بن الحسن بهره شأن ابن عبدالقادر اموال مكدسة وثروة كبيرة ودخل ضخم ونشاط تجارى في عدن متفوق وأمن مستتب وبالرغم من الأكرام البالغ الذى لقيه من مضيفه فإن العاقبة لم تكن محموده إذ كان الرجل يدرس الأوضاع ويتفهم على نواحى القوة والضعف لحاجة في نفسه ظهرت فيما بعد وفي الوقت الذى كان ابن عبدالقادر يفكر في كل شيء يوفر لضيفه الراحة كان الضيف يفكر بدوره كيف يمكن انتزاع السلطة من يد هذا الأمير وفى هذه الأثناء وصلت إشارة من الإمام لابن عبدالقادر بتسليم ابن أخيه فوراً أو فليستعد لحرب طاحنة . فعظم الأمر علي ابن عبدالقادر والمروّة والشهامة تأبى عليه تسليم ضيفه ولكن قوة الإمام لاتطاق ولا قبل له بها ولكنه لم يعدم الحيلة فاوعز إليه بالأمر ودله على الملجأ الأمين ولم يكن غير يافع ولربما مهد لذلك بن عبدالقادر حيث يجد الضيف اللاجيء التأهيل والإكرام والمتعة وحيث لايستطيع الإمام ان يهددا ويتوعد وبهذه الحيلة استطاع ابن

عبدالقادر ان يفلت من خطر الإمام وعلم الإمام ان ابن أخيه لجأ إلى يافع . واتخذ الإمام أسلوباً آخر حيث ارسل القاضى أحمد الحيمى عام ١٠٥٣هـ إلى يافع ليبذل مساعيه بطرق وديه وإعطاء الضمانات الكافية لأحمد بن الحسن واستطاع الحيمى ان يستميل أحمد بن الحسن وقرر العودة إلى صنعا ولم يمانع اليافعيون عودة أحمد بن الحسن إلى بلاده بمحض إرادته وعاد ابن الحسن إلى صنعاء وزالت الجفوة بين العم وابن أخيه ولزيادة تأكيد أواصر القربى فقد زوج العم احدى بناته لابن أخيه وبقى الصفى يذكر ليالى عدن الملاح وثروة ابن عبدالقادر الضخمة وممتلكاته التى تدر عليه دخلا كبيرا والنشاط التجارى وازدهار التجارة بعدن وماتدره من دخل على الأمير كل ذلك يداعب خيال صفى الإسلام أحمد بن الحسن وأخذ يدبر الخطط ويتوق الى اليوم الذى يقود جيشا لجبا لاحتلال عدن ولحج وابين لينعم بخيرات هذه المقاطعات الغنية وفي عام ١٠٥٤هـ توفى الإمام المؤيد وتولى بعده اخوه أحمد بن القاسم ولكن اخوه إسماعيل نازعه السلطة وانضم إليه الكثير من المقاتلين وظفر بالإمامة وتم له الأمر ولقب نفسه بالمتوكل على الله وكان الصفى من انصار عمه إسماعيل وهذا الإمام كان على علم بأمر بن عبدالقادر الذى يتسع نفوذه وتخطب وده القبائل المجاورة وعلى دراية بأهمية المنطقة بالنسبة لليمن ولربما ان حديثا بهذا الشأن قد دار بن الإمام وابن أخيه ولربما أن الصفى شجعه على احتلال عدن وافشى له مالاحظه وماتوفر له من معلومات وان احتلال عدن سيشد من قوة الدولة فلم ير الإمام من بطل لهذا الأمر غير أحمد بن الحسن والذى كان قد خطط لهذا الأمر واعد له عدته فجهز الإمام جيشا لجبا وجعل قيادته لابن أخيه صفى الإسلام وصادف في القلب هوى واشترط على عمه انه في حالة النصر ان تكون ثروة ابن عبدالقادر ملكا له دون غيره فوافقه الإمام واعطاه صكا بذلك وتحرك الجيش الإمامى متجها إلى لحج وعدن واستعد الأمير حسين بن عبدالقادر لمحاربة هذا الجيش الغازى بقوة غير متكافئة .

المعـركـة

وتدفقت القوات الإمامية على لحج ووقف بن عبدالقادر أمام هذه القوات وبدأت المعـركة واشتبك الفريقان في معارك رهيبة وابدى الأمير بقواته المحدودة شجاعة نادرة وثبت قومه إلى جانبه وقاتلوا قتالا مريرا ولكنه رأى أنه لا فائدة من استمرار الحرب إذ كان يرى حالة قومه وقلتهم وكثرة قوم الإمام علاوة على النجدات المتوالية وان استمرار الحرب سيعرض المدن إلى الخراب والدمار ففضل العودة إلى يافع تاركا وراءه املاكه وامارته تحت رحمة صديقة بالأمس عدوه اليوم أحمد بن الحسن ودخل أحمد بن الحسن مدينة عدن فاتحا منتصر واستولى على خزائن وأملاك بن عبدالقادر وكانت ضخمة وعرف أعوانه ذلك حيث أخذ يتصرف فيها كما يشاء فانكروا عليه ذلك فاظهر لهم الصك بتوقيع الإمام يمنحه كل ممتلكات الأمير حسين وتعتبر هذه أول مرة لحكم الأئمة على هذه المقاطعات واستمر حكم الدولة القاسمية لعدن ولحج من عام ١٠٥٤هـ إلى عام ١٠٩٢هـ = ٣٨ عاماً.

وقفـة تـأمــل

يجدر بنـا أن نقف برهة لنتأمل ولنتساءل أين تاريخ الدولة العفيفية ودولة آل هرهره وهل مرت الأزمان بدون أن يكونوا قد مثلوا أدوار تستحق التسجيل وكيف كانت المجتمعات اليافعية وكيف كانت الروابط والنظم التى يحتكمون إليها وماهى المميزات التى تمتاز بها هذه القبيلة ثم نتساءل كيف توصل السليمانى ثم العبدلى إلى حكم لحج وعـدن ومتى وكيف ولماذا تفوقوا على سكان هذه المناطق كزعامة الخرمان على آل قطيب وزعامة آل علي على آل صهيب وهما القبيلتان القويتان وهل هذه الزعامة أو الحكم اتتهم من قبيل الصدف أم انها الكفاءة الحربية والسياسية والفكرية أم ان الشجاعة كانت سبب ذلك أم ان وحدة اليافعيين كانت هى العامل الأساسى أم من مجموع ذلك وصلوا إلى ماوصلوا إليه ان هذه الأسئلة ستظل حائرة بدون جواب لها يشفى الغليل ولانجد مايساعد على الجواب مما في أيدينا ونستغرب لماذا اهمل المؤرخون تاريخ هذه الدول في يافع ولحج وعدن وابين ومن منهم تفضل وسجل لنا دولة السليمانى وكيف كان عهد هذه الدولة منذ نشأت حتى انتهت أو سجلوا عن تواجد يافع بهذه المناطق ولماذا اننا سنظل نسأل ولانجد الجواب إلا ماسجله الأمير أحمد فضل والذى القى بعض الضوء على وجود هذه القبائل بدون تفصيل ماعدا قبيلة السلامى التى كتب عنها وأجاد رحمه الله .

متى تمركزوا في هذه المناطق

لايعلم بالضبط تواجد هذه القبائل بهذه المناطق ولعل ذلك عريق في القدم ولأسباب مجهولة قد تكون :

١ ـ الخلافات الأسرية قد تكون من الأسباب التى نتج عنها ترك الوطن والمال واللجوء إلى حيث الأمن والاستقرار وبمردود الزمن تأقلموا بالمنطقة التى تمركزوا بها وكان لهم مالأهلها من الحقوق ولكثرة النسل استطاعوا ان يمتلكوا الأرض ويبنوا العمارات ويؤمنون مناطق ممتلكاتهم ويحمون فلاحيهم وتظهر كفاءتهم الإدارية والحربية فيضطر السكان المجاورون لهم للاستعانة بهم لحل مشكلاتهم وارتضوا بهم حكاما فوجدوا فيهم ضالتهم المنشودة فوصلوا إلى ماوصلوا إليه من مكانة مرموقة .

٢ ـ وقد تكون من الأسباب جدب الأرض وقحطها مما يضطر البعض إلى الرحيل إلى حيث الرخاء والخصب فيرغب البعض بالبقاء بعيدا عن وطنهم وقد تكون هذه من أهم الأسباب التى اضطرت الكثير من يافع إلى ترك بلادهم ولأن هذه المناطق لم تكن بعيدة عن موطنهم لتظل علاقاتهم بأهلهم دائمة الاتصال .

اهمـــــال

ونستنـطق التاريخ عن الفترة من عام ٨٥٠هـ إلى عام ٩٥٨هـ عن التنافس الذى أدى إلى عداء بين الإخوان آل أحمد وكلد في عدن مما أدى إلى ذهاب قبيلة كلد إلى الشحـر برئاسة الشيخ مبارك بن صالح الكلدى لاستشاره أمير الشحر سعيد بن مبارك الكندى لاحتلال عدن ولكن الأمير لم يران الوقت مناسب ولكون الشيخ مبارك من ذوى الرأى والادراك فقد جعله مستشارا له حتى توفاه الله ثم خلفـه ابنه محمد بن سعيد بن مبارك الكندى فاولى ثقته للشيخ مبارك الكلدى وجعله وزيرا له وأعاد الكرة الشيخ الكلدى على الأمير وحسن له غزو عدن وجعل نفسه وقبيلته تحت قيادته فصادف هوى في نفس الأمير وأخذ يعد العدة ولكن كما يقولون تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن والقت الأمواج بالسفن على الساحل بعد ان غرق معظم العتاد وبعض الرجال وأسر الأمير بيسر وسهولة : لم نجد تفصيلا عن آل أحمد وآل كلد وعن الأسباب التى دعت إلى هذا العداء الذى أدى إلى أسوأ النتائج .

ولم نجد تفصيلا عن المعارك التى دارت بين يافع ودولة بنى طاهر في حدود عام ٨٩٣هـ إلى عام ٩٠٣هـ وانتهت باخراج يافع من عدن أى من بقى منهم وعددهم خمسمائة نسمة من رجال ونساء وأطفال وحتى احتلال عامر بن عبدالوهاب ليافع عام ٩٠٣هـ لم نجد في التاريخ إلا هذه الكلمات. ان عامر بن عبدالوهاب جرد حملة على يافع واحتلها وشرد العصاة من أهلها. وكفى ولم نحصل على تفاصيل لهذه المعارك ومن هـم هؤلاء العصاة وإلى أين شردهـم ابن عبدالوهاب ويصمت التاريخ عن يافع حتى تحل سنة ١٠٦٥هـ فيخرج من صمته ليقول ان جيش المتوكل على الله قد احتل يافع وانهزم اليوافع أمام قوات الإمام وسنذكر مالدينا عن احتلال الإمام ليافع .

احتلال امام اليمن ليافع

تفضل الجرموزي بشيء عن تحركات جيش الإمام لاحتلال يافع وذكر انه في يوم الخميس وبدون ان يذكر الشهر في عام ١٠٦٦هـ ستة وستين وألف تقدم محمد بن الحسين بقواته إلى الخلفة وأذعن له ممن يخاف بطشه إلا أن يافع ومن انضم إليهم وهم ألوف لاتعتد تحصنوا بالجبال الشوامخ منها العر وهو جبل حصين فعمروا فيه دوائر مرتفعة ومتارس ملتوية وشحنوها بالرجال والبنادق وكثر جمعهم في هذا المحل حتى لايقال فيهم بعدد معلوم غير الكثرة وانه بلغ إلى سيف الإسلام ان السيد سالم خرج مؤيدا ليافع وأرسل سيف الإسلام جيشا لملاقاته ولما وصلت طلائعه لاحور علموا بعودته إلى بلاده ومعه جماعة من يافع ويذكر ان بعضا من يافع الذين كانوا يرقبون وصول السيد سالم عاد الكثير منهم إلى ذى ناخب أما عز الإسلام محمد بن الحسين فقد استعرض قواته وهجم بهم إلى أسفل نقيل العر ويسمى الشرف وأراد الرجوع ولكن مقدمات جيشه اصطدمت بمقدمات يافع ويسمون الحضارمة ولم يتمكن من أرجاع قواته إليه ولم يكن قد اعد العدة واستعر وار الحرب وكان بالقرب منه صنوه أحمد بن الحسين فما وسعهم الا اقتحام ميدان المعركة وقتل من يافع كثير وهزمت يافع وتعقبهم جيش الإمام حتى الجأو هم إلى العر وكان يافع قد خندقوا وحصنوا الجبل ولكن جددوا الهجوم مرة أخرى (أى أصحاب الإمام) فقتلوا من يافع كثيرا وغنموا اسلحتهم وتقدم عز الإسلام بمن معه إلى مرفد وفيه بيوت آل الشيخ على بن هرهره واستولوا عليها واستمر الجرموزى يقول وجموع يافع أرتحلوا إلى مواضع أخرى محصنة وظل الحرب مستمرا طول اليوم وجاءت النجدات الأمامية فهرب يافع وبعد ذلك وصل عقلاؤهم يطلبون الأمان فأمنهم وأكرمهم وقد تلكأ عن المبادرة أهل ذى ناخب إلا أنهم طلبوا الأمان بعد أن استسلم بن هرهره ثم ذكر الجرموزى ان ابن عفيف منع رجال الإمام من التعرض

لخرص مزارعه وجهز الإمام بحمله عليه وعلى من أجابه من أهل ذى ناخب وزحف جيش الإمام إلى اعلا جبل النفاج ومحل آل فرج ثم تحولت المعركة إلى ذى ناخب وتم النصر لجيش الإمام وطلب ابن عفيف الأمان وارسل هو وعقلاء ذى ناخب إلى اليمن ومات بن عفيف وأحد زعماء اهل ذى ناخب باليمن ثم انه وصف يافع فقال قبائل يافع قوم كثير وروساء كثيرون ولكنهم لايحتكمون لاحد منهم هذا أهم ماقاله الجرموزى بتصرف بسيط.

وخلاصة ماقاله ان عز الإسلام محمد بن الحسين بن القاسم توجه إلى يافع فسار إلى الخلقة ببعض العسكر واستقر بها يومين ثم تقدم في نهار ١٩ جمادى الآخرة عام ١٠٦٥هـ (هنا تناقض في التاريخ انظر ص٥٠ ويبدوا ان الأعداد للحملة كان أواخر عام ١٠٦٥هـ والهجوم كان أوائل عام ١٠٦٦هـ)، إلى سفح جبل العر حيث توجد فرقة يافعية به ودارت معركة حامية بين الفريقين قتل بها جماعة من عسكر الإمام ثم حملت عساكر الإمام على يافع وهزموهم من سفح الجبل إلى أعلاه وطلع بعدهم عسكر الإمام واحتلوا الجبل ثم دخلوا مرفد وتجمع عدد كبير من قبائل يافع وحاصروا عسكر الإمام واستنجد محمد بن الحسين بأحمد بن الحسن فبادر بجيوش كثيرة إلى مرفد وتمكن من قهر قبائل يافع التى انهزمت ثم طلبت الأمان وحينها دخلت عساكر الإمام إلى الموسطة وتولى شرف الدين بن المطهر بن شرف الدين أميرا على البلاد ثم أمر الإمام ابن أخيه الحسين ابن الحسن بن القاسم بأن يكون حاكما على البيضاء ويافع واستمر على ولايتها وهو في رداع ويبدأ حكم الأئمة على يافع من عام ١٠٦٥هـ إلى عام ١٠٩٢هـ = ٢٨ عاما.

ولم تمر هذه الأعوام بدون ثورات إلا أنها سرعان ماتقمع ولكن عبث الزيود وفساد اخلاقهم وتكبرهم وتكرار اهاناتهم ليافع وارهاقهم بالطلبات التى لا نهاية لها بدأ اليافعيون يفكرون في الأمر وفي عهد الإمام المهدى محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم الشهير بصاحب المواهب ازداد الضغط على يافع وعلى دول الجنوب المجاورة وكما يقال كثرة الضغط يورث الانفجار ولم يعد هناك استطاعه لتحمل الاهانات وكثرة الطلبات وبدأ اليافعيون يعلنون كراهيتهم للزيود ويظهرون

تذمرهم وعدم الصبر على عبث عسكر الإمام وكان يافع على قدر كبير من المعرفة حيث كان الشيخ علي بن هرهره مرشداً دينياً عينه الشيخ أبوبكر بن سالم مولى عينات عام ٩٩٢هـ واستطاع ابن هرهره ان يتجول في ربوع يافع ناشر الدعوة الدينية وكان لها الأثر الطيب في نفوس الأهالي وإزداد تمسكهم بأحكام الدين وأدابه واحتل الشيخ علي بن هرهره من قلوب السكان المحل المكين وازداد حبهم له إلى ان استجاب نداء ربه وخلفه ابنه أحمد وحل محل والده إلى أن توفى وخلفه ابنه صالح بن أحمد بن علي بن هرهره وكان محل الثقة من يافع ومرجعا لهم في الأمور الدينية بل ولما لديه من كفاءة استطاع ان يحل مشاكلهم وفي عهده كانت الصدور تغلى بالاحقاد على جنود الإمام ورياح الثورة تهب وبدأت اتصالات بين يافع الاعلا والأسفل وبعد أخذ ورد وبكل تكتم وسرية اتفق الرأى على تنصيب الشيخ صالح بن أحمد سلطانا على يافع الاعلا إذ وجد مافيه الزعيم الدينى والقائد المحنك والمفكر السياسى والتفوا حوله ومنحوه الولاء والسمع والطاعة وكان أول عمل قام به ان عقد حلفا مع السلطان معوضه بن محمد بن عفيف سلطان يافع الأسفل وكان ذلك على مايبدو حول عام ١٠٩١هـ.

إعلان الثورة من يافع

وأعلن السلطانـان نقمتهم على الأوضاع القائمة وعلى حكم الأئمة وشمخوا بانوفهم على عمال وجنود الإمام واوقفوا طلباتهم عند حدها مما عجل ببدء المناوشات ثم المواجهة في معارك ضارية وكان النصر دائما حليف يافع في كل خطوة يخطونها في طريق تحرير وطنهم من الحكم الإمامى الجائر وكان التذمر قد عم الجنوب باسره والحقد والكراهية تملؤ القلوب وما ان سمعوا باندلاع الثورة في يافع والانتصارات المتلاحقة حتى هب السلاطين والأمراء المجاورون للانضمام إلى حلف يافع على أن تظل القيادة للسلطان العفيفى والسلطان بن هرهـره وتم ذلـك وكونوا جبهة موحدة قادرة على التحرك وهذا شأن الوحدة المنظمة الخاضعة لسلطة حازمة مصرة على النصر وقـد تمثلت في هذه الـوحـدة كل المقومات المؤدية إلى النصر وتوالت الضربات على جيش الإمام بالرغم من عناد جيش الإمام الذى أطال أمد الصراع ولكن في غير صالحه وما هل عام ١٠٩٢هـ حتى وجد جيش الإمام نفسه وراء الحدود اليافعية مدحوراً مهزوماً وبذا تكون يافع قد أجلت أخر جندى أمامى من بلادها في العام المذكور آنفا وتحررت مقاطعة يافع وكذا اتجهت كل القوات لتحرير مابقى من الجنوب وتم النصر وتخلص كل الجنوب من كابوس الحكم الجائر.

إلا أن الإمام لم يتحمل هذه الضربات ويقبع في مكانه فقد جمع قوات ضخمة هجم بها على خرفه وحالين عام ١١١٢هـ واحتلها فأسرع السلطان معوضه بن عفيف بجيش من يافع واصطدم بجيش الإمام إلا أن النجدات من يافع أخذت تتدفق على خرفه وحالين وهزم جيش الإمام وولى الأدبار وأخذ الجيش اليافعى يطاردهم حتى اعادوهم إلى المناطق التى جاءوا منها.

أساليب أخرى ماكره

ولما رأى الإمام ان كفة الحرب ترجح في صالح يافع وحلفائهم وايقن ان استمرار المعارك سوف تكلفه غالياً ولربما هزت عرش الإمامة ولا سيما وقبائل الجنوب الموحدة والمعروفة بالشجاعة وحب التضحية لن تفلح معها قوات الإمام لهذا عمد إلى أسلوب جديد أسلوب المهادنة والتودد وإظهار الأسف على مامضى من سوء التقدير وعدم فهم العمال لمكانة الرؤساء والعقلاء مما أدى إلى أسوأ النتائج وبدأ يراسل السلاطين بأسلوب يختلف جدا عما سبق وطلب يد بنت السلطان قحطان بن معوضه بن عفيف الذى تولى الحكم والقيادة بعد والده عام ١١١٤هـ واصدقها الإمام حمولة عشرين جملا من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والملابس والبنادق والخناجر المذهبة وعلم الأمير أحمد قاسم بن شعفل الحالمى بهذه الحمول فعرض لها واقتادها واستولى عليها وهذا مايريده الإمام ويلغ النبأ إلى السلطان قحطان واعتبر أقدام الأمير الحالمى على هذه الفعلة اهانة لايمحها إلا الدم أو إعادتها كاملة مع الاعتذار وكادت ان تنشب الحرب بين الحلفاء لولا ان السلطان ناصر بن صالح هرهره وعددا كبيرا من يافع الاعلا والأسفل هبوا إلى مكان الحادث وابلغوا الأمير الحالمى خطورة الموقف وان الأقدام على عمل كهذا معناه الخروج من الحلف ومعناه الفتنة وسفك الدماء التى لايستفيد منها غير العدو المتربص فاستجاب الحالمى ليافع وعقد اجتماع حضره السلاطين والأمير وقدم الاعتذار الحالمى لابن عفيف وارجع القافلة بما عليها سالمة وعادت الأمور إلى مجراها الطبيعى وسلك الإمام نفس المسلك مع سلطان العوالق وسلطان آل فضل وتعرضت وحده السلاطين من جراء ذلك إلى هزات.

فمن ذلك ميل السلطان الفضلي إلى الإمام وتنكره للحلف المبرم الذى وحد شعوب الجنوب وطلب من الإمام بعض الجنود لاعانته وحمايته وخاب ظنه إذ انقلبوا

عليه واستأثروا بالأمر دونه وكانوا يملكون السلاح والقوة وأنار بعض السلاطين مشكلة الحدود وكاد الأمر ان يتحول إلى فتن وتمزق ولكنهم في حالة اصغاء لصوت العقل ادركوا الخطر الذى يهددهم ولاحظ بعض السلاطين مايقاسيه الفضلى من عنت عمال وجنود الإمام فبعد اتصالات اتفقوا على عقد مؤتمر بسيلة ذى ناخب اسفل كلد وحضر الجميع وعرضت المشكلات التى سببت هذا الفتور في العلاقات وحلت جميعها وفوتوا الفرصة على الإمام. وهناك رسمت الخطط لتحرير الجنوب من حكم الأئمة وعلى أثر ذلك جهز السلطان قحطان حملة عسكرية على لحج وعدن واحتلها ولكن عساكر الإمام استعادتها وفي عام ١١١٧هـ جهز السلطان ناصر بن صالح هرهره حملة عسكرية على الرعارع ولحج وحاصر قلعة حمادى واحتلها واخرج منها الزيود وحاصر قلعة الطرية في ابين وحال بينها وبين حاميتها وبين امدادات الإمام حتى اخلوها ليلا واستولى عليها رجال السلطان قحطان واستمرت المعارك تحت هذه القيادة اليافعية الموحدة حتى أجلوا عساكر الإمام ودفعوهم إلى خارج الحدود بل لاحقوهم إلى جبن ونعوه والربيعتين والظاهر وجبل حرير وحالمين وتم النصر ليافع.

نجدة يافع لسلاطين حضرموت

لم يقنع يافع بتحرير أرضهم من حكم الأئمة بل ساروا لانقاذ من بحضرموت من أهل السنة بعد أن استفزهم السيد علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن حسين بن أبى بكر بن سالم مولى عينات عام ١١١٦هـ لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري الذى انتحل مذهب الزيدية وتعصب لشعائره في حضرموت كما ان بدر بن محمد المردوف الكثيري استنجد بيافع وذهب إلى يافع بنفسه وقدم عقائر كما هى عادة القبائل وطلب من السلاطين النجدة فأمدوه بستة آلاف مقاتل برئاسة السلطان عمر بن صالح بن هرهره شقيق السلطان ناصر بن صالح بن هرهره وزحف بهم على حضرموت واحتلها جميعها وازال بدعة الكثيرى وعاد السلطان عمر بن صالح بمن رغب معه من يافع إلى بلادهم يافع عام ١١١٩هـ.

ولم تكن هى الحروب النهائية بين يافع وائمة اليمن فقد عاودوا هجماتهم عدة مرات وكلها باءت بالفشل أخرها كانت الحملة التى وجهها الإمام يحيى بن حميد الدين على ذى ناخب عبر أرض الكسادى وبنى عصر وتصدى لها الكسادى ومن كان معه من قبائل بنى عصر واستمرت المعركة طوال الليل ولم تشرق الشمس إلا وتتابعت النجدات من آل ذى ناخب وآل يزيد وآل سعد وكلد واليهرى وهزمت قوات الإمام هزيمة شنعاء وتركوا وراءهم عددا من القتلى والجرحى والأسرى وكميات كبيرة من العتاد والأسلحة وعلى مايظن إنها كانت مابين عامى ١٣٣٩ في ١٣٤٠هـ وتعتبر هذه هى أخر المحاولات الإمامية.

بعض ماقيل من الأشعار في هذه الحروب

قحطان ذى يشبه على بالمهد ذى لا خرج فلعاد يرتد
ظلت خيوله تحت قاع الجند تشهد له الزينات تشهد

قال الآخر :

وأجدادكم من قبلكم ذي قد مضوا بأول زمن
قد اخرجوا الزيود والأتراك حمران الوجن
قحطان ذى خذها من المعسال إلى سدة عدن

ومما تقدم يتضح لنا ان هذه المناطق وقعت تحت حكم أئمة اليمن واعنى بهم الإمامة القاسمية كانت كما يلى :

المنطقة	من العام الهجرى	إلى العام الهجرى	مدة الحكم العام الهجرى
عدن ولحج	١٠٥٤هـ	١٠٩٢هـ	٣٨ عاما
دول الجنوب	١٠٦٥هـ	١٠٩٢هـ	٢٨ عاما
حضرموت	١٠٦٩هـ	١٠٩٢هـ	٢٣ عاما

ومما سبق نعلم أنه في عام ١١٥٤هـ اعلن الشيخ فضل بن علي بن صلاح بن سلام السلامى الكلدى استقلال لحج وعين نفسه حاكماً عليها وإنها إمارة مستقلة تملك مقومات الدولة وأما عدن فقد كان الحكم فيها ثنائيا بين الشيخ فضل وبن عفيف ولكن الشيخ فضل استقل بحكم عدن عام ١٧٣٥م مقابل خمسمائة ريال تدفع سنويا للسلطان سيف العفيفى واستمرت الدولة العبدلية تحكم هذه المنطقة لحج وعدن وكان لها تاريخ مشهور لها مكانة معروفة في العالم العربي ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب هدية الزمن.

وقفـــــة

مما سبق ندرك مدى الصراع الدامى الذى دام طيلة ٣٨ عاما في عدن ولحج و ٢٨ عاما في يافع ودول الجنوب الأخرى وكان من المفروض ان تسجل حوادث هذه الأعـوام بدقـة مع كثـير من التفصيل ولكن ومـع الأسف لم نجد الانتفا مبعثرة وحكايات يتناقلها سكان يافع ولعل التغيير والتحريف والمبالغة قد داخلتها وكان ينبغى على حملة الاقـلام في ذلـك الـوقت ان يسجلوا الـوقائع ومواقف كل من المتصارعين وكيف انتصر يافع ودول الجنوب على قوات الإمام اننا لم نجد مايشفى الغليل والأسبـاب مجهـولـة بينما نجد تسجيلا للوفيات من شرق الأرض وغربها وللسيول والأمطار والصواعق ومرور السفن والرحالة ونشاط أو كساد التجارة بينما هذا الصراع الـدامى والتحـرير الشـامل الذى شمل الجنوب بأسره بما فى ذلك حضرموت لم نجد إلا إلمامات يسيرة لاتلقى الضوء كاملا ولكنا ندع ذلك لاستنتاج من يملك الموهبة التاريخية ولابد ان تظهره الأيام المقبلة إن شاء الله ولاسيما في هذا العهد الذى توحدت فيه أجزاء الجنوب تحت سلطة واحدة.

استـــــدراك

من الأفضل ان نسجل ماتيسر لنا جمعه عن يافع واليمن وقد يجد القارىء بعض الحقـائق لأكلهـا وهى مستقاه من وثائق في يافع عند بعض من المشائخ لخصها صديقنا الأستاذ صلاح البكرى بما يلى :

كانت بلاد يافـع حتى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى احدى المقاطعات الملحقة باليمن وكان إمام اليمن وهو في الوقت نفسه تابع للدولة العثمانية يعين أحد ابنائه حاكما على يافع وقد يعين هذا الأمير من يثق به ويعتمد عليه على يافع بالنيابة عنه ويظل هو في اليمن ولعل أخر من عين من الأمراء اليمنيين على يافع هو الإمام عبدالعلى بن أحمد الاهدل الحسين ولعل أخر نائب أو حاكم هو صلاح بن أحمد مسمار وهو الذى أصلح الطرق ومهد العقاب حتى جعلها صالحة لسير الدواب والمشاة وأهم هذه العقاب نقيل بني بكر وذبوب وتوزلى وشرعه والأمير الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد هو الذى انشأ مسجد النور سنة ١٠٨١هـ وكان مركز إدارته في بلدة مسجد النور ولاتزال الدار التى كانت تصدر منها الأحكام والأوامر قائمة في مسجد النور حتى اليوم .

وعندما سرى الضعف في حكام اليمن لضعف الخليفة العثمانى وازداد التخاذل والتناحر على المراكز قلت الرقابة على يافع إلى حد كبير واهملت شئونهم كل الاهمال وكـانت النتيجـة ان أخذت قبائل يافع تنفصل عن سلطان اليمن تدريجيا حتى انفصلت انفصالا تاما واخذت كل قبيلة تلجأ في حل مشاكلها وفي اصلاح ذات بينها إلى رجل منها ذكى قوى الشخصية بعيد النظر محب للخير.

ولما تولى الحكم في اليمن الإمام حسين بن مهدى بن عامر طمع في ضم يافع إلى اليمن وكان ينظر إلى يافع كعدو قوى الشكيمة جاثم على حدوده ومن أجل ذلك جمع بعض القبائل في رداع وارسلهم بقيادة عامر بن صالح لمحاربة يافع في جمادى

الآخرة سنة ١١٠٢هـ.

ويلغ الخبر يافعا ان جيش الإمام سيهجم عليهم من ناحية قعطبه فاجتمع عدد كبير منهم على مقربة من قعطبه لصد هجوم الزيود ولكن عامر بن صالح فاجأ يافعا بالهجوم على خرفة وهناك اصطدم بقوم من يافع واستمرت المعركة حامية الوطيس من الصباح حتى غروب الشمس وانسحب الزيود الى قعطبه تاركين وراءهم عددا من القتلى والجرحى ولقد كان لهذه الهزيمة التى لم يتوقعها الإمام أثر سيء في الزيود وارادوا الأخذ بالثأر فحشد الإمام ثلاثين ألف مقاتل في قعطبه وجعل عليهم ابنه الأمير قاسم وهجموا على خرفة ليلا واحتلوها وقتلوا كثيرا من حاميتها وكان هذا النصر الذى حازه الزيود أكبر مشجع للإمام على الاستمرار في محاربة يافع فقد سار بنفسه إلى رمث وجهز عشرين ألفا مقاتل وارسلهم إلى جبن للهجوم على جبل حجيل رَيْو وارسل الى جيشه المرابط في خرفه ليهجموا على جبل حجيل تيم وهجم الزيود في يوم واحد على حجيل ريو وحجيل تيم واجتمعت بعض قبائل يافع بجربة غالب واتجهوا إلى ريو ونهض السلطان معوضه العفيفى وجمع من بنى قاصد عددا كبيرا وسار بهم إلى تيم وعلى سفح الجبل تلاقى الزيود ويافع واشتدت المعركة وانتهت بهزيمة جيش الإمام بعد ان قتل عدد كبير من الفريقين ثم عقد صلح تعهد فيه الفريقان الا يتعدى احدهما على الآخر انتهى[1].

---

(١) المرجع في شرق اليمن يافع ومابعده ملخص منه.

نقض الصلح

ولم يطل أمـد هذا الصلح فقد بدأت التحرشات من قبل الإمام ويهاجم أطراق البلاد وإزاء هذا فلم ترد القبائل اليافعية التى تقيدت بالصلح ولم يتقيد به أمام اليمن واغـتر الإمـام بعـدم الرد على التحرشات فأخذ يحشد القبائل في الخربة وماحواليها حتى بلغ عددهم نحو الأربعين ألف مقاتل وعلم يافع بذلك وعقدوا اجتماعا بالمحجبة ومنها إلى عنتر سلخ ربيع الأول عام ١١٠٣هـ وقضوا بها ليلة وفي صباح الثـلاثـاء تحركت القبائل اليافعية وتتابعت النجدات من كل أرجاء يافع وكانت وجهتهم الخربة حيث التجمع لقوات الإمام واحاطوا بها من جميع جهاتها ثم شنوا هجـومـا قويا واشتبكـوا في قتال عنيف استعملت قوة البنادق والسلاح الأبيض وحـاولت بعض قوات الإمام الفرار ولم يمكنوها يافع من ذلك وعمد الزيود إلى اللجوء إلى بيوت الخربة في مقاومة يائسة وقل عليهم القوت وارسل الأمير يوسف كتاب للإمام يشكو إليه ماحل بجيشه وطلب منه الانسحاب والعودة إلى داخل حدود اليمن ووقع الكتاب بيد يافع ولم يصل إلى الإمام وبلغ الأمير ذلك فطلب الهدنة من يافع والانسحاب فأجابه يافع إلى ذلك وعاد بفلول جيشه ومرت شهور ساد فيها السكون المشوب بالترقب والحذر حتى بلغ إلى علم يافع ان الإمام يعد العدة في بلد الزاهر وحضر الإمام بنفسه إلى الزاهر ليشهد الموقف وليرفع من معنوية جيشـه وتـوافـدت قبـائل يافع صوب العر قريبا من الزاهر في أول رمضان عام ١١٠٤هـ وعلم يافع ان السلطان أحمد بن علي الرصاص قد انحاز إلى الإمام ومعه اتباعه لأسباب مجهولة ولكن عقلاء يافع اعنى بهم سلاطين يافع ورؤساء القبائل استـطاعـوا ان يؤثروا على السلطان الرصاص فانضم إليهم مع قومه والسلطان معوضه من جهته هب من عاصمته الثانية ابين ومعه قبائل بنى قاصد إلا أنه وافاه الأجل في القارة يوم ١٣ رمضان عام ١١٠٤هـ وحل محله ابنه قحطان وفي أواخر

رمضان وصل السلطان قحطان إلى العر بجموعه الكثيرة من المكاتب الخمسة وفى ٢ شوال عام ١١٠٤هـ وصل إلى العر السلطان أحمد بن على الرصاص وعشيرته وعقد مؤتمر بين السلاطين انتهى بوحدة لا انفصام لها وتعاهدوا على ان يكونوا كتلة واحدة وان يقوموا بواجب الدفاع عن البلاد مهما كلفهم ذلك من تضحيات وتقابل الفريقان يافع والإمام في الدرب وكانت معركة رهيبة قتل فيها عدد كبير من الفريقين وبدأت إشارة النصر ترفرف في جانب يافع وعلت الهزيمة النكراء بقوات الإمام وفرت البقية من قوات الإمام إلى البيضاء.

وقررت القبائل اليافعية ان تلاحقهم إلى داخل حدود الإمام فاحتلوا الزاهر وحاصروا البيضاء واشتبكوا معهم في معارك انتهت بطلب الهدنة من قبل قوات الإمام فقبل يافع منهم هذا الطلب على ان يتم انسحابهم من البيضاء وتم ذلك وانسحب جيش الإمام إلى نجد السلف ثم إلى صنعاء بعد معارك في نجد السلف أدت إلى تجريد قوم الإمام من السلاح والسماح لهم بالعودة إلى صنعاء.

وفي الوقت الذى كان يافع مشغولين بحرب الإمام في العر والبيضاء ونجد السلف قامت فرقة من الزيود بمحاصرة قلعة ابين وكان بها عدد من يافع ومنعوا عنهم الماء والطعام ثم هجموا على القلعة واحتلوها وقتلوا معظم حاميتها ولما انتهت معركة البيضاء عقد مؤتمر بسيلة ذى ناخب اسفل كلد من السلطان قحطان بن معوضه العفيفي والسلطان عبدالله بن أحمد الفضلى والسلطان أحمد بن علي الرصاص وعدد كبير من يافع الموسطة وتعاهد الجميع على طرد الزيود من قلعة ابين واستردادها بأى ثمن وفي جمادى الأولى عام ١١٠٥هـ هجموا على القلعة واحتلوها وقتلوا حاميتها من الزيود.

وفي عام ١١٠٦هـ ارسل الإمام إلى يافع لمقابلة ابنه في بلاد الشاعرى ولم يحضر وفي عام ١١٠٦هـ توفى السلطان صالح بن هرهره وتولى ابنه محله.

وفي عام ١١٠٧هـ جهز الإمام ثلاثين ألف من قواته لاحتلال يافع وتجمع يافع اسفل العر من يافع العليا والسفلى ونشبت معركة خسرها الإمام واستولى يافع على كثير من المؤن والسلاح.

وفي عام ١١٠٧هـ هاجم بعض قبائل يافع بنى قاصد قلعة الرعارع وبعد حصار ثم هجوم استسلم الزيود من غير قيد ولا شرط ويقال ان القتلى من الزيود بلغ اربعمائة قتيل ومن يافع مائة وثمانون قتيلا وفي عام ١١٠٩هـ حشد الإمام أربعين ألف مقاتل من حاشد وبكيل وسفيان وعلى راس هذا الجيش ابناءه محسن ويوسف وفي المعسال اصطدم الفريقان واستعملت في هذه المعركة البنادق والسلاح الأبيض وانتهت بهزيمة قوم الإمام وقامت هدنة بين الطرفين لمدة سنة وعند نهايتها بدأت المناوشات بين الفريقين.

وفي عام ١١١٣هـ عقد صلح بين الإمام ويافع بواسطة السلطان عمر بن جعفر الكثيري.

وفي جمادى الثانية عام ١١١٤هـ احتل السلطان قحطان بن معوضه مدينة عدن وفي عام ١١١٤هـ جهز الإمام جيشاً كبيراً لاحتلال يافع بقيادة ابنيه إبراهيم وعبدالرحمن وقام السلطان قحطان بقوم من يافع واتجه إلي حيث يعسكر الزيود في المكان المسمى راكب ونشبت معركة ضارية هزم فيها الإمام وقواته وطاردتهم القوات اليافعية إلى جبن داخل حدود اليمن واخربوها ثم إلى دمث وعادوا بغنائم كثيرة[1].

---

(١) ملخص من كتاب البكرى في شرق اليمن يافع.

تقسيم مقاطعة يافع

تنقسم بلاد يافع إلى قسمين كبيرين يافع العليا ويافع السفلى.

يافع العليا

يافع العليا هى الواقعة في الجزء الشمالي ليافع ويبلغ عدد سكانه كما يقدره البعض بسبعين ألف نسمة وهم أهل جد ونشاط ويزاولون أعمال التجارة والبناء والفلاحة ولهم صبر على العمل وقل ان نجد قطعة من الأرض خالية من العمران أو الزراعة إلا إذا استعصى عليهم تطويعها وهم أهل سفر واحتكاك بالعالم الخارجى ويوجد عدد منهم في اندونيسيا وانجلترا وأمريكا والسعودية والخليج العربي وغيرها واراضيهم مشهورة في زراعة الحبوب وبعض الفواكه ولهم تجارب في اختيار البذور نتيجة لخبرات قديمة وتزرع بلادهم أنواعا كثيرة من الحبوب والتوابل والفواكه والخضار وتعتمد أراضيهم على الأمطار والآبار أما الآن فقد استخدموا الآلات الرافعة للمياه بكثرة والحراثات: ويتمتعون بقدر كبير من المعرفة وسداد الراى وطبيعتهم الكرم والنجدة والشهامة واشتهر منهم في الأوساط التجارية آل العيسائي والتجار منهم كثير إلا أن آل العيسائي أوسعهم ثروة وابعدهم صيتا وفي مناطق يافع العليا تقام الأسواق وتجلب إليها البضائع بأنواعها وازداد نشاط التجارة بعد ان عبدت الطرق للسيارات وأصبحت المواصلات مأمونة وسريعة اتسع نطاق التجارة ففى هذه الأسواق تجلب البضائع والفواكه والمعلبات والشاى من عدن وكذا الملابس بأنواعها وتجلب إليها الأنعام من كل الجهات اليافعية ومن غيرها والآن فقد جلبت رؤوس الأموال وفتحت الدكاكين على أحدث طراز وشيدت المبان الحديثة واصلحت الطرقات الفرعية والمساجد والمدارس وكل ذلك بمجهودهم وأموالهم ويمتاز سكان يافع العليا بالذكاء والدهاء وسعة الأفق في التفكير.

وهم في تقسيم القبائل كالآتى :

١ ـ مكتب الحضرمى .

٢ ـ مكتب الأبعوس .

٣ ـ مكتب الضبى .

٤ ـ مكتب الموسطى .

٥ ـ مكتب المفلحي .

وفروع الحضرمى هم :

(١) آل العطف (٢) آل ضيان .

وفروع البعسي هم :

(١) آلعمرو(٢) آل عبدالصمد (٣) آل الجَرْف (٤) آل بن مَتَّاش (٥) آل هَرَم (٦) آل بَيْهَنَه (٧) آل عَدِيْوه (٨) آل حَرِيب (٩) آل المَضِيْق (١٠) آل الشَّسْعَة (١١) آل بُرْء (١٢) آل حَبَه (١٣) آل طِبْيه (١٤) آل أحمد (١٥) آل المَغْرَا (١٦) آل منصور (٧)١ آل الديوان .

فروع الضُبِي هم :

(١) الطَفِي (٢) الصَّدِى (٣) الصَّلاحى (٤) الشَّرَفِي (٥) السَعِيدى (٦) ابن السَّعْدِى .

فروع الموسطة هم :

(١) آل السَعِيدى (٢) آل المُسْعِـدى (٣) آل الجَـرَادِى (٤) آل اليَسْلَمِى (٥) الحَـوْثَـرِى (٦) آل الرَشِيْدى (٧) العُرْوِى (٨) العِيْسَائى (٩) القعيطى (١٠) الخلاقى (١١) الرَّيْوِى (١٢) الداوودى (١٣) بني ضِبْيَان . وفي الشعيب (١) السِيَل (٢) الأَرْدَف (٣) النجدى (٤) القُرعَى .

فروع المفلحى هم :

(١) الجُربى (٢) مَنْفَرِى (٣) بنو بكر (٤) آل يونس (٥) نَعْمَان (٦) عتارة (٧) الـذَّرَاحِن (٨) آل سليمان (٩) الدَّهَارش (١٠) الطَّالبى (١١) السَّعَدى (١٢) السالمى (١٣) التَّامِى (١٤) المربعى (١٥) كَلْثُومى (١٦) القدامى (١٧) الثَّجر (١٨) ذى كَنِينة (١٩) المشألى (٢٠) الداعرى .

قرى الأبعوس :

(١) الجِحْدُوع (٢) الجرن (٣) بيهنه (٤) ضَبَّه (٥) المغرا (٦) قرية آل أحمد (٧) قرية آل منصور (٨) الديوان (٩) بُرْء (١٠) الشَّسْعَه (١١) عديوه (١٢) المضيق .

قرى الضبى :

(١) ذى صُرَا (٢) المَبْعَل (٣) السَّحْلَه (٤) البُعْسِيه (٥) خَلْوَة بن عمر (٦) رِسَاب (٧) المَوحِسْ (٨) عَنْتَر (٩) بلدة آل عياش (١٠) تى الشَّارِق (١١) قَدْرَه (١٢) لقَمْرَ (١٣) أَلْمَسَن (١٤) سَلَفَه (١٥) المحجَبة (١٦) فَرْدِة (١٧) عَدَانَه (١٨) صَنَاع العليا (١٩) صناع السفلى (٢٠) غيل آل فلاح (٢١) الجِنَاب (٢٢) الخلقه (٢٣) حِلْيَنْ (٢٤) الحصن (٢٥) أَلعَوَاكِب (٢٦) وادى دَان .

قرى الحضرمى :

(١) الثِبْر (٢) صَيْأَن (٣) مَرْفَد (٤) المحاجى (٥) حَبَه (٦) حَطِيْب (٧) قرية المالكى (٨) العَطْف (٩) خِطِهْ (١٠) الجَانِحه (١١) حَبَاط (١٢) النَّصْبَا (١٣) قرية بن ذَيْبَان .

قرى الموسطه :

(١) مسجد النور (٢) مَدْوَر (٣) لَقْمَر (٤) الشَّعْرا (٥) عَلَّهْ (٦) حَوْثرى (٧) جَرْوَه (٨) رِيْد (٩) حديد (١٠) الصِيْره (١١) القُدْمَه (١٢) المصنعة (١٣) أَرْهَل (١٤) الجُبُوب (١٥) ضيْك (١٦) عَقُور (١٧) سِقَّام (١٨) ضَبُوعَه (١٩) النجد (٢٠) صَانِبْ (٢١) حُقْبه (٢٢) الحصن (٢٣) مَحُوس (٢٤) الرَّوضَة (٢٥) حَيْق (٢٦) اليَمْنْ (٢٧) المعزبه (٢٨) المسيطر (٢٩) بَعَالَه (٣٠) حُرْبُم (٣١) حَيْق (٣٢) الهُلَّة (٣٣) عِلاَة بن عامر (٣٤) الدَّهِيَّه .

فروع قرى المفلحى هم :

(١) الجُرْبَه (٢) مَنْفَر (٣) عَثَارَة (٤) بلدة أهل يونس (٥) نَعْمَان (٦) جبل الثَبر (٧) فُحالة (٨) زَمْعَر (٩) دَهَارِش (١٠) خَلَقَه (١١) مَشْأَلة (١٢) بن عَلاَوْ (١٣) دَغْفَرِي (١٤) خُلَّه (١٥) شُكْع.

يافع السفلى : أو يافع بنى قاصد :

يافع السفلى أو يافع بنى قاصد هو الجزء الجنوبى ليافع ويبلغ عدد سكانه

بالتقريب حوالى سبعين الفا وتمتد أراضيهم إلى الساحل من جهة ابين ويطلق على الجزء الساحلى بيافع الساحل وعلى الجزء الجبلى بيافع الجبل وتمتاز هذه المقاطعة بجبالها الشامخة وأوديتها العميقة والطويلة ومساكن بنى قاصد في سفوح الجبال في الغالب كما تمتاز يافع العليا بقلة الجبال حيث تقع هذه المقاطعة على هضبة واسعة في الغالب ويمتاز يافع بنى قاصد بالشدة وقوة الشكيمة والنجدة والكرم ومزروعاته البن والحبوب وتغلب عليهم البداوة ولهم اعتناء كبير بتربية الأنعام إلا أنهم قد أخذوا نصيبهم الآن من المدنية فقد تطورت البنايات وجلبت الآلات المختلفة لرفع المياه والزراعة وهم يسابقون الزمن في تطوير حياتهم وبدأوا في مغادرة البلاد إلى المهاجر اسوة باخوتهم يافع العليا وقد عاد البعض منهم يحمل الأفكار النيرة ويقدم المال بسخاء ويبذل الجهد في بناء المشاريع العامة كشق الطرق وتعبيدها وبناء المدارس والمساجد وهم يحتفظون بعاداتهم العربية من اكرام الضيف ونصر المظلوم إلا أنهم بدأوا في تغيير الأزياء اقتداء بيافع العليا وأرضهم على وجه العموم خصبة وهم ينقسمون إلى خمسة مكاتب وهم :

مكتب كلد .
مكتب آل سعد .
مكتب بهر .
مكتب آل يزيد .
مكتب الناخبى .

مكتب الكلدى يتفرع إلى فرعين :
(١) الجَلاَّدى وفروعه :

(١) بن عبدالهادى (٢) ابن عبدالباقى (٣) المخيرى (٤) العلوى (٥) آل عمر (٦) آل السنيدى (٧) السعيدى (٨) الرهوى قيل ان الرهوي من فروع المنصري (٩) بن لصروح (١٠) الهيثمى .
(٢) المنصرى وفروعه :
(١) آل غازى (٢) البركانى (٣) آل عياش (٤) الجداسى (٥) الربيعى (٦)

الباقري (٧) البكرى (٨) الدعاس (٩) الجره دبى (١٠) الأنعمى (١١) آل نقيس.

مكتب السعدى وفروعه إلى قسمين :

(١) ذوادى وفروعه :

(١) بن ناجى (٢) بن ديان (٣) بن الهندى (٤) آل عمر.

(٢) بن لحمر وفروعه :

(١) عامرى (٢) بن محسن جابر (٣) بن جحاف (٤) آل العبوس.

قرى آل سعد :

(١) فلسان عاصمة الذوادى (٢) الموصف (٣) ذى الشارق (٤) ظلمان (٥) نعوم (٦) البارك (٧) جبل السعدى (٨) الظفر (٩) شمسان (١٠) كدهية (١١) كيناني.

(١) الحربه عاصمة بالحمر (٢) نعمان (٣) ثمر (٤) الحاجب (٥) المصنعه (٦) خلوة آل عامر (٧) شعب البارع (٨) هلام (٩) كحلان (١٠) كدهيه (١١) إريمه.

مكتب يهر وفروعه ينقسم مكتب يهر إلى قسمين :

(١) يهر حمير سبأ وفروعه :

(١) حميرى الجبل (٢) حميرى الوادى (٣) حميرى الوسط (٤) العرى (٥) العلوى (٦) الربيعى.

(٢) يهر الخموسى بن قحطان وفروعه :

(١) خموسى الضبهي (٢) العمرى (٣) المحرى (٤) مسلمى العبدلى (٥) مسلمى العاطفى (٦) الشبحى وذويهر معروف ومذكور وهو أحد ملوك حمير الذين حكموا فترة من الزمان ولعل المنطقة المعروفة بيهر هى المركز الرئيسى لذويهر الملك ويعتبر مكتب يهر اكبر المكاتب الخمسة بكثرة عدده إذ قدر عدد حملة السلاح فقط أكثر من سبعة عشر ألفا وربما زاد عددهم في الوقت الراهن.

مكتب اليزيدى وينقسم إلى خمسة فروع :

(١) تلبى (٢) حمأى (٣) كبابى (٤) نفاجى (٥) سلفى.

(١) التلبى فروعه :

(١) بن عبد (٢) بن سالم معوضه[١] (٣) بن سعيد عامر (٤) بن عاطف (٥) بن جهيد (٦) بن عطاف (٧) بن بوبك حسين (٨) بن جابر على (٩) بن محسن علي (١٠) بن فليس (١١) آل الحاج.

(٢) الحمأى فروعه :

(١) بن محسن سند (٢) بن حمزة (٣) بن أحمد عبيد (٤) بن جر هوم (٥) البراشى (٦) آل السعيدى (٧) بن النقيب (٨) بن جحنون بن عزان.

(١) الكبابى فروعه :

(١) الصهيبى (٢) بن علي سالم (٣) بن عزان (٤) بن محمد معوضه (٥) بن مهدى (٦) أهل دغار (٧) بن جابر عمر (٨) آل الدحوك (٩) بن ناصر مجمل (١٠) السنانى (١١) بن عليان (١٢) بن سلمان (١٣) بن زيد (١٤) بن صالح غازى (١٥) آل عبدالله (١٦) أهل بن طوق (١٧) بن عبدالجبار (١٨) آل عبدالله حسين (١٩) آل سلمان (٢٠) بن بقش (٢١) آل حسين علي (٢٢) آل الرامى (٢٣) آل الهندى.

(٣) النفاجى وفروعه :

(١) بن عسكر (٢) البطاطى (٣) آل الجشاش (٤) بن محمدين (٥) بادخين (٦) آل جابر عمر (٧) بن علي بن صلاح (٨) بن مزاحم (٩) بن جلبين (١٠) السلفى[٢].

---

(١) بن سالم معوضه يرجع في نسبه إلى بن ناجى عمر ناخبي .

(٢) هذا التفريع مستقى من الشيخ صالح محمد بن فليس ونرفق باخر الصفحة ٧٦، مايخص به المقدم عبدالربه اليزيدى.

قرى تلب :

(١) ذراع آل سعيد (٢) الدقه (٣) بيت البجانى (٤) الذراع (٥) المعلامه (٦) القرن (٧) القرية (٨) اسفل مران (٩) نبب (١٠) دار الصلابة وهى العاصمة.

قرى تى حمأ :

(١) مجبهر (٢) لمس (٣) القلة (٤) قرن الحبيل (٥) قرن البراشى.

قرى النفاجى :

(١) قرية آل نفاج (٢) السقل (٣) المحراس (٤) شعب بن عبيد (٥) حوس.

قرى الكبابى :

(١) الشرف (٢) أحرم (٣) ذى جليد (٤) المغراس (٥) المعزبه (٦) الخربه (٧) التعنعه (٨) ذراع آل عليان (٩) حبيل الرامى (١٠) ذراع الهندى (١١) هزاز (١٢) العقلة (١٣) لفواد (١٤) صلول (١٥) حومه (١٦) حبيل البطاطى (١٧) الخضراء عاصمة آل يزيد (١٨) مفلح[1].

مكتب الناخبى فروعه كثيرة :

(١) نشادى (٢) بن طويرق (٣) آل مرشد (٤) بن الحاج (٥) بن علايه (٦) بن جرير (٧) الكهالى (٨) بن ناجى (٩) الشقى (فرعى ونسرى) (١٠) قحيمى (١١) عصري (١٢) كساوى (١٣) عمارى.

وتتدرج عدة فروع لكل القبائل المذكورة اعلاه فإذا تحصلنا على اسمائها فلربما تذكرها.

والشقى الذى تندرج تحت اسمه عدة فروع والذين هم ينقسمون إلى فرعين

---

(١) رواية المقدم عبدربه يقول : يرجع نسب آل يزيد إلى مسعود بن يزيد بن أحمد وينقسمون إلى خمسة أقسام :

(١) كبابى (٢) نفاجى (٣) تلبى (٤) حمأى (٥) سلفى.

(١) الكبابى فروعه عبدالله ـ جبارى ـ ذوادى ـ وحوكى ـ السفانى.

(٢) النفاجى فروعه ـ بن جابر بن عمر ـ البطاطى ـ أهل بن شيخان ـ أهل مزاحم ـ الجشاشى.

(٣) ثلبى ـ سالمى ـ أحمدي ـ بيت الوسط ـ بن سالم معوظه.

(٤) الحمأى ـ بن عزان ـ بن جرهوم السعيدى ـ بن أحمد عبيد ـ بن الشفره ـ بن عليان ـ بن سلمان.

رئيسيين كما تقـدم (١) فرعى . ونسرى فلكل فرع منهم فروع كثيرة وهو أوسع مساحة في الأرض وتسكن قبائل الشقى بوادى سلب والأودية الفرعية له وكان وادى سلب مضرب المثل في الأمس بفضل رؤسائه الذين بذلوا الدم لتأمينه ولأنه كان الـطريق الـرئيسى للمـواصـلات إلى كافـة أجزاء يافع الأعلا ومكتب الناخبى واليزيدى أيضـا وكانت جمال الشقى هى التى تنقل الحمول الى يافع من أرض الفضلى وهى مشهورة بصبرها وتحملها المشاق وسرعة سيرها .

المرأة في يافع

المرأة اليافعية اشبه ماتكون بالمرأة الدوعنيه في حرصها على مال زوجها والعناية التامة ببيتها وتقوم بنفسها في خدمة الأراضى الزراعية إذا لزم الأمر وتشارك الرجل مشاركة فعلية في الحرث وتربية الدواجن وتتحمل مسئولية جلب الماء والحطب غالبا إذا كان ميسورا.

والمرأة اليافعية سافرة الوجه إلا أن ملابسها تغطى جسمها كله ماعدا الوجه وتمتاز بشدة الحياء والعفة.

ولها مركز محترم فى الأوساط اليافعية ولاسيما في هذا العصر إلا انه يغلب عليها الجهل حيث لايوجد من يقوم بالتوعية والتعليم وهن على استعداد ليتعلمن أمور دينهن وقد رأيت البعض منهن يسألن عن أمور دينهن بشغف وكم رأيت التأثر والخوف يبدو عليهن عندما يسمعن الوعظ والتذكير بالله والتخويف من عذابه.

وفي هذه الآونة انتشرت بين يافع ظاهرة خطيرة وهى ارتفاع جهاز المرأة والفتاة أو مايسمونه بالدفع حيث يبلغ في بعض الحالات إلى خمسة عشر ألفا من الشلنقات واقله ثمانية آلاف وهو غير المهر وفي هذا خطورة على المجتمع اليافعى الذى معناه ان الشاب المتسوط الحال لايستطيع الزواج بهذا القدر وقد تحدثت مع البعض بان يبذلوا مساعيهم لتخفيض هذه المبالغ إلى أدنى حد.

هجـرة يافـع

ان الكلام عن الهجرة يجرنا إلى البحث الطويل الذى لازال علماء الأجناس يتنـازعـون فيه حول أمـر هجرات العرب هل كانت هجراتهم من قلب الجزيرة العربية أم كانت أولاً إلى قلب الجزيرة ومهما كان فإن العرب نشأوا وتناسلوا وكثروا في الجـزيرة العربية وقذفت باعداد من أبنائها العرب إلى البلاد المجاورة بشكل هجـرات وكلما زاد عددهم أو قل طعـامهم دفعهم ذلـك إلى الهجرة ولم تقتصر هجرات العرب إلى شمال الجزيرة أو حوض الفرات أو حوض النيل بل تعدتها إلى أفريقيا وإلى شرق آسيا ولم يستطع التاريخ ان يحدد أولى هجرات العرب لأنها كانت قبل التاريخ وأهم ماوصل إليه البحث ان خمس هجرات كبيرة للعرب كانت أولاها قبـل ٣٥٠٠ قبل ميلاد المسيح وأخرها في أوائل القرن السابع الميلادى ويعتبرها التـاريخ أعظم الهجرات لأنها حملت إلى المهاجر دينا جديد ودستوراً جديدا هما الإسلام والقرآن الكريم وحملت هذه الهجرة الدم العربى واللغة العربية على شكل فتوحات إسلامية عربية وفي أعوام معدودة دانت لها الشام والعراق ومصر ومن ثم انتشرت وتوسعت فاجتازت شمالى أفريقيا إلى أوروبا واستقرت في الأندلس وفي قسم من فرنسا ووصلت شرقا إلى حدود الهند وأصبحت تضم امبراطورية واسعة الارجاء.

ولنرجع إلى ماضى العهد أيام معين وسبأ وحمير وهجراتهم إلى انحاء كثيرة وقد أسسوا حكومات في الشام وفي الحيرة ودولة حمير معروفة بالفتوحات الواسعة المعروفة بكتب التاريخ المطولة والذى يهمنا هنا هو هجرة يافع ويافع هم من أولئك القوم نسل سبأ وحمير فهجرتهم هى هجرة حمير وهجرة الفتوحات الإسلامية لن تخلوا من يافـع والذى يعنينا بالتحديد هو هجرة يافع المعروفون بهذا الاسم منذ استقروا بالمقاطعة التى سميت بهم أوسموا بها فنقول ان هجرتهم كغيرهم كانت وماتزال ولم

يعرف بالضبط تاريخ هجرتهم لأنها غير متميزة بهم إلا اننا سنذكر هجراتهم بقدر ماتسعفنا به الأدلة والبراهين والاستنتاج وقد اخبرنى السيد عبدالوهاب العسكرى المستشار القانونى للجيش العراقى حينما زار المكلا ان قبيلة بنى مالك الشهيرة بالقوة في العراق تنتسب إلى يافع وهجرتهم قديمة وهجرتهم إلى عمان وظفار والخليج قديمة قال سنان في صود من آل يزيد وكلد في ظفار ويقول الشيخ عبدالرحمن بن محمد بارحيم ان قبيلة كبيرة تحتل مقاطعة في الخليج تنتسب إلى يافع ويقال ان بنى مالك في أطراف جدة يرجعون في انسابهم إلى يافع وهذا على سبيل المثال لا الحصر : وأما هجرتهم إلى حضرموت فهى قديمة قدم حضرموت وبالرغم من بعض أولئك الذين يريدون ان يخضعوا التاريخ لما يريدون هم وحاولوا ان يحددوا هجرة يافع بظهورهم في جيش الكثيرى وهذا خطأ ونقول ان هجرتهم إلى حضرموت لها اسبابها نجملها بما يلى :

١ ـ جفاف الأرض وجدبها مما يجعل الهجرة أمراً لا مفر منه .

٢ ـ التجارة وارتياد أسواقها القريبة والبعيدة وحضرموت كانت سوقاً لحاصلات اليمن ومنها يافع .

٣ ـ الحروب المستمرة وعدم الأمن وتعطيل الأعمال بحيث تصبح الهجرة ضرورية .

٤ ـ استعانة الملوك والأمراء بيافع لحفظ الأمن وحماية البلاد من أعدائها .

٥ ـ ازدحام السكان في أرض حاصلاتها لاتكفى للعدد الكبير.

وهذه الأسباب تصلح أن تكون هى الأسباب لكل الهجرات غالبا إلا أنها ليافع بالتأكيد منذ انفجار السدود وبعدها وقبلها ووجودهم بحضرموت قديم جدا فقد اطلعت على وثائق الوالد المرحوم حسن العماري الذى ينتسب إلى بنى جلجلة من آل عمار من ذى ناخب انهم كانوا بوادى العين ثم انتقلوا إلى ظفار ومنها باعوا أملاكهم بوادى العين فكان تاريخ البيع في القرن السادس الهجرى إذ لم اتمكن من ضبط التاريخ ومما يدل على قدمهم بحضرموت اسم القبيلة اليافعية المعروفة بالحضارم ولعل تمركز العدد الكثير منهم بحضرموت وقلتهم بيافع اضطرو للعودة ولكن من المواليد فسموا حضارمة ومازالت طائفة منهم بحضرموت قد يكونون اقدم من سكن بها .

ويقول علماء الأنساب ان سيبان ونوح ونعمان والمشاجرة ويافع ينحدرون من أرومة واحدة ويمكن ان نحمل هجرتهم بمايلى :

١ ـ الأولى مجهولة .

٢ ـ الثانية وجودهم في جيش الغزو استيطان البعض منهم بها .

٣ ـ الثالثة تواجدهم بالشحر عام ٨٥٨هـ وعام ٩٨٠هـ في المكلا وقبلها عام ٩٢٥هـ وفي حدود هذه الأعوام بدأ ظهور يافع بكثرة ولاسيما في عهود الدولة الكثيرية التى استعانت بيافع وبالرغم من تحفظ التاريخ الحضرمى من ظهور يافع في الدور الأول والثانى من أدوار الدولة الكثيرية إلا أن مؤلف الخبر الواقع للشيخ الطيار يثبت ذلك وقد نقل منه الأستاذ صلاح البكرى بعض مايتعلق بالحروب بين يافع والأئمة ويذكر التاريخ الحضرمى انهم ظهروا عام ١١٦٥هـ ولكن ظهورهم هذا هو ظهور قوة بها استطاع السلطان بدر ان يعيد للبلاد وحدتها وأمنها واطمئنانها بهذه القوة وعاد أكثرهم إلى يافع عام ١١١٩هـ وبقى منهم من بقى حيث وجد الأهل والأقارب من المستوطنين بها وهذه البقية تم توزيعهم على مناطق حضرموت ويقول الأستاذ محمد بن هاشم انهم استبدوا بالأمر دون السلطان وعم الجور وساءت الأحوال وكثرة الفتن ولم يوضح الأسباب التى أدت إلى هذا التحول الخطير ولعل الأمراء ومن يواليهم من آل كثير لم يرقهم عمل السلطان بدر الذى كان هو الذى جلب يافع ولم يخفوا كرههم ليافع ولم يترددوا من الاساءة إليهم وترقب الفرص المواتية للانقضاض عليهم مع ان المعروف ان يافع من طبيعتهم السمع والطاعة متى ماارتضوا بالدخول في الجندية وهذه طبيعتهم حتى يومنا هذا ومعروف عن طاعة الجندى اليافعى العمياء لقائده إلا أنه من طبعه عدم احتماله لأى اساءة من أية جهة كانت ولو كانت من السلطان نفسه ولعل الجنود من يافع والمستوطنين منهم قد رأوا وسمعوا مايخدش كرامتهم ومايدبر لهم فأخذوا في الحيطة والحذر وأخذوا يردون على الاساءة بمثلها وبدأ الصراع بين آل كثير ويافع واستمر مدى ١٢ عاما على وجه التقريب وكان السلاطين الذين تولوا بعد بدر لم يخفوا نقمتهم على يافع وبدأت بذور الفتنة واشتد الصراع إلا أن يافع لم يتركوا فرصة تمر عليهم دون ان يكسبوها وساءت الأحوال حتى عهد السلطان جعفر بن عمر الذى انتهت به

الدولة الكثيرية في دورها الأول وكانت النتيجة ان احتفظ اليافعيون لأنفسهم باهم المدن والقرى والمواقع التى كانوا حاميتها ففى تريم وحدها ثلاث سلطات آل غرامة وآل همام . وآل بن عبدالقادر وآل الضبى بسيون وآل النقيب بتريس والموسطة بشبام وآل يزيد بالهجرين والقزه والشناظير بغيل بن يمين والنشادى بعرف وأهل بن ناجى بشكلنزه والكسادى بلحامي والديس والمكلا والسبعة المكاتب في الشحر ثم آلت إلى آل بريك وهكذا أصبحت حضرموت مجزأة نتيجة الاحقاد غير ان المكلا ظفرت بشيء من النظام والاستقرار فال كساد اقاموا دولة لها كل مقوماتها بالنسبة لذلك العهد ونترك التفاصيل ونبدأ بدولة آل كساد .

دولة آل كساد في المكلا

لم يذكر المؤرخون شيئاً عن مولد الدولة الكسادية وكيف نشأت ومن ثم كثرت الروايات عن نشأت الدولة الكسادية فمن قائل انهم قدموا من غيل بن يمين لخلاف بينهم وبين الشناظير إلى الشحر وهم صلاح بن سالم وأولاده عبدالحي وعبدالنبى وعائشة التى رغب فيها علي ناجى بن بريك وتزوجها واستاء آل بريك لما يعلمون من شر صلاح وهموا بقتله وان علي ناجي ذهب به إلى المكلا وبنى له حصناً بساحل المكلا سماه حصن عبدالنبى إلى آخر ماقالوه وهذه الرواية غير صحيحة لأن دولة الكسادى كانت موجودة قبل ظهور آل بريك.

ومنهم من قال انهم كانوا بتريم واشير عليهم بالمكلا ونزلوا بها وكان حاكمها الجدبانى اليافعى وتخلصوا منه بعد حين واستأثروا بالمكلا ومن قال ان نصيبهم في توزيع الكثيرى للحاميات كان المكلا وعند ضعف الدولة الكثيرية استأثروا بالمكلا.

ومن قائل ان الحامية الكسادية أو المكتب الكسادى كانت متمركزة في الحامى والديس ففى الحامى كانت مكونة من عائلة أحمد بن على الكسادى وفى الديس كانت مكونة من عائلة حسن بن صلاح الكسادى وشغف آل كساد بالملاحة البحرية وأصبح سالم بن صلاح من الحامى صاحب سفينة شراعية يتردد بها على قرية المكلا واستطاع بمزاياه الشخصية ان يكون أسرة كسادية بالمكلا ويجعل فيها موطناً له وجاء بعده ابنه أحمد. فأنشأ الإمارة الكسادية وقيل ان صاحب السفينة هو عبيد بن سعيد بن صلاح وقيل ان اسمه محمد بن صلاح. هذه روايات اجملناها لتدرك كيف كان يتخبط المؤرخون عن قصدا وغير قصد وعلى أى حال ففى عام ١١١٥هـ كان أهل كساد قد اعلنوا استقلالهم بحكم المكلا ونضع أمامك سلسلة لآل كساد الذين عرفوا بالمكلا واطلقوا على أنفسهم لفظة نقيب بدلاً عن

لفظة أمير أو سلطان وهم كما بلغ إلينا علمهم كالآتى :

صلاح سالم أحمد مؤسسة الدولة الكسادية عام ١١١٥هـ سالم صلاح
عبدالرب عبدالحبيب عمر سالم علي صالح محمد عبدالله علي
سالم أحمد صلاح عبدالحبيب صالح عبدالحبيب ناجى مجحم
عمر عبدالله أحمد مجحم محمد عمر نفاه الانجليز عام ١٢٩٨هـ
١٨٨١م عبدالرب.

ويشكل عليَّ في هذه السلسلة ان عبدالنبى كثيرا مايتردد اسمه على الألسنة وبيت عبدالنبى كان معروفاً لدى أهل المكلا المعمرين ولم يرد اسمه في هذه السلسلة التى نقلناها كما تلقيناها.

ولندع الافتراضات والتخمينات ونقرر وجود الدولة الكسادية، وميلادها عام ١١١٥هـ والمكلا في ذلك الحين كانت عبارة عن أكواخ ولم تكن مأهولة إلا فى مواسم الصيد والقرى المأهولة هى فوه وروكب والبقرين إلا أنها أى المكلا في القرن الثانى عشر بدأت تدب فيها الحياة ويرد إليها بعض التجار وبدأ أهل الأكواخ يسكنونها في غالب العام وبدأت التجارة تأخذ طريقها في الازدهار والانتعاش بفضل الطموح الكسادى وعملهم الدائب لانعاشها وجلب رجال الأعمال إليها وأصحاب رؤوس الأموال واستخدامها أى المكلا في التصدير والتوريد كأحسن ميناء صالحة لرسو السفن والبواخر فيها وتخفيض الضرائب إلى أقصى حد حتى ان رجال التجارة وجهوا وجهتهم إلى المكلا ووجدوا تسامحاً واغراءاً في البقاء والبناء وكان النقيب صلاح الأول هو الذى ظهر في الأوساط السياسية كامير على المكلا وقد وسع نفوذه على المقاطعات المجاورة وبعد وفاته تولى ابنه عبدالرب ثم خلفه اخوه عبدالحبيب وكان شهماً صارما ثم توفى وخلفه ابنه محمد بن عبدالحبيب ثم صلاح بن محمد الثانى واصطلح آل كساد على لقب كل منهم بالنقيب بدلا من أمير أو سلطان كما اسلفنا والنقيب صلاح بن محمد المع شخصية عرفتها حضرموت فقد امتاز بالذكاء والدهاء وبعد النظر وسرعة التفكير إلى جانب شخصيته القوية الفذة وكان معروفا بحسن السيرة جم العدل إلى حد الاجحاف محبا لرعيته إلى حد الأسراف لا حاجب دونه ولا ابهة السلاطين يجالس المواطنين كيفما اتفق صباحا

ومساء وله مع الصيادين مجالس مرح وكلمات لايتحملها منهم سواه يعس في الليل ويعاون المهربين ثم يستدعيهم ولايشنع عليهم يحب أهل العلم والفضل عرف بالانصاف من نفسه ومن ذويه وجنوده وعرف بالشدة على مخالفيه وعندما يعاقب تكون القسوة والعنف من صفاته وفي عهده اتسعت مدينة المكلا وانشئت الحارة في عهـد والده إلا أنها في عهده أخذت في الاتساع والازدحام بالسكان وفي عهده ازدهرت التجارة وكثر اصحاب رؤوس الأموال ونافست المكلا اختها الشحر وفي عهده عملت التحصينات على المكلا ومازالت الحصون المطلة على المكلا والمحيطة بها وفي ضواحيها باقية إلى الآن وبني السور في عهده ومكانه في آخر مسجد عمر ولما كان نفوذه لايتجاوز بروم وروكب والعيص والحرشيان وماحولها رأى انه لابد من توسيع رقعة مملكته لتصبح متلائمة مع طموحه وآماله وسمو مكانته وبعد صيته .

احتلال دوعـن

كانت مقاطعة دوعن تموج بالفتن من جراء الخلافات الحادة بين آل العمودى مما اضطر بعض السكان إلى اللجوء إلى المكلا واضطر بعض آل العمودى ان يلجأ إلى الكسادى ليناصرهم على منافسيهم وأجاب طلبهم وأرسل قوة بقيادة مجحم عام ١٢٨٦هـ واستولى على معظم الوادى وفي مقدمته الخريبة عاصمة الوادى وفي عام ١٢٨٨هـ حدث ان قتل النقيب محمد بن شيخ العمودى واتخذها آل العمودى ذريعة لازاحة الكسادى من دوعن وطلبوا قوة من الكثيرى وأرسلها ولم تقم بشيء يذكر وعقدوا اجتماعا في الشعبة عند زعيمهم أحمد بن عبدالله بدوى وحضره زعماء المشاجرة والدين وبلعبيد واتفق رأيهم على جلاء الكسادى من دوعن وشاركهم في ذلك بلحمر والخنابشة من وادى ليسر والتقى الفريقان في معركة عنيفة انتهت بهزيمة الكسادى بعد ان خسر كثيرا من العتاد والرجال وبدء هذه المعارك وفى اثنائها ونهايتها تبارى شعراء الوادى فمن ذلك ماقاله العمودى بعد رفض آل بانخر وآل باسعد الاشتراك معه في هذه المعركة لمعاهدة بينهم وبين النقيب قال :

جدى عمود الدين خيال الشنف مبا يخلينى وسط غبة قمر
الدينى جبته وجبت المشجرى مانا على باسعد والابانخر

وفي أثناء المعركة قال الشاعر سالمين بن لسودين الهميم وقد سمع صوت قنبوس

أنا على القنبوس بى حنه لاحنت الريشة على الأوتار
والقبولة ماهى من الجنة يامن يباها من كريب النار

وقال أيضا بعد النصر

صوت الزوامل يطرب الوافى وينسم المجروح مما به
شربه شربناها من الصافى وان جابشير الموت حيابه

اخطأ الكسادى في التقدير

من يتتبع سير الحوادث في تلك الظروف التى أقدم الكسادى فيها على احتلال دوعن وأرسال معظم قواته إليها يدرك ان النقيب اخطأ في التقدير إذ كان أقدامه على دوعن في ظروف ملتهبة فالكثيرى يدبر خططاً واسعة لازاحة كل الامارات الموجودة من يافع وآل العمودى لم يكونوا مخلصين في لجوئهم إليه ولم تمض من معركة المكلا غير سنوات وان كان حالف النصر الكسادى وهزم الكثيرى ولكن حل محله القعيطى وطموحه أوسع من طموح الكسادى وكان في امكان الكسادى ان يسحب قواته إلى المكلا ويترك دوعن إلى أن تحين الفرصة المناسبة له ولكن المقادير تجرى مجراها ولو فعل لكانت له قوة قريبة منه يستطيع ان يوجهها إلى خصومه دفاعاً عن المكلا وحفاظا على مكانة الامارة وقد تكالبت كل القوى على القوات الكسادية التى في دوعن بما فيهم القعيطى وان كان استطاع قائد هذه القوات ان يرجع بفلوله بقوة السلاح حيث كانت سيبان تدبر أمرا لهذه القوات وخرج الكسادى من حرب دوعن منهوك القوى.

احتلال آل كثير للشحر وطرد آل بريك منها

في عام ١٢٨٣هـ احتلت الدولة الكثيرية مدينة الشحر تحت زعامة السلطان غالب بن محسن الكثيرى وباحتلالها انتهت دولة آل بريك وبعد أربعين يوما من احتلالها جهز حملة كبرى لاحتلال المكلا وتقدمت قواته واحتلت الحرشيات بعد معارك طاحنة ماعدا حصن خازوق الذى لم تستسلم حاميته وكان يافع القطن قد أدركوا الخطر فهبوا إلى المكلا لنجدة الكسادى وتقدم الكثيرى واحتل بعض حصون البقرين واستولوا على منابع الماء فخرج أهل كساد ومن معهم من يافع وعلى رأس الجميع النقيب صلاح بن محمد نفسه والتقى الفريقان ونشبت معركة رهيبة واستمر القتل في القوات الكثيرية واستماتت يافع على قلة عددها واندفعوا يلقون بانفسهم فوق الجيش الكثيرى مما أدى إلى فرار جيش الكثيرى تاركاً وراءه كثيراً من القتلى والمعدات وعاد الكثيرى بفلوله إلى الشحر والباقون إلى مناطقهم .

ولاننسى مالخازوق من موقف مشرف حتى ان الشاعر باعطوه أرتجز هذا البيت :

على خازوق باروتنا بيت وظلا ونفقنا البضاعة وسلمنا المكلا

وهذه المعركة الضارية اشتركت فيها أكثر القبائل اليافعية وعلى رأسهم الجمعدار عوض بن عمر القعيطى وهذه المعركة جاء وصفها في رسالة موجهة من عبدالله بن محسن وعبود بن سالم من الشحر إلى السلطان غالب بن محسن إلى سيون جاء فيها انهم هجموا على الحرشيات ولاقاهم الكسادى بقومه وانهزموا وقتل عشرون من أصحاب الدولة وجماعة من أصحاب الكسادى واسر عمر بن عبدالله الحدادي وثمانية من أصحاب الكسادى احرار وسبعة عبيد وانهم حملوا على البقرين واستولوا على بعض ديارهم فخرجت عليهم يافع من المكلا وهزمتهم شر هزيمة فعادوا بدون طائل إلى الشحر.

أثر هذه المعركة على يافع في الهند

عندما بلغ الخبر إلى يافع بالهند باستيلاء الكثيرى على الشحر ومهاجمته للمكلا لاحتلالها انزعج لهذا الخبر أبناء عمر بن عوض ويافع وأصبح لديهم من المؤكد ان نوايا الكثيرى تستهدف أقصاء يافع واجلائهم من حضرموت وتمت اتصالات سريعة على مستوى رجال الفكر والمال في الهند كما تمت اتصالات بين الكسادى والقعطه واتفق الجميع على محاربة الكثيرى في الشحر وحضرموت مهما كلف الأمر ومهما كانت النتائج واتفق الرأى على خروج حسين بن صالح المصلى إلى المكلا واستقبله الكسادى بما يليق به وذكر للكسادى نتائج الاجتماع بالهند وان الأمير عوض بن عمر سيصل قريبا ومعه جماعة من يافع ومعهم العدة والعدد ولم تمض إلا أسابيع معدودة إلا والمكلا تلج بالرجال المقاتلين من يافع الجبل والقطن والهند وما انتهى العام إلا وقد استرد يافع مدينة الشحر وخرج منها السلطان غالب بن محسن وتفاصيل ذلك موجودة في كتب التاريخ[1] ولربما تأتى عرضاً فيما بعد.

(١) منها نصف قرن لمؤلفه الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف بها التفاصيل الدقيقة.
منها شخصيات حضرمية لباوزير.
منها بضائع التابوت لابن عبيد الله السقاف.

القوات المشتركة

اشترك القعيطى في الدفاع عن المكلا واشترك الكسادى في الحرب لاحتلال الشحر وقوى هذا الاتحاد بين القعيطى والكسادى إلا أن طموح كل منهما في توسيع رقعة ملكه مما يهدد هذا الاتحاد ويدمر صرح هذا التعاون الاخوى المشترك ولم تخف على كل منهما نوايا الآخر إلا أنها ظهرت على السطح في حملتهم المشتركة على الكثيرى في الداخل وكانت النتيجة الهزيمة النكراء بالرغم من كثرة العدد ووفرة العدد وعاد الكسادى من حضرموت على أثر هذه الحملة الفاشلة المشحونة بالشكوك وسوء النيات وزيادة فقد أوعز للكسادى بان خطة خطيرة يدبرها القعيطى تستهدف حياته لهذا عاد وفي النفس مافيها وأخذ يقلب وجهات النظر وكان مستشاره الشيخ سليمان بن عوض بن شرف المعروف بحنكته ودهائه محل ثقة النقيب إلا أنها عاجلته المنية وحل محله الشيخ سالم بن عمر شماخ وكان رفيق الصبا للنقيب عمر وكان صديق الأسرة أيضا الشيخ عمر بن سالم قيسان أحد أعيان أهل المكلا إلا أن المرض اعجزه عن الاشتراك فى الرأى إلا في الحالات الضرورية وأخرهم الشيخ مبارك بانى ككاتم سر وكان على جانب مناسب من التعليم وكان مهاجراً بمكة وعند عودته لزيارة أهله اعجب به النقيب عمر واغراه على البقاء وأخذ النقيب صلاح يفكر في الدين ثم من بعده ابنه ويدرك النقيب وأسرته بأن ناقوس الخطر يدق ولكن عاجلة المنية النقيب صلاح في اليوم الثالث من ربيع الأول عام ١٢٩٠هـ الموافق ١١ مايو عام ١٨٨٧م.

أما ميلاده فقد كان عام ١٢٢٧هـ. ذهب النقيب صلاح وذهبت معه آماله وآمانيه.

الكسادى وبن بريك

الـدولة الكسادية سعت قبل كل شيء على استتباب الأمن في داخل الامارة بالرغم من خلافات داخلية قد تنشب وقد يروح ضحيتها عدد من الأفراد إلا أنها متحصرة بينهم وسرعان ماتسوى الخلافات . ولقيام دولة مجاورة هى دولة آل بريك بالشحر فقد كان التعاون بينهما قويا اتحدت قواتهما مرات ضد الغازين من آل كثير وكانت لقوات الكسادى الفضل في معركة الشحر التى قادها السيد إسحاق كما سيجيء ذكرها إنشاء الله . كان لها الفضل في إنهاء المعركة وتعجيل النصر الحاسم غير ان خلافا قد نشب بين الدولتين ولعل للاطماع دورا في اذكائها ولربما ان بذره الشر هى التجاء النقيب محسن بن جابر بن همام إلى الكسادى يطلب مساعدته بعد ان جرد بن بريك حملة على الغيل ازاح فيها منافسيه ومنهم النقيب محسن فاستجاب الكسادى لطلبه وأرسل معه جيشا لاستعادة الغيل وكان قد علم بن بريك بذلك ومركز التجمع لجيش الكسادى في المكان المعروف بالحدبه فأسرع بن بريك فجهز جيشا وفاجأ به جيش الكسادى في الحدبه واشتبك الفريقان ودارت معركة حامية اسـفـرت عن قتـل النقيب محسن بن همام وانهزام الجيش الكسـادى وبقيت التحرشات انما اتخذت ميدانها البحر وكان الكسادى متفوقا من الناحية العسكرية البحرية إذ يملك عدة سفن ولهم مهارة في الملاحة البحرية ودربه على حرب السفن وكثر اختطاف السفن الشحرية وتضرر أهلها مما اضطر آل بريك لاعداد حملة كبيرة على المكلا على أثر اختطاف عدد من السفن الشحرية وكانت مفاجأة للكسادى باحتلال بن بريك للحرشيات والبقرين ومنع الماء على مدينة المكلا واحتلال جبل المكلا وكان ذلك بسرعة مذهلة وفشلت فيه كل مقاومة من لدن الكسادى وتدخل المصلحون من آل العيدروس وآل عمر باعمر وتم الصلح على ارجاع جميع السفن

التى اختطفت ومافيها وغرامة التالف منها مضاعفا وقبل للكسادى ذلك على مضض وتم انسحاب آل بريك وبالرغم من هذه الخلافات فقد ظل تعاونهما المشترك ضد الكثيرى مستمرا.

خلاصة وتعقيب

لا أرى بأسا من إيراد ملخص يتضمن روايات بعض المعمرين من أهل المكلا وغيرهم ممن عاصروا رجال الحكم الكسادى كالشيخ هادى هويدى والشيخ المعمر باسلوم ساكن المقد يذكر ان النقيب سالم بن أحمد تولى حكم المكلا من بين أفراد الأسرة الكسـادية لأنـه أكبرهم سنا وأقواهم شخصية وأبعدهم نظرا وتؤيد هذه الرواية بعض الوثائق التى توجد مع قدماء أهل المكلا كأهل بروق وأهل باعيس وكـان الحـاكم الفعلى للمكلا هو الجديانى اليافعى وكان الهزمي ينازعه السلطة وكلاهما يسكنان فوه فأول عمل قام به النقيب سالم هو التخلص من الاثنين وانفرد بحكم المكلا وتزوج عند قبيلة العكابره فكانوا قوة يعتمد عليهم في إدارة الحكم وجعـل من الكوت الذى كان بيت الحاكم الجديانى جعله حصنا عرفه فيما بعد بحصن النقيب والموجود حتى الآن إلا أن العمل يجرى على هدمه ووضع الأساس الأول للحكومة ثم توفى وخلفه ابنه صلاح الأول ونهج نهج والده وأخذ في تشجيع الوافدين على العمران وأخذت الشهرة تشق طريقها والدعاية تعمل عملها وتوفى وخلفـه ثلاثة من البنين هم عبدالحي. وعبدالرب. وعبدالنبي واشتركوا معا في الحكم وكانت الكلمة الأولى والأخيرة لعبدالحي لكونه أكبرهم سنا ويقولون انه قد حدث بينهم خلاف ولكنه سوى احتراما منهم لعبد الحي وتوفى عبدالحي وخلفه أخوه عبدالرب واستمر في الحكم حتى توفى عام ١١٤٢هـ وتولى بعده ابنه صالح بن عبدالرب ولم يتركه النقيب محمد بن عبدالحي ينفرد بالحكم مما أدى إلى اشتباك مسلح راح ضحيته عدد من القتلى من الجانبين وبعد محاولات لاصلاح ذات البين انتهى بتحكيم حاكم عدن الذى انهى النزاع بينهم باعطاء امتيازات لبعضهم على ان ينفرد بالحكم محمد بن عبدالحي ومنذ ذلك الوقت بدأ النقيب محمد يعمل على توسيع نفوذه وجلب الناس إلى المكلا ويشجعهم على البقاء ويساعدهم في البناء

ويتسامح معهم في المعشرات وتوافد على المكلا أصحاب رؤوس الأموال ووجدوا رعاية وعناية وتسامحا رغبهم على تثبيت مراكزهم التجارية ونقل عائلاتهم إليها وفي نفس الوقت كان يولى الجيش عناية خاصة وكون نواة الجيش من قبيلته ومن القبائل المجاورة ومن المماليك لحماية الدولة والدفاع عنها وفي عهده حدثت مفاجآت حربية داخلية وخارجية ولكنه تغلب عليها وتقول وثائق آل الشرفى وآل بن زياد ان عبدالحبيب خلف محمدا وعليا وعبدالله وان خلافا كان بينهم وبالذات بين علي ومحمد وأما عبدالله فلزم الحياد ولكن محمد اتغلب على أخيه وانتزع السلطة منه وكان قد طلب جماعة من آل الشرفى وآل بن زياد ليساعدوه في التغلب على منافسيه وقد فعلوا وقدم لهم الكسادى كل المساعدات اللازمة من حيث الاسكان والنفقات حتى تمركزوا في المكلا وكانوا خير من ساعد النقيب محمد على تنفيذ خططه الاصلاحية والتغلب على منافسيه وقد سار بالبلاد خطوات واسعة إلى الأمام ولكن عاجلته المنية وخلفه ابنه صلاح الثانى الذى طغت شخصيته القوية على بنى عمه وخضع له كل أفراد قبيلته بعد خلافات انتهت في صالحه وفى عهده اتسع نطاق العمران وبنى السور على المكلا والحصون على جبل المكلا وخارجها وملأها بالجنود والعتاد الحربى ونظم الجمرك وقوى صلاته بسلاطين عمان كما قواها بأولاد عمر بن عوض القعيطى وازدهرت المكلا بالتجارة واستتب الأمن واصبحت المكلا مكتظة بالسكان والوافدين إليها من حضرموت الداخل ومن أرض المهره والصومال وصور والميناء غاص بالسفن من مختلف الأقطار وضعف مركز الشحر نسبيا وقد يكون هذا من الأسباب التى أدت إلى سوء العلاقات بين بن بريك والكسادى وفارق النقيب صلاح الحياة في الثالث من ربيع الأول عام ١٢٩٠هـ كما مر وخلفه ابنه عمر بن صلاح وفي عهده بدأ النفوذ القعيطى يتسع حتى تم الاستيلاء على المكلا من قبل القعيطى يوم الخميس ١٦ الحجة عام ١٢٩٨هـ الموافق ١٠/١١/١٨٨١م.

هذه الخلاصة والتعقيب نقلناها كما سمعناها وليس لنا إلا صياغة المقال مع تصحيحات لبعض التواريخ ولندع ما انتهت إليه الدولة الكسادية إلى التواريخ الحضرمية ولاسيما تاريخ الأستاذ بامطرف فقيه كل التفاصيل.

الكسادى مع شعبه

ان الحديث عن الكسادى مع شعبه لن يتسع له هذا البحث الموجز ولن يستطيع الباحث ان يدون كلما يتناقله الناس من اقاصيص وحكايات عن النقيب مع شعبه ومازال يتناقلها الخلف عن السلف وقد نوهنا فيما سبق عن دعوته للناس من مختلف الجهات من القطر الحضرمى ومن غيره وما أولاهم من عطف ورعاية وتسامح حتى وصف الكسادى بمحبته لشعبه إلى حد الاسراف وقد اشتهر عند الكثير بالقسوة والعنف ولاسيما عند السادة العلويين كالسيد الإمام الحسن البحر ومنصب عينات وحدث ان مر أحدهم بالمكلا ورفض مقابلة النقيب ولكن النقيب ذهب إليه وقابله وقبل كلمات من السيد لايتقبلها غيره فأجابه على مهلك ياسيدى اننى اعترف أمام الله وأمامك اننى اتعدى ماحدده الله لي من الأحكام وقد اقدم على القتل لاتفه الأسباب حماية للرعايا وخوفا عليهم من الانحطاط الخلقى لهذا فاننى افخر بأن رعاياى كلهم على جانب كبير من الاستقامة فلا زنى ولا سرقة ولا مخالفات أخرى بفضل هذه الشدة وقد قررت ان أكون لهم الفداء واتحمل العذاب جزاء اجرامى ولكنى سلمت أمة كاملة اعتقد انهم سيدخلون الجنة وأنا الفداء لهم من النار فقال إذ كانت هذه نيتك فاجلس هنا فهذا مكانك والله المطلع على السواتر.

ويجد الكسادى من يقوم بعملية التهريب فيمد لهم يد المساعدة وبعد ان انتهوا من عمليتهم عرفه البعض فاستولى عليهم الخوف فارسل إليهم في الصباح وابتسم لهم وطيب خاطرهم وأمنهم من الخوف الذى بدأ عليهم وقال انما تهربون أموالكم ولستم بلصوص ولكن المعشرات بسيطة وتساعدنا على سر ثبات الجنود وغيرها لحفظ الأمن ولراحتكم وماذا عسى ان تفيدكم هذه الدراهم البسيطة فلا خوف عليكم وانما أود أن تفهموا ان هذه الرسوم على بساطتها تساعدنا للحفاظ على الدولة وأنتم منها ويعس ذات ليلة ويجد ان كوخاً يتألق فيه مصباحاً بعد منتصف

الليل فيتجه إليه ويقرع الباب فيسمع من امرأة كانت تتهجد مايسوءه وتهدده بالنقيب صلاح بن محمد فينصرف وفي الصباح أرسل إليها وأكرمها وطلب منها الدعاء هذه بعض حكايات من كثير تروى عن النقيب صلاح بن محمد الكسادى وكان التجار في المكلا يتمتعون باحترام كبير وكانوا يشاركون الدولة في العمران ويضعون أموالهم عن رضى تحت تصرف النقيب إذا حدثت حروب بينه وبين غيره إلا أنه يشكرهم ويعتذر لهم من أخذها لأن لديه المال الكافى .

والعلائات التى كانت لها الصدارة في أيام الكسادى هى :

آل باعييس ـ آل فليحان ـ آل بلهبوع ـ آل بن زيد ـ آل باسعد ـ آل بازهير ـ آل هويدى ـ آل باحيدان ـ آل وحدين ـ آل بن زياد ـ آل الشرفى ـ آل باجردانه ـ آل بانى ـ آل بن شرف ـ آل قيسان ـ آل بكيران وغيرهم ممن لاتحضرني اسماؤهم .

وإلى جانب ذلك فأهل كساد لهم مجالسات مع الصيادين ولاسيما النقيب صلاح بن محمد وأيضا مع أصحاب المهن ومافى هذه المجالس من نوادر وحكايات مازال يتناقلها الكثير حتى اليوم .

وكان للشعراء الشعبين مكان ملحوظ ومحترم وكان سعيد هادى من طليعة الشعراء والموالين للكسادى وكذا سالم باحيسون وسالم باعبيد ومازال الكثير يتغنى باشعارهم حتى يومنا هذا .

فمن شعر سعيد هادى في الحكم قوله :

سعيد هادى يقول ان ردت تثمينك اجعل لنفسك ثمن ماينقص التثمين
وان باتقطع عباد الله بسكينك ماعذر مابايقع لك قطع بالسكين

وفي الوقت الذى ساءت فيه العلاقات بين الكسادى وبن بريك وفي حفل شبوانى قال سعيد هادى :

قال الفتى ولد هادى ياسحاب السحاب ★ طلع ولقى قزع

فنظر إليه الكسادى نظرة عرف معناها والتفت إلى السوق وإذا بسيدات مارات فعرف المعنى واتجه إليه قائلا :

ماهو سحاب المطرذلا سحيب الثياب ★ مع بنات الشبع
معذبات الكوابر في نقيش الخضاب ★ ومقلسات النسع

كلمن يحبوه يلقوا له على الباب باب ★ في ضيق ماله وسع

فتبسم النقيب صلاح واعجب بشاعره الشعبى .

أما سالم باسعيد بامحيسون فقد حدث ان كان بالشحر وكان بها حفل شبوانى فذهب ليسمع ولاحظه شاعر بن بريك فقال :

ياضيبـــــوق مــن روكـــــب جيـت متعيـش أوجيـت طوافى

فما بلع ريقه حتى كان شاعر النقيب بالمداره فقال رداً عليه :

جيـــت بـابلـــده بحـــرك جبـــت للبحـــر مغـرافـى
جيـــت بافنـــــده غـزلـــك شـــى حطيط وشـى جافى
جيـــت بانقـف اضـراســك مــن حناكـــك ونـا قـافـى

ولاذ بالفرار وعاد إلى المكلا فشكره النقيب وأجزل جائزته .

أما الشاعر الشعبي عمر بن محمد باعطوه فقد أرسل قصيدة عصماء بعد معركة البقرين وانتصار الكسادى على الكثيري فقال :

ابدى بك أدعوك ياحنان يامنان ياللى رفعت السما والسبع يانيها
تغفر ذنوبى إذا اتجللت بالاكفان يامنزل الغيث من القنفان تنشيها
قال العطيوى عمر لي يعدل القفان راعى حليله إذا له كام يعزيها
شاعر ونقاد عنده وزن للقيفان صوغ المشاخص في المكواه يصفيها
ماليوم جد السفر باتلشع الجيلان والنفس فى ذى الجهه مانامدنيها
وبعد يالمعتنى قد شدلى زفان رض لى مدى ماكتب الورقة واغريها
أرم المكلا بها لى عارض القومان أبو عمر بالسيوف البتر حاميها
ياعدل بين العرب ياشوكة الميزان ياللى تغوص مراكب في مراسيها
عبود صيح بقوم النجد والبدوان بغا بلاد الكسادى بايصفيها
غلب عليها صلاح محمد الدحان بأهل الخموس البوالغ اطنبوا فيها
ولعاد شن شمس ظلا منصف الدخان جول الدواعن رضينا ابليس لي فيها
عف العطش بينهم وتعشت الكلبان من الجثث توكل الأمن مثانيها

اعنى صلاح الكسادى مقصع العمدان دوله وروس القبل داهل يوطيها
أقول منه طلع يمك وهو وحلان واجب إذا دخلوا الشعار تكيسها
من عندكم خلنا باخرج ونافرحان كرمتك ياومن المختاف ما أخفيها
والختم صلوا على أحمد عدما قد كان عداد ماالغيث ينشىء من مناشيها

تمت

دولة بن بريك

آل بريك قبيلة يافعية كان نصيبها من اختلاف المؤرخين نصيب غيرها من القبائل اليافعية والذى يؤكده شيوخ آل بريك أنفسهم ويؤكده السادة أهل العطاس ان هذه القبيلة هاجرت قديما من يافع واستقر البعض منها في حضرموت والبعض الآخر في عمان والبعض الثالث في الاحساء وأول من استوطن الشحر الجماعة المسماة بالقحاطين نسبة إلى جدهم قحطان ثم اخيرا وصل الشحر أبناء عمر بن عبدالرب بن أحمد بن ناجى بن عمر وينتسبون إلى قبيلة أهل بن ناجى بن عمر من ذى ناخب ومازالت عوائدهم تؤكد هذه النسبة وتحتفظ باسماء القرى التى نزحوا منها ومازالت هذه القرى تحتفظ بهذه الأسماء كحمحمة.

ولقمر وحمحمه هى عاصمة أهل بن ناجى وقراهم هى حمحمة ومضيضة وقامر ودورعديه ومحوال وقمزان وآل بريك يحكون قصتهم وهى من الغرابة بمكان وانها كانت حوالى القرن الخامس الهجرى وسببها ان فيضان طغى على مزارعهم واتى عليها عن أخرها مما اضطرهم إلى الهجرة واتجه البعض صوب الشرق حتى استقروا بحضرموت واتجه بعض صوب الغرب واستقر بهم المقام أخير في الاحساء وعمان وخلفوا من أهاليم العجزة وتركوا لهم كثيرا من المواد الغذائية وان جماعة عبدالرب بن أحمد استوطنوا حريضة ثم نزحوا منها إلى الشحر وكان القحاطون قد سبقوهم إلى الشحر أتوها من جهة عمان وكان آل عبدالرب بن أحمد قد وصلوا الشحر في الوقت الذى كان يافع يحكمونها وعددهم فيها سبعة مكاتب هذا رأى من ذكرنا.

ورواية المؤرخ المحقق الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف تقول في عام ١٠٤٤هـ استولى على الشحر السلطان بدر بن عمر بن بدر الكثيرى وكان في جيشه عدد من يافع ابقاهم كحاميات في سبعة مراكز معينة. وتعرف هذه الحاميات العسكرية بالمكاتب اليافعية السبعة فكان الكسادى متمركز في الحامى والديس. والنشادى

متمـركـزا في قرية عرف. والـبريكى متمركزا في خرد والقسم الشرقى من مدينة الشحر المعروف بالرباط. والبطاطى متمركزا في حارة الرملة من مدينة الشحر. وابن عاطف جابر متمركزاً في حارة الجزيرة من مدينة الشحر. وابن معوضه في حارة الخور من مدينة الشحر وفي منطقة مرير. وابن الشيخ على هرهره متمركزاً في قرية تباله وبعد زوال حكم السلطان بدر بن عمر استأثرت هذه المكاتب السبعة بحكم المناطق التى كانت متمركزة فيها ولكنها تخضع من آن إلى آن لحكم سلاطين آل كثير الذين تعاقبوا على حكم الثغور الساحلية وفي عام ١٠٨١هـ أصبح آل بريك قوة نامية طغت على بقية المكاتب الموجودة في مدينة الشحر ونازعتهم السلطة داخل المدينة وكان المد التاريخى جاريا في صالحهم واستولى السلطان جعفر بن عمر بن بدر الكثيرى على الشحر عام ١١٢٩هـ فاذعنت له المكاتب ثم انحسر ملكه وهنا أعلن آل بن بريك إمارتهم على مدينة الشحر عام ١١٦٥هـ وكانت الأسرة البريكية الأقوى شكيمة بين الأسر البريكية الأخرى هى أسرة عمر بن عبدالرب بن بريك متمثلة في أبنائه السبعة وهم ناجى بن عمر بن عبدالرب آل بريك الخ . هذا بحث قيم ومعقول واقرب إلى الصواب إلا أنه يشكل على بأنه في الوقت الذي استولى السلطان بدر بن عمر بن بدر على الشحر ومعه عدد من يافع وزعهم على مراكز معينة ومنهم آل بن بريك ان القبائل التى اتت مع السلطان بدر من يافع لم يعرف فيها اسم آل بريك بل ولاتوجد قبيلة بيافع بهذا الاسم وانما الذين كانوا كان منهم من يحمل اسم أهل بن ناجى عمر وتمركزوا في شكلنزه ولربما انه قدم بيافع وأهل بريك موجودون بالشحر وانضموا إلى الجيش وتمركزوا حيث هم من سابق عهدهم بالقاطعة واسم بن بريك كما يقولون ليس الاسم الحقيقى لهم وإنما استعملوه تورية للقبائل التى مروا بها اثناء هجرتهم والحقيقة يعلمها الله .

من حريضة إلى الشحر[1]

واستناد إلى الرواية الأولى فتقول انه في عام ١١٦٥هـ انتقل آل بريك من حريضة إلى الشحر بإشارة من السادة آل العطاس وعددهم سبعة وكلهم إخوان وهم ناجى بن عمر. سعيد بن عمر. عبود بن عمر. مرعى بن عمر. أحمد بن عمر. جابر بن عمر. شيخان بن عمر. وأكبرهم ناجى ونزلوا بحافة المجرف وأول عمل قاموا به هو عقد محالفات مع قبائل الحموم وبعد ان توثقوا من القبائل المجاورة بدأوا في عمل جمرك خاص بهم في المجرف وبنوا حصونا في رباط جوبان في الجهة الشرقية من الشحر وامتدت اياديهم إلى العيص فحفروا الآبار. كل ذلك ويافع هم أهل الحول والطول في مدينة الشحر وقد اجتمعت فيها السبعة المكاتب من قبائل يافع وبما ان لكل مكتب آماله وطموحه فقد كانت الخلافات الدائمة بينهم والتى لم تجد فيها الوساطات من رجال الاصلاح مما سبب نفور السكان وكرههم للحياة التى ظلت غير مستقره ولا مأمونة العواقب ولم يذق فيها السكان نعمة الأمن : هذه الأمور ساعدت على تفوق آل بريك على يافع وانجذب السكان إليهم حيث وجدوا عندهم أمنا وحرية واخلصوا لآل بريك واحتموا بهم فلم ير آل بريك من بد في تنصيب رئيس عليهم ليكون رمزا لوحدتهم واجتماع كلمتهم ولم يكن غير على ناجى بن عمر أكبرهم سنا وابعدهم نظرا فاتفقوا على توليته ومنحوه السمع والطاعة باجماع اخوانه وبنى عمه وكذا السكان الذين والوهم من أهل الشحر فكان ناجى بن عمر أول أمير ظهر على مسرح السياسة في الشحر وكان معروفا بالشجاعة والحزم ذا همة عالية وصبر واحتمال وموفقا في معالجة الأمور وحل

---

(١) يضاف إلى رواية الشيوخ في آل بريك وآل العطاس رواية باحسن في تاريخه ومنه نقلنا ولخصنا هذه السطور.

المشكلات إلى جانب مايتمتع به من شخصية قوية . وشعر يافع بان نفوذهم بات مهددا وان الزمن في صالح آل بريك غير انهم رأوا الا يظلوا مكتوفى الأيدى فقد اظهروا العداء لآل بريك واعلنوا عدم اعترافهم بإمارة آل بريك مما أدى للاحتكام إلى السلاح ولكن بدون جدوى فالشعب غير متجاوب معهم ولا مؤيد لهم والقبائل المجاورة قد تحالفت مع آل بريك ولربما ان آل علي ناجى المتمركزين بشكلنزه قد اعلنوا مناصرتهم لآل بريك باعتبارهم من دوحتهم ومن نفس بلدتهم مما جعل يافعا أمام واقع لاخيار لهم في غيره وأمامهم عدو متفوق أحسن السياسة فوحد الكلمة أحبه الشعب ووالته القبائل المجاورة فنشر العدل وأمن الخائف إزاء هذا لم يسعهم إلا الاعتراف بالواقع والانقياد لآل بن بريك كسلطان يملك مقومات السلطنة تجب طاعته اعتقادا منهم ان ذلك لايجلب عليهم عادا ولاغضاضة إذا فوضوا الأمر لبن بريك باعتباره واحد منهم ومن بنى بلدتهم وفعلا منحوه الولاء والطاعة ومنحهم الاخاء والمحبة والاستعانة بهم وبارائهم وعرف لهم حقهم ومكانتهم فكانوا قوة له وسندا ولم يشد منهم غير بن معوضه وكان مسكنه الخور قبلى مدينة الشحر ومعه بعض المقاتلين وله حصن بمرير خارج الشحر جعل به اناساً من اقاربه لجباية الأموال الآتية من الغيل والمكلا وطال أمد الحرب بين آل بريك وبن معوضه إلى أن توفى ناجى بن عمر عام ١١٩٣هـ وخلفه ابنه علي ناجى بن عمر وهو الملقب بالقحوم وكان يضرب به المثل في الشجاعة والذكاء والكرم والعدل ومحبة آل البيت والشفقة والرحمة بالرعايا وأول عمل قام به هو ارغام بن معوضه على الدخول فيما دخل فيه يافع وفعلا بدأ بمضايقته ومحاصرته ومهاجمته ودارت معارك كانت كلها في صالح بن بريك ولما رأى بن معوضه نفسه أمام قوة لا قبل له بها اعلن تسليمه وولاءه لآل بريك واعترف بدولتهم وعقدت اتفاقية بينهما تتضمن الولاء والطاعة لدولة بن بريك وشان بن معوضه شان يافع وبهذا تخلصت مدينة الشحر من الفتن الداخلية وعدم الأمن والاستقرار واصبحت دولة آل بن بريك مضرب الأمثال أى الزمن وازدهار التجارة وحرية التنقل هنا وهناك .

تمرد ابن همام

وعكر هذا الأمن والاستقرار تمرد النقيب محسن بن جابر بن همام وأعلن عدم اعترافه بسلطة بن بريك وانضم إليه آل عمر باعمر وهم من أقوى القبائل حاملة السلاح في الغيل وبدأوا في مضائقة السكان من أهل الغيل وعاملوهم بالقسوة فلجأ بعض السكان إلى الشحر يطلبون من بن بريك رفع الظلم عنهم وحاول الأمير علي ناجي تسديد الأمور بالطرق الودية والسلمية ولكن لم تجد تلك المحاولات بشيء بل ازداد الأمر سوءا وبعد هذا فليس من الحرب بد فجهز جيشا قويا مزودا بمعدات كافية وهجم على الغيل فبدد شملهم وهرب آل عمر باعمر إلى ريده المعاره يستنجدون بالنقيب الكلدى وهرب ابنَ همام إلى المكلا مستنجدا بالكسادى. فعز على الكسادى أمره فانجده بقوة من الجنود لاسترداد الغيل[1] وضربوا خيام الجيش في المحل المسمى الحدبه ريثما يتكامل الجيش ومعداته (والحِدْبه مكان قريب من المكلا) ومع الجيش النقيب محسن بن جابر بن همام وكان آل بريك قد علموا بهذا التدبير ولم يمهلوا القوم حتى يتم استعدادهم بل أرسل الأمير البريكى جيشا أحاطه بكثير من التكتم ففاجأ قوات الكسادى بالحدبه ونشبت معركة رهيبة قتل فيها النقيب محسن بن جابر بن همام ورجل من آل بريك وتراجع جيش الكسادى منهزماً وقد ترك الكثير من معداته وعاد جيش بن بريك إلى الشحر مكللا بالنصر وقد المحت إلى شيء من ذلك في الصفحات السابقة.

---

(١) المراد بالغيل هنا غيل أبى رزير.

غزو يافعي غير متوقع

لم تمض على معركة الحدبة سوى مدة يسيرة حتى بلغ الخبر إلى آل بن بريك ان ألفا ومائتين من القبائل اليافعية المسلحة قد وصلوا من جبل يافع وهدفهم أخذ الثأر لاصحابهم وقصدهم مدينة الشحر وان هذه القوة قد وصلت المكلا واتجهت نحو الشحر وتأكد أهل بريك ان هذه القوة تمركزت في تباله قرية قريبة من الشحر واستعد آل بريك لمواجهة هذه القوة إلا أنه عمد إلى الحيلة والخداع فأرسل الوساطات إليهم ويحملون معهم وسائل التفرقة والتشتيت واستطاع الوسطاء ان يبذروا بذور الشك فيما بين يافع الغازية. ونشب الاختلاف في الرأى فيما بينهم مما أدى إلى عودة الكثير منهم إلى المكلا وانسحب الباقون بدون قتال وكفى الله أهل بريك شر القتال وبعد صلاة الجمعة في ربيع الأول عام ١٢٢٠هـ توفى الأمير على ناجى ودفن في قبة السيد سالم بن عمر العطاس.

وكان القاضى في وقته الفقيه سعيد بن عمر بن طاهر وظهر انه كان يشتغل بعمل الطلاسم المضرة بالناس فأمر باغراقه في حومة بقرب الغيل تعرف اليوم بحومة بن طاهر وله أى على ناجى وقائع يطول شرحها.

ثم تولى بعده أخوه حسين بن ناجى بن عمر بن أحمد[1] بن بريك وكان رجلا صالحا ذا عبادة ونسك زاهدا في الدنيا متأففا من الإمارة ولكنه كلف بها ومكث بها حوالى سنتين ثم خلع نفسه وتولى بعده ابن أخيه ناجى بن علي بن ناجى وكان شجاعا مقداما ذكيا حازما عادلا كريما يقظا وفى أيامه ظهر بن قملة النجدى فقصد الشحر في رجال من أصحابه رجالا وفرسانا ونزل أول مانزل ببلدة (الشكل النزه) هكذا يسميها باحسن (وهى مثوى أهل على ناجى بن عمر) من ضواحى الشحر

---

(١) يذكر باحسن نسب آل بريك إلى أحمد كقوله ناجى بن عمر بن أحمد ورواية أخرى ناجى بن عمر بن عبدالرب. ويظهران الأصح هو عبدالرب بن أحمد بن ناجى بن عمر الأول.

ودخل اميرهم متنكراً واسمه فارس بن محمد فعارضه قبل دخوله الشحر رجل من قبيلة بيت سنين فطعنه برمح وارداه قتيلا ودفن بتربة الشيخ فضل ثم تكاثرت قوم بن قمله بالشحر إلا أنهم دخلوها خفية من عدة نواحى ولم يحصل منهم أذى للناس إلا أنهم ينفون التوسل بالأولياء والاعتقاد فيهم وينكرون بناية القبب وتجصيص القبور ووضع التوابيت على قبور الأولياء.

تدهور العلاقات بين الكسادى وبن بريك

انقلب التقارب إلى تباعد والود إلى بغض والتعاون إلى تمزق ولعل للتنافس البغيض دور في توسيع دائرة الخلاف فتقدم المكلا تجاريا وعمرانيا سبب تأخرا في مدينة الشحر والطموح وبعض التحرشات والمناوشات أو غرت الصدور مما جعل النقيب عبدالرب من صلاح الكسادى أن يقوم بتجهيز عدة سفن شراعية مجهزة بالعدة والسلاح عام ١٢٢٧هـ لاعتراض السفن الواصلة في الموسم إلى الشحر من السواحل. وفعلا اقتادها ومافيها إلى المكلا. وثارت ثائرة البريكى فاسرع بتجهيز جيش كبير لمحاربة الكسادى في عقر داره وعلم الكسادى بذلك فاستعد لملاقاته بجيش تحت قيادة أخيه عبدالحي بن صلاح وعسكر بهم في الحرشيات وبها التقى الفريقان ودارت المعارك الشرسة وكانت الدائر على الكسادى فانسحب بفلول جيشه إلى المكلا منهزما وتعقبه بن بريك ونشبت معركة ثانية في البقرين قرب المكلا وتمكن ابن بريك من احتلال البقرين ومنع الماء على مدينة المكلا وبعد ان حصنوا مواقعهم في البقرين اعتلوا جبل المكلا واطلقوا الرصاص وقذائف المدافع على حصن النقيب وتسنم الجبل بعض رجال الكسادى ودارت معركة انتهت بهزيمة الكسادى وكان السادة آل العيدروس وآل عمر باعمر قد قاموا بالوساطة ووفقوا في الأخير لانهاء الحرب على شرط ارجاع السفن المنهوبة بما فيها وماتلف من البضائع تكون قيمته مضاعفة وتم الاتفاق على ذلك وعاد ابن بريك إلى الشحر بقواته وفي عام ١٢٣١هـ جهز النقيب عبدالرب جيشا مؤلفا من خمسة آلاف مقاتل واتجه به إلى نواحى الشحر وتمركز في تباله وخرج آل بريك لملاقاته بجيش مماثل ونشبت معركة ضارية بالمشراف أمام مدينة الشحر وكانت الدائرة على الكسادى فعاد إلى المكلا بدون طائل.

وقبل هذه المعركة كان وصول الوهابي ولم يتعرض له آل بريك ومكث أربعين يوماً بالشحر كسر فيها القباب والتوابيت وكان وصوله من الباطنة من أرض المهرة.

وفي افتتاح عام ١٢٤٣هـ اتفق الكسادى وبن بريك على تحكيم سعيد بن سلطان حاكم مسقط في كل الاختلافات التى بينهم ووقع الفريقان على اتفاقية بهذا الغرض وتوجه الطرفان ومع كل منهما ثلة من الجنود واتفقا بمسقط ومكثا حوالى شهر ويبدو انهما توصلا إلى حلول مرضية بواسطة سلطان مسقط غير ان القدر عاجل الدولة ناجى بن على وانتقل إلى رحمة الله في السنة المذكورة ودفن بقرية سداب. واسندت شئون إدارة الإمارة إلى ابنه على بن ناجى بن علي وكان فتى صغير السن فنازعه عمه الأمير محسن بن حسين بن بريك أحد أعيان الأسرة البريكية وانقسمت حاشية آل بريك إلى قسمين واشتد الخلاف وأخذ كل فريق يستعد للقضاء على الآخر ولزم بعض آل بريك الحياد وما جاءت سنة ١٢٤٨هـ حتى نشبت الحرب بينهما وتعطلت الأعمال وأخذ بعض السكان في الرحيل وتضرر الناس وكانت المدافع تطلق قذائفها من المدينة إلى الرباط ومن الرباط إلى المدينة وبعد محاولات من آل بن بريك المحائدين وآل العطاس توصلوا إلى حل النزاع وإنهاء الحرب واصلحوا شأنهم وتم الصلح على أن تكون شئون الإمارة خاصة بالأمير على بن ناجى وحده دون منازع له فيها وبذلك انحسم النزاع وتم الصلح.

غزو الشحر من قبل الكثيرى
بالاتفاق مع بعض السادة العلويين

في عام ١٢٦٦هـ اتفق آل كثير مع بعض السادة العلويين على غزو الشحر وكان يناصرهم سرا عبدالله بن على العولقى فأمدهم بالمال والسلاح واتفقوا على خطة وضعت باتفاق وبدأوا في الاعداد لها ولتنفيذها فسافر وفد من العلويين ومعهم عبود بن سالم الكثيرى إلى الحجاز واتصلوا بحاكم مكة وحاكم جدة من الأتراك واغدقوا عليهما من الهدايا الثمينة والنقود على ان يقدم حكام الحجاز من الأتراك المساعدات العسكرية والتأييد لآل عبدالله الكثيرى على حرب بن بريك وأجاب الأتراك طلب السادة العلويين فجهزوا لهم جيشا مؤلفا من اربعمائة نفر بكامل العدة في مركب بخارى وعدة سفن شراعية تحت رئاسة السيد إسحق بن يحيى ولما قاربت السفن ميناء المكلا اعترضتها سفن الكسادى فارغمتها على الفرار نحو الشرق فلما حاذت ميناء الشحر لم تستطع الدخول فيه لأن الموسم كان وقت هيجان البحر فاتجهت نحو شرمه وكان قد سبقهم إليها بن بريك بقوة مؤلفه من مائة وخمسين مقاتلا وما ان وضع الأتراك اقدامهم على أرض شرمه حتى فاجأتهم القوة البريكية بوابل من الرصاص ولهول المفاجأة ولى الأتراك الأدبار هاربين إلى سفنهم ولجأوا إلى قصيعر بعد ان تحطمت احدى السفن من جراء الطوفان.

بن بريك والكسادى يتفقان

أدرك بن بريك مايدبر له من اخطار مخيفة وكان الكسادى قد أدرك ان الخطر محدق بالامـارتين على السواء وتؤكدها الانذارات التى تقدمت قبل وصول السفن إلى مشارق ميناء المكلا والشحر إذ وقفت هذه الحملة مدة في حصيصه ومنها أرسلت الانذارات ومنها أرسلت الرسل إلى حضرموت لابلاغهم بوصول الحملة العسكرية وتهيب الرسائل بهم بأن يبادروا إلى الساحل بحملة عسكرية من قبلهم وإزاء هذا المـوقف الخـطير طلب على ناجى بن بريك الاتفاق بالنقيب محمد بن عبدالحي الكسادى حاكم المكلا ولم يتردد النقيب الكسادى في إجابة الطلب وحدد المكان غيل أبي وزير واتفق الأميران وعقدت معاهدة دفاعية تنص على وجوب مساعدة كل منهما للآخر عند أى هجوم مسلح على المناطق التابعة لهما وكانا قد استعرضا خطة آل كثير والسادة العلويين واحاطا علما بالقوات المقبلة من الداخل وهدفها الأول احتلال الشحر وتمت الاتفاقية وعاد كل منهما إلى بلاده ليعد كل منهما عدته لمواجهـة القـوات الكثيرية وسرعان ماجاءت الأنباء بتدفق القوات الكثيرية على الشحر وكانت دفيقة القريبة من مدينة الشحر هى مركز القيادة لقوات الكثيرى وقد وزعوا المقاتلين على أطراف الشحر من جهاتها الثلاث ومن البحر كانت السفن تتجـول في الميناء وعلى سواحل الشحر ومنعوا المواصلات منها وإليها وأصبحت مدينة الشحر محاصرة من كل جهاتها برا وبحرا وتضرر السكان من شدة الحصار وفي هذه اللحظات الخطيرة بدأ الهجوم على الشحر فصده آل بريك وعاد إلى كثير إلى دفيقة لتدبير حملة كبرى على الشحر ولكن المناوشات كانت مستمرة وكان آل بريك صامدين لها وبعد سبعة أيام وصل النقيب صلاح بن محمد بقوة تقدر بألف مقاتل عن طريق البر فالتقى بأهل كثير في المكان المسمى مرير وعدد قوات الكثيرى بهذه المنـطقة ثلاثة آلاف مقاتل من صيعر ونهد وآل العمودى والحموم والعوابثه

وغيرهم وبدأت المعركة بين الفريقين أظهر فيها قوم الكسادى شجاعة نادرة اسفرت عن هزيمة نكراء لآل كثير وقواتهم المرابطة على خط مرير ولم تمكنهم القوات الكسادية من العودة إلى مركز القيادة بل شتتوا شملهم فولو الأدباء هاربين إلى داخل حضرموت فرادى وجماعات وبهذا النصر الساحق وبالسرعة المذهلة لم يبق من القبائل المقاتلة المجلوبة من حضرموت أحد وتركوا جماعة من الحموم والأتراك في دفيقة وكان النقيب صلاح يطارد بقواته الفلول المنهزمة حتى اطمأن من خلوا المنطقة منهم وحينها قرر الدخول إلى الشحر ببعض قواته وبقى البعض في مشارف البلاد وكان يوما مشهودا وفي اليوم التالى من دخوله تقرر الهجوم على دفيقة تحت قيادة موحدة وإزاحة من بقى من المقاتلين في دفيقة وفعلا خرجت حملة موحدة إلى دفيقة ولما وصلوا إليها تبين لهم انها خالية ولم يجدوا بها أحدا من الأعداء إذ تركها الأعداء ليلا وفروا ومن معهم إلى سفنهم التى غادرت السواحل الحضرمية تاركة معداتها في دفيقة وغنمها آل بريك وغنم البعض الكسادى وعاد الكسادى بقواته إلى المكلا.

خلاف خطير بين آل بريك

جرت سنة الله في هذا الكون انه إذا أراد لدولة من الدول أو أمة من الأمم ذهاب قوتها وسلطانها ومجدها وهيبتها جعل بأسها بينها وهذا ماحدث بين آل بن بريك في الظروف التى يتربص بهم عدوهم لقد اشتد الخلاف بينهم وانستهم الاحقاد التى ملاءت قلوبهم أى حساب لعدوهم وكثر الشر والكيد لبعضهم البعض وحاول المصلحون تقريب وجهات النظر ولفت انظارهم إلى الخطر الذى يدبر لهم ككل ولم تنفع معهم وساطة الوسطاء ولانصح الناصحين ولا قبول رأى أولى الخبرة والمعرفة بل امعنوا في تمزيق وحدتهم وتشتيت قوتهم، إنها المقادير تعمل عملها ولكل بداية نهاية وليقضى الله امرا كان مفعولا . ومن قول السيد أبى بكر بن عبدالله العطاس رحمه الله بعد ان يئس من اصلاحهم قال راجعنا أهل بريك لمحبتنا فيهم فلم ينفعهم كلامنا والظاهر ان مركبهم قريبا إلى الانكسار والله يفعل مايشاء ويختار.

الكثيرى يغتنم الفرصة

لاشـك ان الكثيرى على علم باحداث الشحر وانه يرى ان الفرصة سانحة ويجب الا تذهب وفعلا أعد جيشا كبيرا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل من آل كثير والعوامر واعـدوا العـدة بسرعة فائقة وتكتم شديد وتحرك الجيش وأهل بريك غارقون في خلافاتهم وفي ليلة الخامس من جمادى الآخرة عام ١٢٨٣هـ هجم آل كثير على الشحر من جهاتها الثلاث من الشمال والشرق والغرب وكان الهجوم مفاجئاً لآل بريك ولهول الصدمة أصيبوا بذهول وخوف ولم يقاوموا إلا مقاومة يائسة فانهارت معنوياتهم وفشلت مقاومتهم الهزيلة وقتل من آل بريك احدى عشر قتيلا وخمسة من آل كثير واصبح الأمير على ناجى لايفكر إلا كيف ينجو بمن معه من أهله والحـاشية وذويه ويريد طريقـة للهرب وتمكنوا من ذلك عن طريق البحر وتركوا الشحر للكثيرى الذى أعلن سلطاته عليها وذهب آل بريك وذهبت دولتهم واتجهوا إلى أحور وأكثريه آل بريك التجاوا إلى المكلا عند الكسادى وكان وقع الحادث على الكسادى اليما وقاسيا.

بن بريك في أحور

وصل الأمير علي بن ناجي بن بريك إلى أحور واطلع سلطان أحور على جلية الأمر كما عمل اتصالات مع الانجليز ووعده العولقى بالمساعدة والانجليز وعده بحمايته من البحر وأرسل أخاه ناصر إلى عند النقيب الكسادى ليشرح له ماتم بينه وبين العولقى والانجليز وان ذلك يتوقف على مساعدته فكان رد الكسادى الا فائدة من ذلك ولايجدى شيئا وكان الكسادى ناقما عليه لسرعة استسلامه وعدم طلب النجدة منه وقال له ان أولاد عمر بن عوض القعيطى قد كتبوا له وانهم عقدوا العزم على حرب الكثيرى في الشحر وحضرموت ولديه القوة الكافية من معدات حربية ومقاتلين فوافق الأمير ناصر بن ناجى على الفكرة وبهذا تحددت النهاية لدولة آل بريك بعد ان حكموا الشحر حوالى ١١٨ سنة واتفقوا على ان آل بريك يكتفون بارجاع ممتلكاتهم التى استولى عليها الكثيرى كاملة غير منقوصة متى تم استرجاع الشحر من آل كثير للقعيطى وقد اتفق الكسادى مع القعطة ان يكون الملك وإدارة الحكم في الشحر لآل عمر بن عوض القعيطى وتقول بعض المصادر ان الأمير على ناجى عاد إلى الشحر وقوبل مقابلة كريمة من آل القعيطى إلا أنه لم يعد قادراً على البقاء في الشحر بعد ان رأى نفسه في وضع لايمكنه الصبر عليه فعزم على الرحيل إلى عدن ومنها إلى لحج وقد كان ينوى السفر إلى الاستانه ليطلب من الدولة العلية اعانته على استرجاع ملكه ولكن عاجلته المنية في لحج بعد صلاة الجمعة من يوم ٢١ ربيع الأول عام ١٢٩٣هـ وتقول بعض المصادر ان آل بريك اشتركوا في الحملة التى قادها القعيطى لاحتلال الشحر وكانت هذه الحملة في نفس العام الذى تم فيه احتلال الكثيرى للشحر أى عام ١٢٨٣هـ واعلن القعيطى سلطنة على الشحر.

العبـــــرة

لم يعتبر آل بن بريك ولا استفادوا من التجارب التى مرت بهم ولو انهم فكروا لادركوا انهم لم يستطيعوا الاستيلاء على الشحر إلا بفضل الخلافات الحادة التى كانت موجودة بين يافع بعضهم البعض بينما كان أهل بريك في غاية من التماسك والوحدة وعندما أراد الله لهذه الدولة النهاية والتى كانت محبوبة من شعبها قوية في كيانها أوجد الخلاف بينها وجعل بأسها بينها حتى انه لم يعد هناك مجالا للاصلاح وفي هذه الحالة استطاع الكثيرى انهاء الخلاف بازالة هذه الدولة من الوجود وبيسر وسهولة.

سلطات يافع على أهم مدن حضرموت

لسنا في حاجة في هذا العرض الموجز إلى ذكر استئثار يافع بالسلطة على أهم المدن في حضرموت لانها لاتمثل حكومات لها مقوماتها كدولتى الكسادى وبن بريك أو كدولـة القعيطى إذ كانت توجد عدة سلطات في مدينة واحدة كتريم وسيون والشحر قبل دولة بن بريك وتجد تريس والقطن وحوره وسدبه والهجرين وبعض قرى عمد وريده المعاره وريدة عبدالودود والديس والحامى كلها تحت سلطة يافع وكذا مريمة في حضرموت الداخل وهذه السلطات معرضه للزوال كما حدث لتريم ومريمه وسيون لهذا لم نطل الكلام فيها لأن بعض التواريخ قد تعرضت لذلك.

الدولة القعيطية

بلدة لحروم في مداخل وادى عمد هى مقر الأسرة القعيطية وبها نشأ أفراد الأسرة القعيطية ومازالت مساكنهم وأموالهم معروفة بها ولنذكر مؤسس هذه الدولة وكيف نشأ. انه عمر بن عوض بن عبدالله بن عامر القعيطى وقد اختلف المؤرخون في مكان ميلاده فمن قائل انه من مواليد لحروم ومن قائل انه من مواليد خُمَير بالقرب من شبام لأن والدته من هذه المنطقة ولم نجد تحديدا لزمن ميلاده إلا أنه بالتأكيد ولد في العقد العاشر من القرن الثانى عشر الهجرى ونشأ بشبام وتعلم بها مبادىء القراءة والكتابة والدين والحساب وكانت ظروفه المعاشية قاسية وكان أخوه عبدالله بن عوض في ناقفور من أرض الهند قائدا على فرقة عربية لدى أمير ناقفور ومتزوج من امرأة ثرية واسعة الثراء غير انه لم يسعف أخاه وأهله بما يقيم أودهم مما جعل أخاه عمر يفكر في الهجرة وكما هو شأن غيره من الأقارب ومواطنيه الحضارم الذين كانت هجرتهم إلى الهند وقد وهبه الله صفاء في العقل وسلامة في التفكير وقوة في التعبير متأثرا بما لاحظه في وطنه وعاشه معهم في أرجاء حضرموت من فوضى ضاربه وعدم استقرار وكل ذلك يحز في نفسه الكبيرة ولكن ماذا يفعل العين بصير ولا فى اليد حيله فقر مدقع واسر متنافره لم يربدأ من السفر وجد عزمه في عام ١٢٠٧هـ غادر حضرموت فمن قائل انه اتجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وانه اتفق بالجمعدار عبدالله بن على العولقى وتحدث كل منهما إلى صاحبه واعجب العولقى بعمر بن عوض وعرض عليه العون ولكنه اعتذر وشكر وكانت بدء المعرفة التى لم تحمد عقباها ويقال انه واصل سفره إلى بمبى وبها علم بموت شقيقه عبدالله والذى قد مضى على موته حوالى ثلاثة أشهر فذهب فورا إلى ناقفور وأول ماقصد بيت أخيه لتعزية زوجته ولكن كانت المقابلة منها غير كريمة فتركها وذهب إلى ثكنة الجيش وعرفهم وعرفوه وبعد مدة يسيرة عين خلفا لأخيه لقيادة الجيش العربى. وكانت تهدد هذه الإمارة ثورات صغيرة ولكن هذا القائد استطاع ان يخمدها

ويقضى عليها فحظى لدى أمير ناقفور وأجزل له العطاء وظهر اسمه كقائد محنك وظهرت كفاءته الحربية وظهر نجمه يتألق واسمه يتردد لا في ناقفور وحدها بل في الإمارات المجاورة وفي حيدر آباد الدكن بصورة خاصة حيث يكثر بها العرب مما جعل مخلفة أخيه تخطبه لنفسها فتزوج بها وأولدها جميع أولاده إلا محمداً فأمه حبشية ووضعت أموالها تحت تصرفه وفي فترة هدوء نسبى هبت ثورة عابثة كان يغذيها الانجليز سرا ثم كشف عن نفسه فظهر على المسرح وكانت الضربات متتالية على الثوار من الجيش العربى والهندى وكاد ان يقضى عليها إلا أن الانجليز استطاع خطف أمير ناقفور وطلب من كل الجيوش ان تسلم السلاح وتستسلم للقوات البريطانية فاستجابت القوات الهندية لذلك أما عمر بن عوض فقد رفض هذا الأمر وطلب ان يعود الأمير إلى قصره حرا ثم يمكنه قبول أى أمر منه رفض الأمر وقواته تجابه قوات الثوار ومعهم الانجليز حتى خيف على الثوار من الهزيمة التى باتت قاب قوسين أو أدنى فحاول الانجليز اغراءه فرفض فقابله الأمير في مكان حدده وطلب منه الكف عن الحرب واعطاه التعويضات الكافية ودفع له مرتبات الجيش العربى مع مايلزم من مكافآت وباع أموال زوجته بمبالغ ضخمة وأخذ هذه الأموال متجها إلى حيدر آباد ومعه الجيش العربى وعائلته وكان قد سبقه إليها صيته فقابله ملكها وأكرمه واقطعه أراضى واسعة وساحة كبيرة في قلب حيدر آباد ليبنى له مسكنا وجعله قائدا على جيشه الذى اتى به بعد ان اثبته في الديوان وكذا من يرغب من العرب في الانضمام إلى جيشه وتحت قيادته واستقر به المقام في حيدر آباد الدكن.

البـدايـــــة

أول عمل قام به الجمعدار عمر بن عوض القعيطى ان ابتنى قصرا فخما لفت أنظار زملائه من القادة العرب كما لفت أنظار غيرهم من النواب وسرعان ما انفق الأموال الطائلة لاستصلاح الأراضى التى منحه إياها ملك حيدر آباد علاوة على مايشتريه من عمارات ومساحات وحدائق وقد مدَّ يده إلى بمبي واشترى بها عمارات درت عليه بكروات مغرية واخذ يدبر شئونه المالية حتى ظهر أمام اقرانه بانه الثرى الأول من العرب وعادت عليه القرى والمزارع بالأموال الوفيرة مع مايحصل عليه من مرتبات ضخمة من حكومة حيدر آباد وفي الوقت الذى كان يدبر فيه أمواله وأخـذ يطمئن إلى سلامـة اعـماله كانت حضرموت تعانى الأمرين من الفوضى واختلال الأمن وزيادة على ذلك مايتعرض له يافع من قتل وتشريد واذلال واهانة حتى لقـد صرح أحـد قادة آل كثير عند احتلالهم للشحر ان يافعا لامكان لهم بحضرمـوت بعـد اليوم ولابـد من اجـلائهم ومصادرة أملاكهم وأخذت الأنباء المفجعـة تتـوالى على يافـع بالهنـد وجـاءت الصرخـات تلو الصرخات من يافع حضرمـوت تستنجـد وتستغيث بيافع الذين بالهند وعلى رأسهم عمر بن عوض القعيطى والهبت عواطفه تلك الصرخات وأذكت حميته وعلى الفور أرسل ابنه محمدا وعبـديه الماس وعمبر وكان الماس داهية نبيلا بعيد الغور يعرف مقادير الرجال. فاشترى حوطة القطن من السادة آل العيدروس بثلاثة آلاف ريال وكسور وخمسمائة ريال للواسطة في ذلك من آل العيدروس واشترى حصون الكروس والآبار التابعة لها من سعيد بن حسين بن على الحاج وكان ذلك عقيب احراق السلطان منصور بن عمر لحصن آل الخلاقى وبه عمة الأمير عمر أو خالته وهو الذى آثار حفيظته واشعل نار الثورة في فؤاده مما جعله يعد للأمر عدته من بدء عام ١٢٦٤هـ فأرسل محمد بشهر إلى يافع ومعه الأموال الطائلة لجلب جيش من يافع وقدم له السلاطين

بيافع كل التسهيلات واختار من قبائل يافع المختلفة حوالى الفى مقاتل بكامل عدتهم وعليهم حوالى ثمانين رئيسا منهم السيد محمد بن سالم بن الشيخ بوبكر والسيد زين الحبشى . وصائل بن صالح بن على بن ناجى ، وعلى حسين الضباعى وأخوه عبدالله والبكرى . ومحمد مثنى وأخوه علوى وغيرهم .

دور السادة العلويين

علم زعماء السادة العلويين بالجيش المنتظر وصوله من يافع فأسرعوا بكتابة رسائل لصاحب شقره السلطان أحمد بن عبدالله الفضلى خلاصتها ألا يمكن هؤلاء القوم من المرور بأرضه فمنعهم أولا ثم أرضاه محمد بشهر بما يريد من المال فعين لهم طريقا في أطراف بلاده ليوهم السادة انهم مروا بدون علمه ولكنه رأى الا فائدة من التمويه فكتب للإمام البحر كتابا يقول فيه «وعن شأن مامضى منا من تقصير من مطلع الفئة الباغية من طريقنا فنحن على حسب ماعرفناكم مالنا قصد بمطلعهم ولكن جابوهم ناس من إخوانى وبنى عمى وشفنا الكلام بايزيد نحن وهم وباينتصرون علينا بمساعدة الكافر لهم قلنا معاد حاجة وقد النجم في وجوههم» إلى آخر ماكتبه وأجابه شيخ الوادى السيد حسن بن صالح البحر قال فيه : «صدر هذا الكتاب المبنى بصدق النية وحسن الطوية وذكرتم اعتذاركم في عبور الفئة الباغية الذين خرجوا إلى وادى حضرموت وصنع الله بهم ماصنع ورجعوا خائبين» إلى آخر ماقال.

وفي غرة المحرم عام ١٢٦٥هـ وصل يافع إلى المكلا وأسرع النقيب صلاح في ارسالهم إلى حضرموت الداخل واحضر الجمال والجمالة وأجزل لهم الأجرة وطلب من الجمالة الاسراع في السير وكل من مات جملة من أجل ذلك فله ثلاثون ريالا وكانت قيمة الجمل في ذلك الوقت لاتتجاوز العشرين ريالا لأجود الجمال وعمل ذلك خوفاً من اعتراض آل كثير لهذه القوة واعطاء الفرصة لهم إذا طالت مدة القوة بالمكلا وكان رأى عقلاء السادة من العلويين كالسيد محسن السقاف والسيد عبدالله بن عمر ان يبادر الكثيرى باعتراض القافلة ومن معها من القوم قبل وصولها إلى القطن ويؤكد هذا رسالة موجهة إلى زعيم الوادى السيد حسن بن صالح البحر مؤرخه ١٥ محرم عام ١٢٦٥هـ يقول فيها : «بعد طلب الدعاء بالهداية والمهم

الثانى تقويم هذه الدولة التى من الله بها ونصرها على الأعداء الذين لايرقبون في مؤمن الاًّ ولاذمة إلى أن قال فيها فقد وصل مكتب (رسول) البارحة من البندر ونقلوا ان جمع أولئك في المكلا قد توفر ولكنه إن شاء الله جمع مكسر وعن النصر مؤخر فتوجهوا إلى الله إلى رفعهم عن الجهة المحمية» إلى أن قال فيها : «والدولة خصوصا عبود لايسمع نصح مشير ويرى ان رأيه لايصل إليه رأى كبير ولا صغير فاعجزنا عن الخوض معه في الأمر ويشير إلى أنهم أشاروا عليه بملاقاة يافع في الطريق فلم يقبل عنهم» .

أما يافع فقد وصلوا إلى القطن بالسلامة وسرت موجة فرح في يافع القطن . وفور وصولهم دبروا أمر الهجوم وان يكون البدء بالعقاد وديار آل عيسى بن بدر فحطوا عليها وسلمت لهم ماعدا العقاد التى ينتظر تسليمها وخرج الذين استسلموا على الأمان بوجوه يافع وأرسلوهم إلى نواب القعيطى في القطن وبقوا محتجزين .

تسرع وخلاف

بعد ان سقطت بعض الجيوب التى أمام شبام بقيت العقاد إلا أنها في حالة السقوط بيد يافع وابقوا لها فرقة ومعهم المدفع لاحتلالها أما البقية أو الأغلبية من القوم فقد قرر قادتهم ان يبادروا إلى احتلال سيون وهذا رأى قادة يافع الذين أجلوا من سيون وكان رأى القعيطى احتلال شبام أولا وتغلب الرأى الأول إلى الذين اهاجتهم الذكريات وعصفت بهم الأشواق إلى مسقط الرأس ومرتع الصبا فتعجلوا وخالفوا أمر قائدهم القعيطى واخذوا من القوات حوالى ثمانمائة مقاتل وساروا بهم لاحتلال سيون وفي ليلة الاثنين ٢٥ شهر ربيع الأول عام ١٢٦٥هـ هجموا على سيون واحتلوها ولم يفكروا في أمر المواصلات وبعد المسافة مابينهم وبين العقاد وهذه المقاطعة كلها بيد آل كثير فأول عمل قام به الكثيرى هو الحصار التام وقطع خط المواصلات وبذا تم قطع خط الرجعه على يافع ثم بدأ الكثيرى بالهجوم على يافع في سيون ولم تمر عليهم سوى سبعين ليلة فقط حتى خرجوا منها مهزومين وكان قادة الحملة من يافع هم المستوطنون وأكثرية المقاتلين من يافع الجبل وفي يافع الجبل بعض من رؤسائهم ولما رأوا الهزيمة المحققة وحصص الحق ونفذ القوت وذهبت السكره وجاءت الفكرة تدخل المصلحون من السادة ووضعوا حلولا تقضى بخروج يافع من سيون بالأمان وحضر السلطان علي بن أحمد الكثيرى بنفسه إلى الجلسة وكان في هيئة رثة على جانب كبير من التواضع إلا أنه قوى الشخصية قوى التعبير.

ولما رأه صائل بن ناجى أكبره وأكبر حاله وتفرس فيه إيثار العدل والانصاف ثم انعقد اجتماع أخر حضره جمع من يافع ومنهم صائل بن ناجى وكان افصح القوم ولسانهم الناطق فمما قاله ليافع المستوطنين لقد أخطأنا بالأخذ برأيكم ظنا منا انكم أخبر بشئون المنطقة واتضح لنا انكم قدمتم القوم إلى الهزيمة الحتمية وأرى الا

فائدة من البقاء في سيون وفي تلك اللحظة اخرج عبدالحبيب بن بوبك بن النقيب رسالة من الأمير محمد بن عمر يقول فيها لقد بلغنا الجهد في ايصال الزاد والمعدات اليكم فلم نقدر فأخذها صائل بن ناجى منه وقال هذه حجة لى عند الناس خصوصا عند الكسادى وقد مضت عليه عشرة أيام لايجد مايأكله غير سقيط النخل الذى يسمونه (الفاسى) وصائل بن ناجى هذا يمثل درجة وزير عند الكسادى وكان في يافع عند ماجاء وفد القعيطى وتلقى إشارة من الكسادى ان يقدم العون لهذا الوفد واستطاع ان يجمع عددا كبيرا من قومه ومن غيرهم في هذا الجيش وجاء على رأسهم.

ثم أخذ الحديث صائل بن ناجى موجها له إلى السيد محسن بن السقاف قائلا له تكلم مع هؤلاء الظلمة. يقصد يافعا من المستوطنين. فقال له لقد نصحتهم فلم يقبلوا ورجوتهم فردوا علىَّ باساءات تحملتها منهم لغرض الاصلاح فاسترجع صائل وقال أما أنا ومن تبعنى فانى قررت الخروج من سيون بكامل معداتنا ومن اعترضنا حاربناه إلى أخر رجل منا أو منهم وكان السلطان الكثيرى قد اعجب بصائل بن ناجى وأمر قومه بأن لايتعرض له أحد ولا لمن معه وتم جلاء يافع من سيون.

وعلى الأثر بدأ المصلحون بالسعى في الاصلاح بين آل كثير والقعطة ففى شعبان عام ١٢٦٦هـ وصل السيد العلامة محمد بن زين بن محمد باعبود إلى حضرة العلامة السيد حسن بن صالح البحر ويحمل معه رسائل من الجمعدار عمر بن عوض القعيطى والسلطان غالب بن محسن الكثيرى وفي خطاب القعيطى صورة مشروع للصلح مكون من عشرة أبواب كما يقول ابن حميد ولم يفصلها غير انه ذكر اهمها. منها نصر الشريعة وتطبيق أحكامها ودفع الظلم ومحاربته من أى كائن وكان يافع من المواطنين لايريدون الا سيون ولكن القعيطى اقنعهم قائلا مادام السلطان غالب بن محسن يرغب في اقامة الشريعة فلا يجوز لنا الاعتراض عليه. ولكن مشروع القعيطى المنوه عنه لم يقبل ولكن السيد باعبود وضع مشروعاً أخر ولم يتم لأن المغرضين من الجانبين كانوا ضد أى اتفاق بين الكثيرى والقعيطى.

وفي ٤ صفر عام ١٢٨٤هـ انتقل إلى رحمة الله الجمعدار عمر بن عوض

القعيطى وخلفه ابناؤه عبدالله . وصالح . وعلى . ومحمد . وعوض والأخير انتهت إليه الرئاسة وكان لها أهل وهذا تعبير ابن عبيد الله مفتى حضرموت ويضيف قائلا . إذ كان قريع الدول وبقية الأول نقاف النواصى . وطلاع الصياصى . كبير الآمال . خطير الأعمال . لايبالى بفلسه . ولا يعول إلا على نفسه .

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لايعول في الدنيا على رجل

لاتقل همته خيبة ولاترد عزيمته هيبة . نشأ على الحرب ومرن على الطعن والضرب . بين أعلام تعقد . والوف تنقد . وغبار يسطع وبعون تقطع . وماعسى ان يقال فيمن شب يقرع النبع بالنبع . حتى انحطت به من الدول أكثر من سبع . على انه لم يكن في الحرب مظفرا ولكن حظه من الثبات موفرا ركب الخوف إلى الأمان . حتى عرله اذن الزمان اهـ . ولست بغرض التأليف لتاريخ القعيطى إذ ذلك يتطلب وقتا طويلا وإنما نوجز المهم الذى لابد منه .

وفي عام ١٢٧٥هـ اشتد الحرب على شبام مما جعل السلطان منصور يقبل الصلح على مناصفة شبام وتم ذلك إلا أن السلطان منصور بدأ يدبر مكيدة لاغتيال رجال القعطة وزعماء يافع ورسم خطوطها وكادت ان تحدث لولا ان القعيطى عالم بهذه المكيدة في اللحظة الأخيرة ففشلت ودبر القعيطى من جهته مكيدة لمنصور راح ضحيتها واستولى القعيطى على شبام وفي نفس العام اشترى حوره من آل عمر بن جعفر واستولى عليها .

قدوم عوض بن عمر القعيطى من الهند

ولد السلطان عوض بن عمر القعيطى في الهند في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى وكان مقربا إلى والده ويعتبر الرجل الأول في إنشاء الدولة القعيطية وحمايتها فوالده صاحب الفكرة والمؤسس لها وهو المشيد دعائمها ومثبت اركانها قدم لأول مرة إلى القطن عام ١٢٦١هـ واطلقت عليه حكومة الهند بمرسوم حكومى رسمى بلقب سلطان عام ١٩٠٢م يأت ذكر قصتها من باب الثقافة في مكـان آرخـر ـ وعنـد سماعه باحتلال الكثيرى للشحر وطرد آل بريك منها عام ١٢٨٣هـ لم يستقـر له قرار فاتصـل بالكسـادى فوجـده على اتم استعداد وكان الكسادى قد اتصل به ويؤكد له انه على استعداد لاسترداد الشحر وعمل السلطان عوض اتصالات سريعة في القطن وأرسل إلى يافع الجبل لجلب جيش وعزم على الخروج إلى المكلا وقد قدم إناسا قبله إلى المكلا وكان على موعد مع كل القوى المناصرة والمتوثبة فتحرك من الهند ووصل إلى المكلا في ٢٣ رمضان عام ١٢٨٣هـ على رأس مأتين مقاتل من يافع وخمسمائة مقاتل من الهنود الرويلة ومعه المعدات اللازمة تحملها ثلاث بواخر وست سفن شراعية بها عشرون مدفعا وذخائر كثيرة وقدم محمد بن عمر من القطن بمائتى مقاتل وقدم الشيخ على الحريبى يقود ألفا وخمسمائة مقاتل ووصل الأمير منصور بن حسين بن قملة من نجد يقود خمسمائة من رجـالـه بينهم مائة فارس وفي ٢٤ الحجة ١٢٨٣هـ بدأ الهجوم على الشحر من الجهات الأربع بحراً وبراً وقاوم آل كثير مدة يومين فقط ثم انهارت قواتهم وهزمت هزيمة نكراء وتم استيلاء القعيطى على مدينة الشحر وعاد الكثيرى مرة أخرى عام ١٢٨٤هـ لاحتلال الشحر وهجم عليها بجيش كبير وكاد ان يستولى عليها لولا ثبات السلطان عوض وكانت معركة شرسة إلا أنها انتهت بهزيمة الكثيرى.

الحملة الفاشلة

وفي عام ١٢٨٥هـ اجتمعت قوات يافع وحلفائهم وهذا التجمع الكبير والحشد الهائل كان الغرض منه هو القضاء على سلطة الكثيرى ويعد أكبر تجمع اشترك فيه كل من القعيطى والكسادى مما اضطر الكسادى ان يستدين لتموين قواته بالقوت والسلاح من القعيطى مبلغاً قدره مائة ألف ريال ودفع القعيطى هذا المبلغ وتحركت القوات إلى حضرموت ولكن تفقد هذا الجيش وحدة القيادة والإيمان بالهدف وحينها حدثت خلافات بين قادة الجيش ولربما اعجبتهم كثرتهم وبدأت المناوشات وأدرك الكثيرى عدم الجد من يافع في القتال فشددوا من هجماتهم على يافع ولم تثبت قوات يافع أمام هذه الهجمات المركزة فولوا الأدبار منهزمين شر هزيمة ودب الشك وسوء النية بين القعيطى والكسادى وعاد الكسادى إلى المكلا بقواته وعليه مائة ألف ريال للقعيطى وازداد الأمر تعقيداً بين الأخوين المتحالفين ودب الشك وسوء الظن إلى أن كانت النهاية التى المحنا عنها فيما سبق في الكلام عن الكسادى وكما ستأتى بشيء من الايضاح بعد هذا وعلم القعيطى ان العولقى ساعد الكثيرى في هذه المعركة ومن هنا فقد اعذر القعيطى إلى كل من الكثيرى والعولقى على السواء وعاد عوض بن عمر إلى الهند ليعد العدة للقضاء على نفوذ العولقى .

احتلال غيل أبى وزير

غيل أبى وزير مدينة تقع في الشمال الغربى لمدينة الشحر وتلحق بها عدة قرى يطلق عليها مقاطعة الغيل وهى منطقة زراعية وتسكنها قبيلة آل عمر باعمر وآل بن همام وآل أبى وزير وغيرهم وكانت تخضع لمن يحكم الشحر فكما كانت خاضعة لابن بريك والكثيرى خضعت للقعيطى بعد استيلائه على الشحر إلا أن الجمعدار عبدالله بن على العولقى كان يحاول الحد من سلطات القعيطى فأخذ ينفق المال على آل كثير وآل عمر باعمر مما جعلهم ينفرون من القوة الصغيرة التى وضعها القعيطى في الغيل أدى فيما بعد إلى مقاطعتهم ثم انذارهم بمغادرة الغيل وحددت لهم مدة قصيرة لم تر الحامية بدا من مغادرة الغيل إلى الشحر. وحينها رسم السلطان عوض بن عمر خطة لازالة كل نفوذ للعولقى فاحتل شحير وحولها تجمعت القوات المتحالفة وهم آل كثير والعولقى وآل عمر باعمر والكسادى ولكن القعيطى بتكتيكه الحربى استطاع ان يدخل الشك بينهم ويفرق جمعهم بعد ان خسرت القوات المتحالفة معركة معيان المساجدة لغرض احتلال الشحر فعاد الكسادى إلى المكلا.
ولم يلبث القعيطى الا فترة اعداد لتحرك القوات إلى الغيل وفعلا تم ذلك عام ١٢٩٢هـ واحتلتها وبادرت بالزحف على حصن العولقى الواقع بقرب الصداع وحاصرته مدة ثم احتلته القوات القعيطية وتفرقت القوات المتحالفة وتم الأمر للقعيطى.

وفي عام ١٢٨٧هـ أرسل قوة إلى الحامى واحتلها ثم أرسل قوة أخرى إلى قصيعر عام ١٢٨٨هـ واحتلها.

دور الكسادى

علمنا كما تقدم أن الشكوك وعدم الثقة بين القعيطى والكسادى قد ساءتا إلى النهاية وانقلبت الصداقة إلى عداوة وكان الكسادى قد اخطأ في تحالفه مع الكثيرى والعـولقى حتى قيل ان العولقى كان يساعده بستة آلاف ريال سنويا ونسى انه مدين للقعيطى بمائـة ألف ريال فبعد وفاة النقيب صلاح عام ١٢٨٨هـ ورواية بامطرف كانت وفاته في اليوم الثالث من ربيع الأول عام ١٢٩٠هـ الموافق ١١ مايو عام ١٨٧٣م. أما ميلاده فكان عام ١٢٢٧هـ.

قلنا بعد وفاة النقيب صلاح اغتنمها القعيطى فرصة فجاء معزيا ومطالبا وشدد القعيطى على الكسـادى بالـطلب ولم يسع الكسادى إلا أن يخضع لعقد صلح يقضى بتسليم ناصفـة المكـلا وتـوابعهـا للقعيطى بعـد ان سبقت هذا الصلح مناوشات ولم يدم هذا الصلح إذ كانت التحرشات بين الجنود تكاد تكون يومية إلا أنها شبت معركة ضارية بين الطرفين انتهت بهزيمة القعيطى وأجلى القعيطى قواته من المكـلا ولكنـه عاد مطالبـا للكسـادى لا في الـدين وحـده بل وفي الناصفة واستطاعت قواته تحتل بندر بروم وتدخلت حكومة عدن بينهما واتفقا على تحكيم حاكم عدن وبناء عليه طلب حاكم عدن من القعيطى ان ينسحب من بروم لابداء حسن نيته قبل امكانية الخوض في التحكيم، ومن ثم حكم حاكم عدن على ان يختار النقيب عمر بن صلاح الكسادى احدى ثلاث أما تسليم الدين الذى عليه أو يستلم مائة ألف ريال أخرى ويسلم المكلا وينتقل إلى بروم أو يتسلم مائتين وستين ألف ريال ويتخلى عن الإمارة.

وعاد النقيب عمر إلى المكلا بعد ان رفض الحكم ولم تمهله حكومة عدن بل أرسلت بارجـة حربية اسمهـا (دراجون) لاعادة بندر بروم للقعيطى الذي كان سحب قواته منها بطلب من الانجليز كشرط من الشروط قبل قيام حاكم عدن

بالتحكيم وعندما رأت القوة الكسادية المرابطة في قلعة بروم هذه البارجة اطلقت نيران مدافعها عليها فردت البارجة عليها بمدافعها القوية وعند استسلام الحامية سلمت بروم للقوات القعيطية المصاحبة بحراً ثم توجهت إلى المكلا وأعلن فيها قبطانها (هنتر) انه سيضرب المكلا إذا لم يقبل الكسادى الحكم فاختار الكسادى الرحيل والجر في نفس البارجة تتبعه حاشيته في عدة سفن شراعية وفضل الجلاء على البقاء وكان ذلك عام ١٨٨١م وفي بعض التواريخ كان عام ١٨٧٧م الموافق عام ١٢٩٤هـ وبذلك دخلت المكلا تحت سلطة القعيطية. وفي ١٣ فبراير عام ١٨٨٨م الموافق ٢١ جمادى الثانية عام ١٣٠٥هـ وقعت معاهدة الحماية في الشحر وقعها السلطان عوض بن عمر وأخوه عبدالله بن عمر بحضور القبطان هنتر ثم امضاها حاكم عدن الجنرال هوج.

خلاف خطير بين الأسرة القعيطية

حدث خلاف خطير بين الأسرة الحاكمة القعيطية بين الأميرين حسين ومنصر أبناء عبدالله بن عمر وبين عمهم عوض بن عمر عندما قاما المذكوران بتقسيم السلطنة إلى نصفين ورفضا الاقتناع بكل ماعرض عليهما عمهما من اغراءات وتنازلات لكسب رضاهما وقناعتهما. وانقسم الجيش والحاشية إلى قسمين وكل قسم يؤيد صاحبه على السلطة وكادت هذه الخلافات ان تعصف بالإمارة ولكن تدخل الوسطاء وبعد رأى قبلت الوساطة من الطرفين وحكموا منصب عينات ووقعوا على التحكيم وقضى المنصب لعوض بن عمر بالإمارة الذى جعل الأميرين يرفضان التحكم ويتوجهان إلى سبل العناد والعصيان وانتهى الخلاف باقصاء حسين ومنصر من حضرموت وشرح ذلك يطول وغرضى هو الايجاز وكان ذلك عام ١٨٨٨م الموافق ١٣٠٦هـ.

احتلال دوعن

عمت الفوضى مقاطعة دوعن وكثرت بها السلطات وروع السكان واتجهت الأنظار إلى القعيطى فاستنجد به بعض رجال العمودى فأرسل قوة حوالى عام ١٣١٧هـ ولكن هذه القوة لم تستطع فرض الأمن والاستقرار لكثرة المعارضين والمتربصين إلى أن تولى الحكم والقيادة المقدم عمر بن أحمد باصره فاخضع الواديين وقبائلهما بعد معارك دامية واستقرت الحالة وعم الأمن بعد كفاح وقتال مريرين. وبدأ السلطان عوض يفكر في أمر حجر وجهز حملات باءت بالفشل عام ١٣١٧هـ وعام ١٣١٨هـ إلا أن الأخيرة كللت بشيء من النجاح.

ولحق بربه عاهل حضرموت وبطلها عام ١٣٢٥هـ الموافق عام ١٩٠٩م وقد سطر وصية رتب فيها أمور الدولة. يبدو ان الفترة التى حكم بها السلطان عوض بن عمر نائباً عن والده عمر بن عوض كانت فترة حروب واصلاحات استطاع هذا البطل ان يؤسس دولة لها كل المقومات فهو يحارب بيد ويبنى بيد ولمع اسمه واتجهت إليه الأنظار وسارت بذكره الركبان وخطب وده أبناء الجزيرة العربية وكان قصره عامراً بالوفود وفي عهده كانت شخصيات وطنية لها وزنها عرفها وعرفوه ودانو له بالولاء والاخلاص وكانوا يساعدونه بارائهم فكانوا مستشارين له في كثير من الأمور وعلي رأسهم الشيخ سعيد مبارك باعامر ومجموعة معه من عقلاء البلاد وفى جلسة ضمت عقلاء البلاد فاجأهم بمشروع فحواه انه ينوي تكوين حكومة وطنية يدير شئونها مجلس تشريعي يختاره المواطنون وعرض عليهم مسودة المشروع ولكن كان سابقا لآوانه ويعتبر أول من وضع مشروعا ليحكم الشعب نفسه بنفسه والزم نفسه بأن يقوم بتوفير المال من ماليتهم الخاصة بالهند حتى يستطيع الشعب ان يقوم باعباء الحكم والمال ووضع المبادىء الأساسية لهذا المشروع واكتفى هو بان يكون منفذاً لقرارات المجلس، قلنا ان المشروع كان سابقا لوقته إلا أن هذه الوثيقة التاريخية

وصلت إلى يد أحد علماء حضرموت وكان محتفظاً بها إلى أن شعر بأن المنية تقترب منه فأودعها عند ابنه وأوصاه بحفظها وهى الآن موجودة وقد طلبت من الابن أخذ صور لها وتوزيعها على المشتغلين بالتاريخ وأجاب مشكوراً ووعدني بارسال صورة عنـذ أول فرصـة ممكنة ومن الجدير بالذكر ان والده أيضاً كان قدم عرضاً مماثلاً لايقاف التناصر القبلى من حضرموت الذى لم يقبل باستحسان من قبل بعض كبار العلويين بسبب تأييدهم لآل كثير وشكوكهم من نواياه ولقد أشار في ذلك المؤرخ ابن حميد في تاريخه المخطوط والذى اشرنا إليه في صفحة ١٣١ لهذا الكتاب.

السلطان غالب بن عوض القعيطي الأول

تولى السلطان غالب بن عوض السلطنة بعد وفاة والده وسار على نهجه وثبت دعائم السلطنة واتسعت رقعتها وقصده الأمراء والشيوخ من كل أرجاء الجنوب لكرمه الذي لم يعهد مثله في أرض الجنوب ولقبه شعبه (أبونا آدم) والسادة العلوية (غالب السادات) ودانت له حجر بالطاعة وخطبت وده الامارات المجاورة وطلبت حمايته لها وقرب العقلاء والعلماء والتجار وأحسن رعاية شعبه ومنحه عطفه وعنايته فاحبهم وأحبوه ويعس في الليل ويضع صدقاته لأهل الأكواخ في مداخلها وكان إلى جانب ذلك شجاعاً لايقاوم معروفاً بالصرامة وكانت البلاد في عهده تعج بالوفود مزدهرة بالتجارة واتسع العمران في عهده وكان وزيره السيد حسين بن حامد المحضار السياسى المحنك الذكى المدرك بعيد النظر قوى الحجة ذا شخصية قوية جذابة وتمت أمور بفضل جهده لصالح السلطنة وفي عام ١٣٤٠هـ وافته المنية بحيدر آباد الدكن فبكاه شعبه وقيلت فيه المراثى الباكية ثم خلفه أخوه عمر بن عوض القعيطي .

السلطان عمر بن عوض القعيطي

تولى السلطان عمر بن عوض القعيطي السلطنة بعد وفاة أخيه غالب بموجب وصية والده وكان شجاعاً صارما يحب النظام مغرماً بالعمران اهتم بالجيش حتى أصبح قوة منظمه لها حسابها وانشئت الإدارات وعممت الاصلاحات من مستشفيات ومدارس وغيرها وكان معروفاً بشدة الرقابة مهابا يضع المال في مواضعه واشتهر بين المواطنين بخذ حقك وهات حقي ولحق بربه عام ١٣٥٤هـ وخلفه ابن أخيه السلطان صالح بن غالب.

السلطان صالح بن غالب القعيطي

ان الحديث عن السلطان صالح يحتاج إلى مؤلف ضخم وعن الدولة القعيطية إلى مؤلفات فالسلطان صالح بن غالب بن عوض القعيطى تولى الحكم بعد عمه السلطان عمر ويعتبر عهده نقطة تحول في مجرى التاريخ ففى عهده اتسعت دائرة التعليم والبعوث إلى الخارج. (ويجدر بالذكر هنا ان في عهده أصبحت ميزانية معارف السلطنة تعلو على ميزانية معارف عدن) ونظمت الإدارات والصحة والمواصلات والعمران ونظم القضاء الشرعى واتسعت دائرته وكون مجلساً للدولة لوضع الأنظمة والقوانين ووسع دائرة الجيش واطلقت الحريات وجلب المدرسين والخبراء وازدهرت الأندية الرياضية وكونت الأندية الثقافية والأحزاب السياسية وأسس مكتبة كبرى لعبت دوراً كبيراً في توعية الشعب ويحسن عددا من اللغات الأجنبية إلى لغته العربية وكان عالماً فقيها ملماً بالعلوم العربية والحديثة مهندساً يتقن إصلاح الأجهزة المختلفة مثل الراديو والمسجلات وآلة السينما والسيارات وله ولع بالاكتشافات الحديثة وله محاورات عليه مع كثير من العلماء وله مؤلفات عديدة طبع بعضها البعض ومازال البعض مخطوطاً وهو من مواليد الهند في العقد العاشر من القرن الثالث عشر الهجرى تولى السلطنة عام ١٣٥٤هـ ودخلت الحكومة القعيطية في معاهدة مع الانجليز عام ١٨٨٨م وفي عام ١٩١٨م الموافق عام ١٣٣٦هـ عقدت معاهدة بين الكثيرى والقعيطى وفي عام ١٣٣٧هـ عقدت معاهدة استشارة مع الدولة القعيطية ومثلها مع الدولة الكثيرية عام ١٣٣٩هـ وفي عام ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٤٩م صدر قانون المجلس البلدى. وفي عام ١٩٥٢م صدر قانون يخول للإدارة سلطة إنشاء محاكم للمجالس المحلية لتسوية النزاعات بين الأهالى في مناطقهم. وفي عام ١٩٣٩م انشئت مصلحة البريد.

واستجاب نداء ربه يوم ١٨ شوال ١٣٧٥هـ بعد ان أجريت له عملية جراحية فاشلة في عدن ونقل جثمانه من عدن إلى المكلا ودفن بقبة الشيخ يعقوب وقد شيعته الجماهير بقلوب حزينة وعيون دامعة وخلفه ابنه عوض بن صالح .

السلطان عوض بن صالح القعيطى

في يوم ٢٧ شوال عام ١٣٧٥هـ و ٦ يونيو عام ١٩٥٦م نودى بالسلطان عوض سلطاناً على عرش أبائه وأجداده وكان كثير الأمراض فوكل شئون بلاده إلى وزيره الشيخ القدال سعيد القدال السودانى ثم إلى جهان خان الباكستانى ثم إلى السيد أحمد بن محمد العطاس وسارت الأمور في بداية الأمر طبيعية إلا أن رياح الثورة قد بدأت تهب في بعض مناطق الجنوب وكانت الأحوال بالنسبة لحضرموت طبيعية وهادئة وأكثر استقراراً وأمناً وكانت من عادة السلطان أن يستجيب لكل المطالب التى تقدم بها الشعب مما جعلهم يذكرونه بالخير، وفي ليلة الثلاثاء والساعة الحادية عشر قبل منتصف الليل من مساء يوم ٢٦ جمادى الأولى عام ١٣٨٦هـ الموافق ١٠ أكتوبر ١٩٦٦م فارق الحياة وشيعه الجمهور والجيش إلى مثواه الأخير بقبة الشيخ يعقوب. وخلفه ابنه غالب بن عوض.

السلطان غالب بن عوض القعيطي الثانى وقصة نهاية الدولة القعيطية اليافعية

السلطان غالب بن عوض الثانى هو أصغر من تولى الحكم في حضرموت من السلاطين القعطة. حيث ان الجبهة القومية استولت على الحكم في عصره وترتبت على ذلك الحادث ماترتبت عليه من متغيرات رئيسية في كل مايخص النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى للمنطقة، ليس للجيل الحالى فقط وإنما كما يبدو للأجيال القادمة أيضا، إن أدون بشيء من التفصيل الأحداث والتيارات وخلفياتها التى سبقت هذا التحول الجذرى ذى التأثير الجسيم على المنطقة. وإضافة إلى ذلك فقد شجعتنى على هذه الخطوة العبر السياسية والإنسانية الموجودة في قصة الحياة السياسية لهذا السلطان اليافع (آنذاك)، وكيف شاءت به الأقدار، بالرغم من وجود كثير من المميزات الصالحة والخصال الحميدة اللائقة بشخص حاكم كهذا السلطان مما جعل أعداءه يندمون ويتأسفون على ماحصل ولكن.. وماتشاؤون إلا أن يشاء الله.

ولد السلطان غالب في أجواء عام ١٣٦٧هـ وتربى تربية حسنة لاعداده ليتحمل مسئوليات الحكم، متميزاً بأخلاق عالية وصفات سامية وسلوك قل ان يلاحظ على أقرانه، متديناً، أليفاً مألوفاً، يحب شعبه، تولى الحكم عند وفاة والده السلطان عوض وعمره يناهض الثامنة عشر سنة ـ شاءت الأقدار مع ظروف والده الصحية ان تجعله يتحمل نسبة وافرة من مسئولياته وواجباته الرسمية والاجتماعية والتى تتطلب من ابنه تمثيله في سن مبكر في العديد من المناسبات وفي مجالات مختلفة ـ ولقد رآه الشعب وهو يؤدى أدواره المطلوبة ولم يتجاوز بعد سن الثانية عشر، باجتهاد واخلاص وتواضع وأخلاق ـ كما لاحظ ميوله الدينية وحبه لكسب المعرفة مع ميله نحو الصمت ومقدرته على الاستماع إلى محدثيه بصبر نادر، فعطف عليه

الشعب وأحبه آملا انه عند بلوغه سن الرشد سوف تشاهد حضرموت تكراراً لعهد جده المغفور له السلطان صالح بن غالب القعيطي، الذى يعد آنذاك آبا ورائداً للنهضة الحضرمية. وتلقى عظمته دراسة خصوصية مكثفة في المكلا تحت إشراف مدرسين مشهورين من إدارة المعارف ثم ابتعث إلى السودان ومن ثم إلى بريطانيا التى عاد منها بتحقيق نتائج مشرفة ليستلم مسئوليات أكبر تحت رعاية والده، الذى لم تسمح له ظروفه الصحية ان يلعب الدور المطلوب في بعض المجالات وكانت عودة الأمير الشاب آنذاك سبباً باعثاً لارتياح وسرور الجماهير بعد فترة - بسبب حالة والـده الصحية والتصرفات الأنانية لبعض كبار المسئولين في الدولة والتى كانت السبب الرئيسى لانتشار الفوضى في سير أعمال الدوائر الحكومية وتطبيق النظام الحكومى، حيث ان احدى الخطوات التى اتخذت استغلالاً لمرض السلطان ان سعى بعض رجـال الـدولة تكوين قاعدة شعبية ترمى من وراء ذلك بناء صرح أحلامها السياسية غير المحدودة بالتشريع وذلك عن اطلاق ماسمي «بالحريات» وتنفيذها بنوايا وأساليب غير سليمة، وكأن الحريات لم تكن موجودة من قبل. تلى هذا التشريع عملية استغلال أموال وإمكانيات الدولة في نشر الفوضى الاجتماعية والعبث بمقدرات الشعب للكسب الشخصي، حتى دون أن تفكر في تبعات مثل هذه التصرفـات، ودون الأخذ بالاعتبار ان ظروف المجتمع الثقافية وقلة خبرته بمثل هذه الأفكار المستوردة قد تؤدى إلى عواقب وخيمة على المجتمع بوجه عام، وتصيب رؤوس أصحـابهـا بوجه خاص، ﴿ولايحيق المكر السيء إلا بأهله﴾. صدق الله العظيم.

وفي ١٠ أكتوبر ١٩٦٦م توفى السلطان عوض بن صالح القعيطي وبعد فترة العزاء احتفل الشعب رسميا بمناسبة اعتلاء نجله الأكبر غالب على عرش السلطنة وكان ذلك يوما مشهودا بالفرح اشترك فيه الرجال والنساء حتى برزت فتاتان تلبسان العلم القعيطي من صفوف النساء تحملان باقة من الزهور ودوت عاصفة بالتصفيق بين الزغاريد وما أصدق ماقاله في خطابه ذلك اليوم مصارحا الشعب الحالة التى يعيشهـا مبينـا الداء ووضع الداء داعيا لهم كلهم إلى مناصرته لخدمتهم وتحقيق مايصبون إليه وان كل ذلك ليس بعسير إذا صحت النوايا وصدقت العزائم، حتى

خرج الجمهور يهتف بحياته ويطالبه بالسلاح «هات السلاح ياغالب نحن جنودك ياغـالب» ـ ويجـدر بالذكر هنا انه في تلك الفترة باجوائه المسممة من الدعايات والشعـارات المستعـارة، قلما سمع عن مظاهرة تقوم وشعارات تهتف تأييدا لأى سلطان في الجنوب العربي.

وبعد استلام السلطان غالب زمام الحكم، كان من أوائل الأمور التى عمل السلطان على إصلاحها هو الربط والضبط الإدارى، إضافة إلى محاولته في تأسيس قاعدة شعبية عريضة للبلاد من أهل الحل والعقد وممثلى كافة الشعب على اختلاف فئاته، لكى يتسنى له رسم السبيل الأمثل لمستقبل البلاد ومواجهة التحديات التى كان من المتوقع ان تواجه المنطقة وهى في طريقها إلى الاستقلال.

وحيث انه كان يؤمن بمبدأ القيادة بالقدوة الحسنة وبالمثال الشخصى ولم يتوقع من الغير إنجاز عمل لم يستطع تحقيقه بنفسه، فاستطاع إلى حد ملحوظ إعادة روح الانضبـاط إلى جسد النظام الإدارى والدوائر الحكومية (السكرتارية) وذلك من خلال وجـوده في مكتب في الوقت الرسمى المحدد وعبر زيارات تفقدية مفاجئة لدوائر حكومية مختلفة وأيضا للإدارة الاقليمية في عواصم الوية الدولة الستة.

وفي الوقت الذى بارك فيه عامة الشعب هذه الخطوات إلا أنها لم تحظ بترحيب مماثل من موظفى الدولة، ذلك لأنهم منذ فترة قد تعودوا على عدم الخضوع لأية مراقبة دقيقة من قبل السلطات الإدارية العليا.

لقد سعى هذا السلطان في نفس الوقت بفتح أبوابه للخاصة والعامة وحدد لها أوقات يومية وذلك بعد صلاة العصر من كل يوم كما حدد أوقات الدوام الرسمى ليومين كاملين لكى يتيسر للمواطنين فرصة تقديم أية مطالب أو شكاوى أو آراء ومناقشة أى أمر خاص بهم أو بالمصلحة العامة ـ فكانت نتائج هذه الخطوة مثل الخطوة السابقة حيث، فرح المواطنون على إتاحة الفرصة لهم للجوء إلى السلطان في كل صغيرة وكبيرة وبالخصوص عندما اكتشفوا بان السلطان يستمع إلى محدثيه بصبر بالغ، والاستفسارات الموجهة من القصر للدوائر الحكومية المختلفة بناء على شكاوى ومطالب الناس لأن الغالبية منهم يتذمرون من عدم الاهتمام أو التأخير في معالجة أمورهم، بدأت آثار هذه السياسة تقلق بعض موظفى الدولة كما شعروا

بالضغط يتزايد عليهم يوما بعد يوم ولم يدر بخلدهم ان يواجهوا شدة الرقابة التى لم يألفوها من قبل لهذا فلم يقابلوا هذا التطور بالترحيب.

ولم يقف السلطان عند هذا بل بدأت اتصالاته بالبادية والحضر وبالأحزاب وكانت من ميزته انه إذا تكلم دلل على أقواله بالوقائع التاريخية ولاسيما تاريخ حضرموت وبأسلوب يتلاءم مع الجو المعتم ومع مستمعيه. وكان إذا تحدث عن حضرموت فكأنما يتحدث عن تاريخ ملىء بالملابسات والمتناقصات، ولكنه في نفس الوقت كان يضع الحلول العملية لانقاذ الوضع ـ وضع بلاده ـ ومن خصائله البارزة انه كان صريحا يوضح للكل الواقع كما هو ـ وشاهدت مرارا والأسئلة تنهال عليه وكان يجيب على كل سؤال برد واضح مقنع ـ وبالرغم من أن ماأذكره هنا يسبق ترتيبه التسلسلى في الأحداث، إلا أنه في آخر اجتماع حضرته في قصره مع وفود الأحزاب والهيئات، استطاع السلطان بعد نقاش مطول ان يقنعهم بل يفهمهم حتى لم يعودوا يجدون مايقولونه ـ فقد عبر عن الواقع وهو يريد الاصلاح ويطالب الهيئات بأن تكف من الفوضى ويضعون يدهم في يده ليقوموا معا بإصلاح ماأفسده الدهر فاتفقت كلمتهم على أن تكون لجنة لتضع المبادىء التى سوف تطرح كدستور ملزم لكل الهيئات والأحزاب ـ ووكل الأمر إلى الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف والشيخ عبدالرحمن بكير وعبدالله سالم باعشن ـ وعند انقضاء الجلسة، القيت قنبلة من منزل فيه ضباط انجليز على مظاهرة صغيرة مؤيدة للسلطان وكادت أن تقع مواجهة بين الانجليز والجيش النظامي (القعيطي) الذى شاهد رجاله الانجليز وهم يرمون بالقنبلة لولا ان اللواء بن سميدع تدخل فى الأمر وهدأت الحالة.

وحيث ان السلطان يدرك ان نظام الحكم المدار من قبل موظفين مجلوبين ومواطنين ثقافتهم محدودة لم يكن عندهم بعد نظر لمستقبل السلطنة والشعب وعندما بدأ السلطان يتقرب إلى المواطنين بدوا وحضرا وكان يضع أمامهم الواقع التى تعيشه الدولة ويشرح لهم ماينتظر البلاد من تحديات وكان صريحا وواقعيا ولكن موظفوا الدولة لم يقابلوا هذا بالترحيب واقتربت البادية من السلطان وبدأت تبادله الشعور ولم ينسى السلطان ماعليه الحال من تنافر وعدم ثقة بين الحكام والبادية

لذلك صارحهم بواقعهم وواقع الحكام وانه سيعمل لصالح الشعب، بدون تفرقة وطالبهم بوضع أيديهم في يده ليقوموا معا باصلاح ما أفسده الدهر وقام السلطان بزيارات الألوية وكسب تأييد، وولاء البادية والحضر على السواء ماعدا الملتزمين بالأحزاب.

وفكر عظمته في عقد مؤتمر عام للبادية بعد مشورة وزيره السيد أحمد العطاس وتشجيعه لذلك وتم ذلك إلا أن الإدارة البريطانية ازعجها هذا المؤتمر وجندت لافشاله عملاءها وفي لقاء لعموم شيوخ القبائل في المكان المسمى المنورة، كان الحديث لممثلي الأحزاب ولضباط من جيش البادية مما أثار حفيظة رئيس قبائل الحموم، فقال جئنا إلى هنا لنتحدث مع السلطان ومع رؤساء القبائل لا لنستمع إلى هؤلاء الأطفال، واستطاع المؤتمر ان يكسب السلطان ثقة وحب ولاء قبائله، فقد عرف رؤساء القبائل ان السلطان صريح وانه اطلعهم على حقائق الوضع وأبدى لهم نواياه التى يريد ان يحققها لشعبه وكذلك أدرك شيوخ القبائل مايعانيه السلطان من ضغوط من قبل الانجليز لعدم موافقته على الانضمام إلى اتحاد إمارات الجنوب العربي والذى عبروا لهم عن رفضهم للانضمام إلى تكتلات سياسية ومن الغريب ان فكرة المؤتمر كانت مبادرة من السيد أحمد العطاس ولكنه لم يحضر المؤتمر بل سافر إلى بيروت للعلاج لمدة أسبوعين ولكنه توجه من بيروت إلى القاهرة ولم يعد.

السلطان غالب كان في سباق مع الزمن وقد سبق ان قلنا ان الجو مفعم بالأخطار فقد امتلاءت الطرقات بالمنشورات التى تحمل شعارات براقة كان السلطان ينزل من قصره بعد الدوام يشارك العمال في الحفريات ونقل الحجارة والتراب وتسوية الأماكن التى يراد تسويتها ويحمل المعول والمسحاة والمكتل كواحد من العمال فكان هذا هو الرد العملى على المغرمين بالشعارات ولكن الأقدار تريد شيئا آخر فكان وماشاء الله كان.

ولقد حدثت خلال فترة حكمه ثلاثة أو أربعة انفجارات، اتفقت الآراء بتوجيه التهمة إلى السلطات البريطانية لنشر حالة من الخوف والرعب في قلوب المواطنين وممارسة الضغط على السلطان للانضمام إلى اتحاد إمارات الجنوب العربي ـ فكانت

لهذه الحوادث أمر فعال في قلوب شعب لم يكن متعودا على شيء مثل هذه التكاتيك الارهابية.

ولكن مع مراعاة كل هذا فما هى قدرة عبدالقادر أمام مشيئة القادر وأقداره، فالإنسان يريد شيئا والأقدار تريد شيئا - فبالرغم من محاولات هذا السلطان المخلصة ودعوات وتأييد الفرد العادى له، فإنه لم يستطع ان يحصد الدعم المطلوب من جهاز الدولة الإدارى السقيم الذى ورثه، وفي نفس الوقت، وفي بلد لايتمتع بعدد وفير من حاملى الشهادات العليا والكفاءات الراقية في العلوم الحديثة. وانه لم يجد حواليه البديل المناسب لأى من حاملى المسئوليات في الجهاز الإدارى الحكومى إذا أراد استبدالهم بآخرين - فحبذا مراعاة للظروف الحرجة التى كانت تمر بها المنطقة آنذاك، ان يستمر بهم تقديرا (نسبيا) لفترة خدماتهم وتجربتهم في الوظائف التى كانوا يعملون فيها.

لقد ذكرنا ان كل اتصالات هذا السلطان بقبائله عبر المؤتمر القبلى واجتماعات لاحقة أخرى سواء الرسمية أو غير الرسمية قد اكدت عدم رغبة هذه الفئة من الشعب الانضمام إلى اتحاد إمارات الجنوب العربي، وبالإضافة إلى رغبة الأحزاب، فكانت نتائج كل محاولاته هى الاطلاع على رأى سكان المدن والقرى - على ان لحضرموت تاريخ عريق وان الحضارم في وضعهم الاجتماعي والتنظيمي أكثر تطورا من المناطق الأخرى وان الصلات التى كانت تربطهم بالمناطق الأخرى سواء على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصادى ضئيلة جدا ماعدا يافع، ممكن تجاهلها إلا فيما يخص عدن، ولكن من يدر ماذا سيحصل فيها بعد انسحاب القوات البريطانية منها وتقلص نشاطها التجارى والاقتصادى (حيث ان هذه العوامل كانت تلعب دورا بارزا بل رئيسيا في ازدهار عدن خلال تلك الفترة) - كما انه بعكس الولايات الأخرى المنضمة إلى اتحاد إمارات الجنوب العربي التى كان يتطلع سكانها إلى عدن كمنفس بحرى لهم، أما حضرموت فكانت لها سواحلها وموانيها واتصالاتها التجارية مع مهاجر ابنائها التقليدية في شرق آسيا وأفريقيا (ومن بعد الحرب العالمية الثانية واستقلال تلك المناطق من الاستعمار) مع المملكة العربية السعودية والكويت - وحيث ان صلات الحضارمة بمهاجرها آنذاك كانت امتن بكثير من

صلاتها بعدن وماحواليها سواء على صعيد تجارى / اقتصادى أو ثقافى / اجتماعي ـ ويجدر بالذكر هنا ان الفترة قبل الاستقلال، كان المصدر الرئيسى لانتعاش الأحوال الاقتصادية في حضرموت كانت التحاويل التى تأتى من المملكة العربية السعودية بالدرجة الأولى وثم الكويت.

وكانت ميزة سلاطين الأسرة القعيطية انهم كانوا ينظرون إلى دور أنفسهم كحكام مترجمين ومنفذين لرغبات الشعب، وعلى سبيل المثال فإنه كان معروف حتى عن السلطان عوض بن صالح والد السلطان غالب بانه إذا سئل في أمر ما عن قراره حول أى موضوع هام يخص الشعب، فكان الرد في غالبية المناسبات ان «الذى يرغب فيه الشعب أنا أرغبه أيضا وموافق عليه» ـ فالسلطان غالب لم يختلف في رؤيته لدوره عن أبائه وأجداده ـ وحيث انه كان واثق من عطف وحب شعبه له، فلقد اختار ان يؤيد قرارات هيئة الأمم الصادرة حول موضوع استقلال المناطق تحت السيادة البريطانية في جنوب شبه الجزيرة العربية والتى نصت من ضمن أشياء أخرى ان يقام استفتاء في المنطقة لكى يتمكن الشعب من تقرير مصيره (ومصير حكامه أيضا).

وحيث انه كان ملم جيدا برغبة الحضارم بل حلمهم بشأن موضوع الوحدة الحضرمية (بين سلطنتى القعيطى والكثيرى أساسا) وتكوين دولة حضرموت الكبرى بانضمام سلطنة المهرى إليها، فبدأ السلطان غالب يسعى لتحقيق ذلك ذاكراً للحكومة البريطانية لكى يتجنب من شر معارضتها بانه يريد ان تكون هناك دولة في الشرق، قادرة ان تتفاهم مع اتحاد إمارات الجنوب العربي عندما تستقر فيها الأوضاع الأمنية ويزول منها الارهاب.

وكان من يقين السلطان غالب ان تكوين وحدة بين سلطنتى حضرموت والمهرة حل اسهل وأنسب لمجابهة تحديات المستقبل كما ان مستقبل هذه الوحدة على البقاء من الزوايا الاقتصادية أيضا كان يبدو أفضل ضمانة من مستقبل اتحاد إمارات الجنوب العربي، وخاصة لو تحققت لها بعض المساعدات من الدول الغنية في المنطقة ـ حيث ان احتياجاتها (سلطنتي حضرموت والمهرة) كانت متواضعة نظرا لاستخدام عامل التقشف في شئون إداراتها، مقارنة بحاجة اتحاد إمارات الجنوب

العربي للمساعدات المالية الضخمة السنوية، حيث ان بريطانيا كانت تغطي ٩٠ من عجز حكومة الاتحاد المالي السنوي في الآونة الأخيرة، (ومن الجدير بالذكر ان ٧٠ من هذه المساعدات كانت تتدفق على جيش وقوات الأمن التى تتمتع في افقر دولة في الجزيرة العربية مواردا بأعلى مستوى للرواتب في الشرق الأوسط باستثناء دولة الكويت بينما ولائها لحكومتها كان مشكوك فيها وبينما الحكومة البريطانية كانت تصرف في حدود (٢٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه) اثنين وعشرون مليون جنيه استرلينى سنويا على حكومة الاتحاد، فإن مساعداتها السنوية لحكومات القعيطى والكثيرى والمهرة بالرغم من مساحتها وكثافة سكانها لم تتجاوز (١,٨٠٠,٠٠٠ جنيه) مليون وثمانمائة ألف جنيه بالتقريب تصرف منها (٨٠٠,٠٠٠ جنيه) ثمانمائة ألف جنيه بالتقريب على الجيش البدوى الحضرمى ويوزع الباقى على السلطنات الثلاثة في شكل مساعدات وتمويل لمشاريع.

وكانت من توقعات السلطان مثل آمال الباقيين من الحضارمة ان يتم في بلادهم استكشاف نفط بكميات تجارية وسوف يساعدهم على ايجاد الحلول للعجز المالي. وفي سبيل تحقيق هذا، سعى السلطان لعقد اتفاقيات جديدة مع شركات أجنبية أخرى حيث ان شركة «بان أميريكان» كانت قد انسحبت من منطقة ثمود، وساعده في هذه المساعى من جهة الأستاذ خالد بارحيم الذى كان قد لعب دوراً بارزاً في فتح مفاوضات مبدئية مع شركات «أجيب» الإيطالية، كانت من شروطها الأساسية أن يكون تقسيم الدخل من النفط بين الدولة والشركة بنسبة ٦٠ ـ ٤٠ لصالح الدولة.

وكان من رأى السلطان ان يغطى عجز السلطنات الحضرمية المذكور بطلب مساعدات من دول أخرى وعلى رأسها الدول المشتركة في الجامعة العربية، بوضع أمر بلاده أمامها ـ وكان هدفه من طلب المعونات عبر هذه المنظمة أولا، بدلا من التوجه إلى الدول المعنية المشتركة فيها مباشرة، تجنب التهمة بالانحياز إلى أى من القوى السياسية المستقطبة في العالم العربي والمتمثلة في شكل الكتلة الاشتراكية والمراد به آنذاك مصر ورئيسها الراحل جمال عبدالناصر، والكتلة الأخرى وهى تمثل القوى التقليدية للمنطقة برئاسة المملكة العربية السعودية والملك الشهيد فيصل

بن عبدالعزيز ـ وبينما هو يعلم جيدا مقدرة كل دولة على مساعدته في ظروف بلده الراهنة والمستقبلية ومصالح كل منها من خلف استعدادها على ذلك ـ فإن قراره كان مبنيا على عوامل سياسية واضحة منها التهديد الموجه لأمن الحكومات القائمة آنذاك في الجزيرة العربية من وجود (٧٠,٠٠٠ جندى) سبعون ألف جندى من الجيش المصرى عبر حدود بلاده في اليمن وكذلك من نوايا حكومة صنعاء التابعة في تأييدها لمصر والمعادية لكثير من دويلات المنطقة المجاورة.

فبينما السلطان، كان يعلم بان المساعدات المالية لاتأت إلا من الحكومات التى لديها المقدرة والنية لمساعدة الغير وبالتحديد السعودية والكويت، فقد تأت المساعدات الثقافية من دول أخرى مثل مصر ـ إلا أنه كان يعلم أيضا ومقدرا بأن حكومة جمال عبدالناصر ووكيلتها حكومة صنعاء تشكلان تهديدا كبيرا لحدود حضرموت الواسعة، كما أيضا على أمنها الداخلى، فإنه بامكان الحكومة السعودية والتى يعمل تحت حمايتها مالايقل عن نصف مليون حضرمى، ان تختنق حضرموت اقتصاديا بمنع التحاويل من هؤلاء المهاجرين إلى وطنهم لمواصاة أسرهم، والتى كانت في تلك الفترة ولازالت المصدر والعنصر الأساسى لرفاهية حضرموت وانتعاش اقتصادها ـ وبما ان من أبرز سمات السياسة الخارجية السعودية المنبثقة من قيم إسلامية السماحة والحلم والتفهم والمحافظة على حسن الجوار، فإن ذلك لم يطرأ قط على بال حكامها الصالحين مهما كانت الاستفزازات من قبل الأطراف الأخرى.

وحيث انها كانت من آمال هذا السلطان ان يواجه أو يحل مشاكل بلاده بالمشاركة الفعالة التامة من قبل شعبه، ففى انتظار تحقيق هذا الأمل، بدأ السلطان منذ اعتلائه على عرش السلطنة ان يراهن بقلق إصدار توصيات اللجنة التى كانت شكلت في أيام والده تحت رعاية الوزير السيد أحمد العطاس للبث في موضوع تقديم اقتراحات نحو اعداد دستور لتكوين حكومة تمثل الشعب يتلاءم دستورها مع أوضاع البلد ـ وبما ان السلطان كان ملما بميول هؤلاء الأعضاء، فكانت من نواياه التأكد على ان تنال وتمارس كل طائفة، سواء البادية أو الحضر، نصيبها من حقوقها الدستورية المشروعة ـ ولكن هذه اللجنة لها ميول متناقضة، فبغض النظر

عن اجتماعاتها المتكررة ونشاط اعضائها في «السيمانتيكيات» وتفننهم في استخدام الألغاز ضد البعض، فإن هذه اللجنة لن تصل إلى أى قرار نهائي حول مساعيها وذهبت مجهوداتها سدى وذهبت معها الفرص إدراج الرياح. والذى يراقب الموقف يجد ان الأمور تسير ضد رغبات السلطان فالمنشورات الملغمة بالشعارات المزيفة وإذاعة صوت العرب وصنعاء وارهاب المواطنين بالتفجيرات مما جعل الشعب في حيرة من أمره وكان السلطان إلى آخر لحظة في سباق مع الأحداث بالرغم من القيود التى تفرض عليه التقيد بها وهو يشعر ان قلوب شعبه معه إلا أنه لم يستطع ان يحقق مايصبو إليه للقيود المفروضة عليه ولكنه كان جادا وعاملا بقدر مايجد من الفرص المتاحة.

والمراقب لسير الأحداث يلاحظ ان الخطر قد أحدق بالسلطنة من خلال زيارة المندوب السامى البريطانى الخاطفة إلى المكلا بعد عودته من نيويورك وبعد مقابلته هيئة الأمم للجنة المشكلة للاشراف على استقلال الجنوب العربي واستقبله السلاطين الثلاثة القعيطي والكثيرى والمهرى كطلبه في المكلا وطلب منهم القيام إلى جنيف لمقابلة اللجنة هناك واعترض السلطان غالب قائلا كيف تتخذ اللجنة قرارا بدون ان تعرف واقع حضرموت ورد المندوب السامى رداً مؤدباً مقدراً رأى السلطان إلا أنه قال ان هيئة الأمم قد اتخذت هذا القرار ولابد من سفركم لمقابلة اللجنة هناك ولم يسع السلاطين إلا الموافقة وجهزت لهم طائرة خاصة لنقلهم إلى جنيف وأخبر السلطان غالب المندوب السامى إنه وزميله السلطان حسين ينويان المرور بالقاهرة لعرض مشاكل المنطقة على مسئولي الجامعة العربية وكذلك المصريين وتم ذلك وقابلوا السيد نوفل (مساعد أمين عام الجامعة العربية) ومحمود رياض (وزير خارجية مصر) ومحمد حسن الزيات (ممثل مصر في هيئة الأمم) كما قد اتفقوا بأنور السادات وعزت سليمان، وهما من ضمن الذين كان لهم دور بارز في رسم وتنفيذ سياسة مصر في جنوب غرب الجزيرة العربية، ووعدت حكومة مصر بعرض مشاكل حضرموت على الدول العربية وهيئة الأمم والجامعة العربية في الوقت الذى تبنت فيه مصر جبهة التحرير إلا أنها بررت ذلك التصرف بالقول ان وضع سلاطين حضرموت كحكام دستوريين يختلف عن حكام إمارات الجنوب

العربي وتوجيه السلاطين إلى جنيف وهم يعلمون مقدما ان المؤمرة قد تمت فصولها ومن ثم لم يفاجأ السلاطين مفاجأة كبرى عند علمهم بالخبر المتضمن انسحاب المستشارية من المكلا قبل الموعد المحدد لذلك وبان مسئولية الحفاظ على الأمن قد عهدت إلى جيش البادية وما انتهت المقابلة الأولى للجنة هيئة الأمم حتى تلقى السلاطين رسالة تفيد أسف الحكومة البريطانية لعدم تمكنها من إعادة السلاطين إلى بلادهم وبعد تبادل الآراء بين السلاطين قررايهم على مغادرة جنيف إلى السعودية ومنها إلى بلادهم بطريق البحر وفعلا نفذوا الفكرة وقبل وصولهم بليلة أبرقوا للمسئولين بوصولهم وحصلت ربكة بين الجيش النظامى وجيش البادية إلا أن قائد الجيش النظامى قد كان متفقا مع قادة جيش البادية وانتهى الأمر باتفاق الجيشين على مناصرة الجبهة القومية بايعاز من الانجليز، ووصلت الباخرة ميناء المكلا يوم ١٧ سبتمبر وكان جيش البادية قد طوق على القصر السلطانى كذلك على الميناء بالمصفحات وصعد جنود من الجيش البدوى ومعهم بعض من عناصر الجبهة القومية وأحاطوا بالسلاطين ووجهوا إليهم التهديد بأن لايتحركوا من أماكنهم وان السلطان القعيطي غير مسموح له بالنزول إلى البر أما الكثيرى والمهرى فلا مانع من نزولهم ثم تقدم سالم الكندى وطلب من السلطان ان يتنازل عن السلطنة وبعد فترة وجيزة من الحوار رأى السلطان الا جدوى من الحوار فكتب ورقة ينصح فيها شعبه بالاخاء والتعاون وحرصا على سلامة المواطنين قرر العودة إلى السعودية ومعه السلطان الكثيرى والمهرى ولكن الكندى زاد في الورقة عبارة «وقد تنازلت» واعادت الباخرة بالسلاطين إلى السعودية وعندما علم الشعب بالخبر اصيب بالذهول وقامت بعض القبائل بحركة مضادة ولاسيما قبائل الصيعر والكرب وسرعان ماحلقت الطائرات البريطانية فوقهم واطلقت صواريخ حواليهم للارهاب واطلقت منشورات تنصحهم بالاعتراف بالجبهة القومية وإلا فالطيران سيضربهم في كل مكان ولم يسعهم إلا وقف القتال من هذا العرض يتضح ان بريطانيا هى التى خططت للثورة وامدتها بالسلاح والمال وتجاهلت المعاهدات المبرمة مابينها وبين السلاطين وقدم السلاطين شكاوى إلى هيئة الأمم والجامعة العربية ووزراء بريطانيين ولكن كانت صوت في واد ونفخ في رماد وبهذا طويت

صفحة، أرجو أن يقيظ الله من يدرس الفترة التى حكمت فيها الدولة القعيطية حضرموت وإذا وجد الباحث المؤهل والأمين فسيجد مرتعاً خصباً وصفحات مشرقة في الحكم القعيطي والله ولي التوفيق.

وبعد فهذا عرض وجيز جداً غرضى منه اعطاء فكرة عن يافع وعن الحكومات التى كونوها لعلى بذلك قد أديت بعض الواجب علىَّ نحو امتى وليتعرف إخواننا العرب إلى شيء عن هذا الجزء من البلاد العربية وإذ امد الله في العمر فلربما ابدأ في تاريخ موسع على مستوى الجنوب كله إذا توفرت لدى المراجع. ولم اتعرض في هذه العجالة إلى النواحى العمرانية والاجتماعية والأدبية والعلمية. وعن المنجزات التى تمت في أثناء هذه العصور المتعاقبة والتى مازالت آثارها باقية لأن هذا يحتاج إلى وقت وصبر وبحث ولتمسك القلم بعد هذا لنأخذ في أسباب العودة من يافع إلى المكلا.

السلطان عوض بن عمر القعيطي (المؤسس)

السلطان غالب بن عوض القعيطي الأول

السلطان عمر بن عوض القعيطي

السلطان صالح بن غالب القعيطي

السلطان عوض بن صالح القعيطي عند تعيينه ولياً للعهد

السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني

السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني

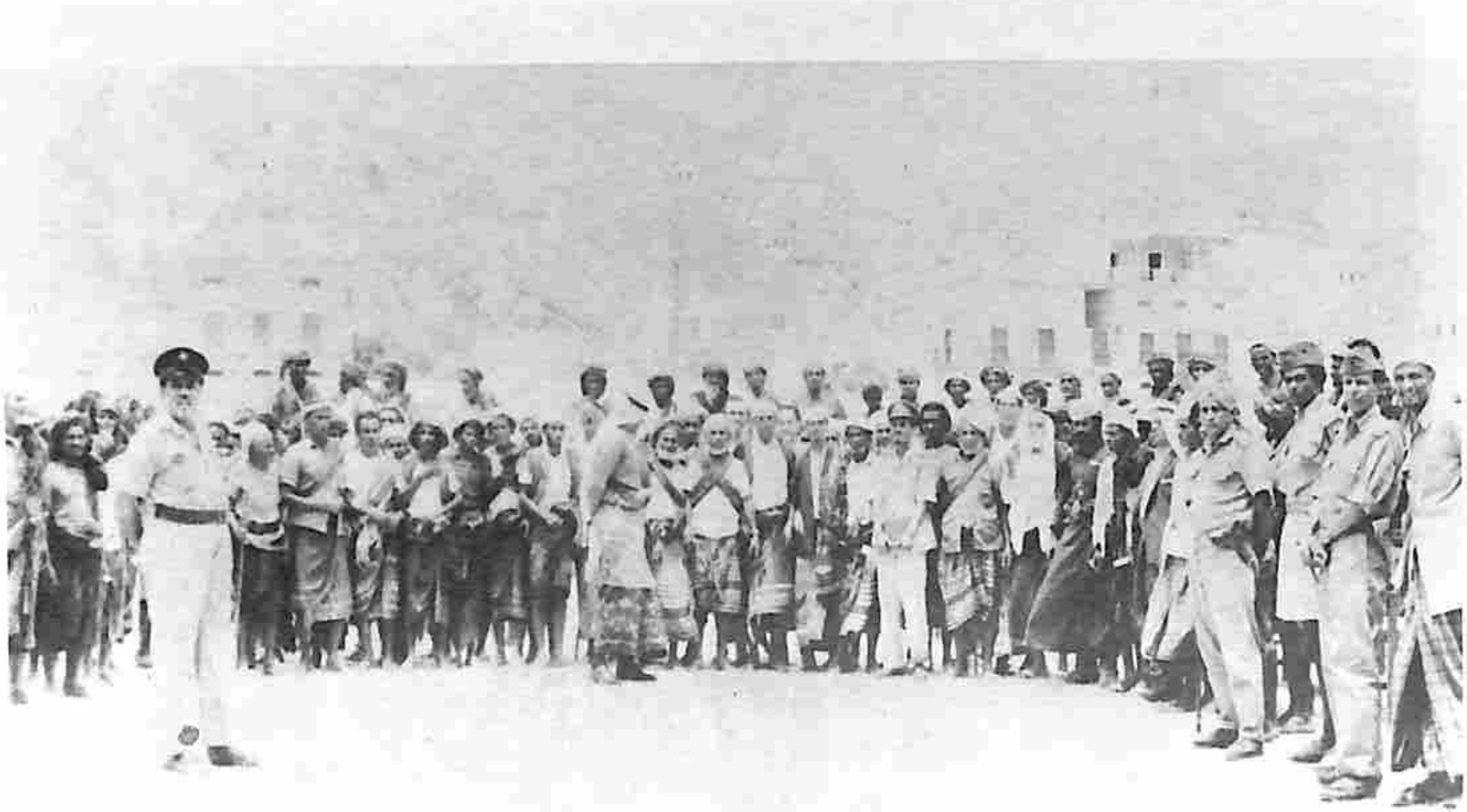

السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني مع مقادمة قبائله وكبار ضباط القوات المسلحة وقت
حضورهم المؤتمر القبلي الذي دعا إليه السلطان في مارس ١٩٦٧م

السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني ممسكاً بيده آلة الحفر وإلى يمينه الصحفي الدانماركي كارل اسكلند وأحد العمال وهو كثير ماكان ماينزل من قصره بالمكلا ويساعد بنفسه العمال في الاصلاح والتعمير. معبراً بذلك لشعبه عن يقينه بتفوق ديمقراطية النظام الاجتماعي والاقتصادي والإسلامي الذي أساسه الإخوة والتعاون والتضحية على جميع الأنظمة بما فيها «الاشتراكيات العلمية» وغيرها.

سدة المكلا التى عمرت في عهد السلطان غالب بن عوض القعيطي الأول والتى تم تدميرها بعد الاستقلال لازاحة آثار «العهد البائد» .

المكلا ـ ويبدو فى الخلف حصن المكلا الذي عمره آل كساد ووسعه القعطاء

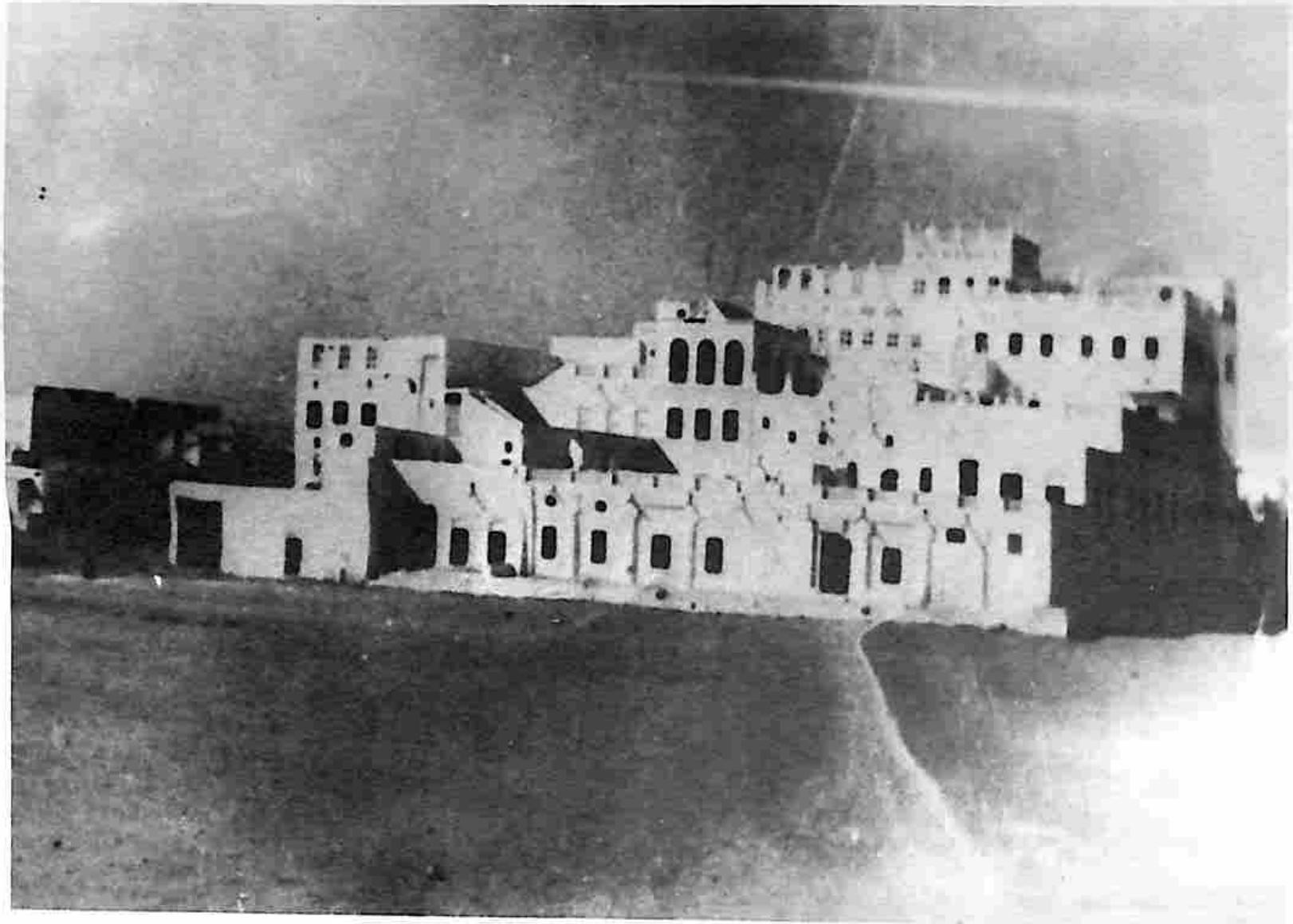

حصن دار ناصر بالشحر

نموذج لبطاقة معايدة حضرمية من أواخر الأربعينيات ويبدو في وسط الصورة السلطان صالح وعلى يساره نجله عوض بن صالح وعلى يمينه حفيده غالب بن عوض وفي الأسفل منظر عام من البحر لميناء المكلا.

السلطان غالب بن عوض القعيطي خلال زيارة للمغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز يرحمه الله .

نموذج لبطاقة معايدة حضرمية من أواخر الستينيات ويبدو عليها العلمين، الحضرمي (القعيطي) والمصرى وصورة الرئيس جمال عبدالناصر مع السلطان غالب القعيطي .

نموذج لبطاقة معايدة حضرمية من أواخر الأربعينيات ويبدو في وسط الصورة السلطان صالح وعلى يساره نجله عوض بن صالح وعلى يمينه حفيده غالب بن عوض وفي الأسفل منظر عام من البحر لميناء المكلا.

السلطان غالب بن عوض القعيطي خلال زيارة للمغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز يرحمه الله.

نموذج لبطاقة معايدة حضرمية من أواخر الستينيات ويبدو عليها العلمين، الحضرمي (القعيطي) والمصرى وصورة الرئيس جمال عبدالناصر مع السلطان غالب القعيطي.

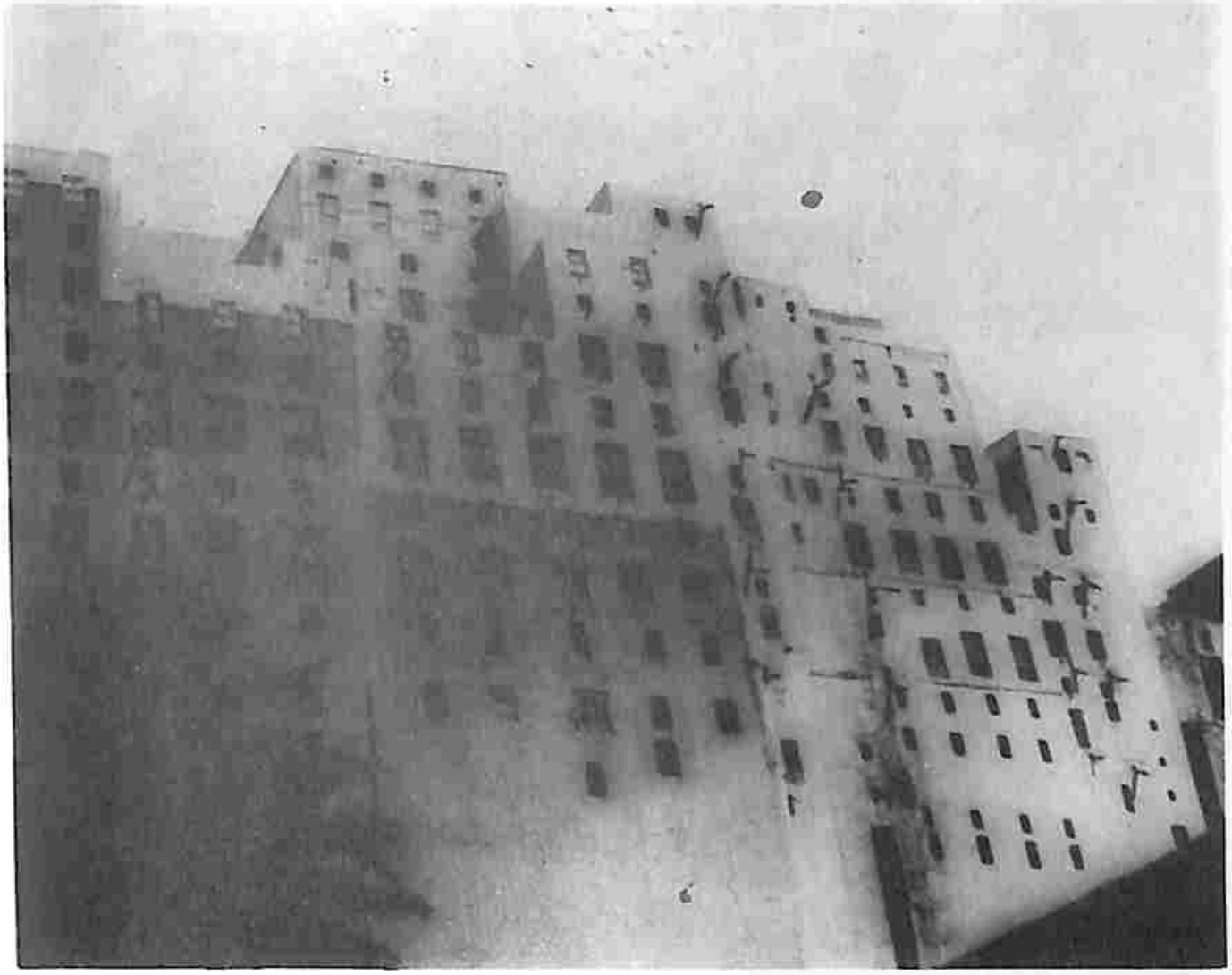

منظر لبيوت شبام العالية

صورة لحصن القعطاء في مدينة شبام

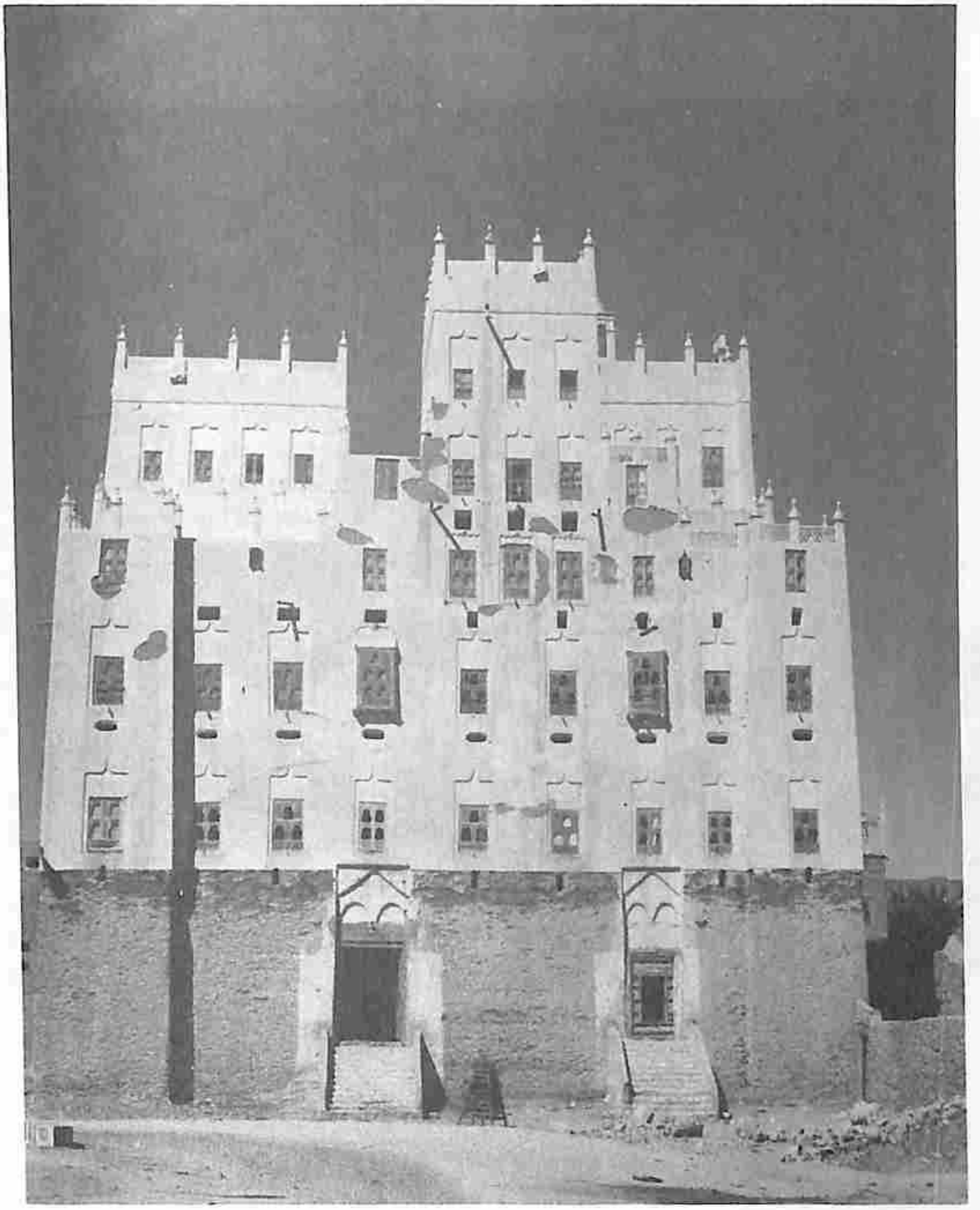

حصن القعطاء في القطن

الأمير علي بن صلاح القعيطي وعلى يساره منصب المشهد وعلى يمينه ابنه الأكبر صالح

العودة من يافع

كان يوم الثلاثاء ١٥ صفر سنة ١٣٩٠هـ هو اليوم المقرر للعودة بعد ان انهينا بعض أعمالنا هناك وكانت ليلتنا ليلة مؤثرة جدا ويوم السفر في صباح تلك الليلة كان أشد وطأة على النفس فقد شاهدت قريبتى تسكب الدموع مدراراً ورأيت وجوه الأحباء تعبر عن ألم وأسى وقمت صباحاً أنا والأخ صالح على الذى لم يتمالك من البكاء وذهبنا إلى مكان قصى عن القرية واتجهنا فيما بعد إلى بحرى الوادى في انتظار السيارة نكابد ألم الفراق وعدم القدرة على وداع الأسرة وأشد ماتأثرت له هو ماالاحظه على قسمات وجه الأخ قاسم وابنه عبدالله وبالرغم من بعدنا عن القرية فإن الإخوان أخذوا يتوافدون علينا مودعين ومتالمين من سرعة العودة ولم استطع الرد في بعض الحالات على المودعين ففى العيون عبره وفي الصدر حسره وبقينا في دوامة حتى وصلت السيارة الساعة التاسعة صباحاً وودعت الإخوة وكان الصمت هو المسيطر علىَّ وتحركت بنا السيارة باسم الله وأخذت طريقها في الوادى وكان الإخوان يستوقفونها بين الحين والآخر ودعنا حمحمه ومضيضه وقمزان ودورعديه ومحوال هذه قرانا وعلى أمل ان نعود مرات إليها ثم تابعت السيارة سيرها حتى وصلنا سباح الساعة العاشرة وقد أصبحت مركزا لاستقبال المسافرين وبها بعض المطاعم والقهاوى والدكاكين وتعتبر مركزا تجاريا في الوقت الحاضر ويقام بها سوق للأنعام في بعض الأيام. وقد اخذنا بعض الراحة بها ثم تحركنا وبعد دقائق استقبلنا سبيح مركز الشقى الرئيسى ثم انحرفت بنا السيارة إلى شعب أوصلنا إلى عقبة أم دقيقة ثم هبطنا إلى وادى أم دقيقة وهو عبارة عن وادى ضيق طويل المدى انتهى بنا إلى السيلة البيضاء وفي الساعة الثانية عشر ظهراً وقفت بنا السيارة عند الماء الجارى على وجه الأرض المسمى الغيل وتفرق الركاب فمنهم من توضأ للصلاة ومنهم من

اغرته الغدران المليئة بالماء الزلال فأخذ يغتسل بها ثم أذنت واقمت الصلاة وصلينا جماعة وتحركنا تقطع بنا السيارة منعطفات السيلة البيضاء وانتهينا منها قبل دخول وقت العصر بقليل.

أرض العواذل

ثم انحرفت بنا السيارة واستقبلت واديا ضيقا من الأودية الفرعية للسيلة البيضاء وأوصلنا هذا الوادى إلى قرية الصعيد وهى من القرى العوذلية ومكثنا بها برهة ثم واصلنا السير ومررنا بقرية الماجل وهى واقعة على أكمة صخرية وأمامها الفضاء الواسع الصالح للزراعة وفي قلب هذا الفضاء مررنا على عدة قرى تسمى بالجوف الاعلا والجوف الأسفل ثم ظهرت لنا بعد لحظات مدينة زاره الجميلة التى تحتل جبلا صغيرا توجته القصور الفخمة وشدت حزاما عليه ابنية تمثلت في سور يلتف على هذه القصور ومن الجهة الأخرى المدينة المسماة زاره ورأينا معالم التقدم فيها من الناحية العمرانية والإنارة بالكهرباء واسلاك التليفونات الممددة من زاره إلى مدينة لودر العاصمة وشاهدنا الآبار تقذف بالمياه الغزيرة بواسطة المضخات رافعات المياه ووصلنا لودر حوالى الساعة الرابعة عصرا ودخلنا مقهى أنا والأخ صالح على وأخذنا نحتسى الشاهى وكنت أفكر في سعة المساحة الصالحة للزراعة وعدم استصلاحها وضربت كفا بكف فلاحظنى أحد السكان المسلحين وهب إلىَّ قائلا مالك ياشيخ ضربت كف بكف هل حصل لك شيء فقلت على الفور نعم أعطاكم الله أرضا لستم لها بأهل وذكرت الساعات التى قطعتها السيارة في تلك المساحات الطيبة الواسعة فأخذ قلما وضرب به المنضدة وقال هذا الذى شاهدته بالنسبة لما لم تشاهده أى نقطة بالنسبة للمنضدة الكبيرة فقلت له إذاً أوكد لك أنتم لستم لها بأهل فقال بكل تأكيد. ثم تحركنا ومررنا بعدة قرى يقا لها أمعين وامقوز وانتهينا إلى الطريق المعبدة حوالى الساعة الخامسة.

موقع بلاد العواذل

تقع بلاد العوذلى في الشمال الشرقى لعدن يحدها من الغرب يافع واليمن ومن الشرق العوالق ومن الشمال اليمن ومن الجنوب بلاد الفضلى ودثينة.

وتنقسم المنطقة العوذلية إلى قسمين :

١ ـ سهول ويطلق عليها الكود لوقوعها في سفح جبال سلسلة الكود.

٢ ـ جبال ويطلق عليها الظاهر وقبائلها هم قبيلة المنصورى والعواذل ولهما فروع متعددة وقبائل الكود وهم أبو بكرى وغدرجى وبحمى وتبعى وأهل طهيق وتندرج تحت هذه القبائل فروع كثيرة.

الـزراعـــــة

ذكرنا ان منطقة العواذل واسعة المساحة واغلب أراضيها صالحة للزراعة وتحتوى على آلاف الأفدنة وبالرغم من يقظة الأهالى منذ عام ١٩٤٢م حيث بدأوا ينظرون بجد إلى أراضيهم فقد استطاع البعض منهم ان يأخذ بأسباب التطور الزراعى وذلك باستعمال الآلات الحديثة وجلب البذور المتنوعة وخطوا خطوات موفقة حتى قدر البعض مايباع من حاصلاتهم سنويا بمبلغ يقدر بمليون شلنق ووجهوا نشاطهم إلى زراعة القطن وبالرغم من ذلك فإن مساحات واسعة تنتظر اليد العاملة.

ولموقعها الفريد فإن التجارة بها مزدهرة.

وعندما كنت انظر إلى تلك المناطق الواسعة تذكرت سبأ وحمير وسدودهما وعنايتهما بالزراعة ولربما كانت هذه المناطق محل عناية أولئك الأمجاد ولاسيما والآثار بهاكثيرة وفي عدة مناطق.

الطريق إلى شقرة

ذكرت أننا انتهينا إلى طريق معبدة أوصلتنا إلى عقبة العرقوب وفي أسفل هذه العقبة وجدنا سيارة عاطلة لاحد من يافع ورأيناهم يعملون على اصلاحها وتركناهم في طريقنا إلى شقرة.

شقــرة

وصلنا شقرة قبل غروب الشمس وأخذنا بها قدرا من الراحة وشقره هى عاصمة الفضلى الأولى ونافستها أخيرا زنجبار حتى كانت العاصمة أخيرا وموقعها شرقى عدن ويافع الساحل وشقرة هى الميناء الرئيسى لبلاد الفضلى وقد كان لها دور كبير في تموين يافع وبلاد العواذل والعوالق وقبائل أهل فضل.

قبـائـل الفضـلى هم المراقشة وتندرج تحت هذا الاسم عدة فروع والنخعين وتندرج تحتهم عدة فروع.

وهم أهـل شدة وبـاس. وأرض الفضلى تكثر بها المساحات القابلة للزراعة وتزرع الأراضى المستصلحة غالبها بالقطن وباقى الخضروات وتمتاز بكثرة ثروتها الحيوانية. وشقرة هى أول بلدة وقع عليها نظرى في عهد الطفولة وكم هالنى منظر البحر وكانت غاصة إذ ذاك الوقت بالقبائل ورجال التجارة من الحضارم وغيرهم وعدت إليها مرة ثانية ولم أر فيها جديدا وهذه المرة الثالثة ورأيت بها تقدما بسيطا إلا أننى اتوقع لها تقدما كبيرا بالنظر لموقعها ولطيب هوائها.

مكثنا حوالى ساعة ونصف بها ثم تحركنا في اتجاه زنجبار وبعد ان قطعنا حوالى أربعة أميال وقفت السيارة وأعلن سائقها حسين بنفاد وقودها ولاتسأل عن ثورة أخينا طالب الذى حاول مرات تأديب حسين الذى كان يعلو صوته بالضحك مما أثار الأخ طالب ولكن هذه الثورة لم تدم طويلا إذ وصلت إلينا سيارة تحمل عددا من الجنـود فوقفت إلى جانب سيارتنـا حتى قدمت سيارة من زنجبار ذهب فيها حسين إلى شقرة ويحمل معه أنائين لنقل البترول احدها من الجنود وعاد بعد نصف ساعـة ولم تتحـرك من عنـدنا سيارة الجنود حتى تحركت سيارتنا فشكرناهم على مساعدتهم الطيبة ووصلنا زنجبار ولم نمكث غير دقائق ثم اتجهنا إلى مدينة جعار.

مدينة جعار

وصلنا مدينة جعار حوالى الساعة العاشرة والنصف ليلا وتفرق الركاب على ان نستأنف السفر إلى عدن واعتبرتها فرصة العمر لألتقى بالصديق عمر بوبك القحيم ولو لمدة دقائق معدودة وقد كان من أغراضى ان التقى بالأخ عبدالله بوبك الذى توطدت بينى وبينه الصداقة والاخاء والحب في الله عن طريق المكاتبة ولكن شاءت إرادة الله إلا أن أجده في المعتقل ومادام وصلت إلى مدينة جعار فلابد من مقابلة أخيه الذى قد قابلته في الشيخ عثمان وحاول ان يثنى عزمى إلى يافع واذهب معه إلى جعار وفعلا ذهبت ومعى الأخ طالب وقرعنا باب داره العامر وقابلناه وكانت فرحة وفرصة سعيدة إلا اننى فاجأته بمواصلة السفر وحاول عرقلة السفر ولم ينجح وودعناه وكان شديد التأثر ولما وصلنا إلى عند السيارة أخبرنا بان الركاب قرروا البقاء حتى الصباح فلم نربداً من عودتنا إلى عند الأخ عمر وقلنا له عدنا إليك ياعمر فاخذ بيدى إلى الفندق لشدة الحر في محله وبتنا في الفندق وفي الصباح وصل إلى الفندق وأخذنى إلى منزله ومعنا الأخ طالب ووضع أمامنا مائدة سخية غنية بالمأكولات فأكلنا شهيا وشربنا مرئيا وبدأت المحاولات الشديدة منه للبقاء ولو لمدة أيام ولكن تغلبت عليه وكانت الانفعالات تبدو واضحة على وجهه ولكن عذرنا كان مقبولا لديه وقام متناقلا مودعا لنا وقابلنا عند سدة الدار الأخ صالح عبدالله بن عاطف وصالح على الذى خلف بشقرة وعبدالله محمد وتود عنا من الجميع.

أما مدينة جعار فلم استطع ان أراها أو أكون عنها فكرة صحيحة لعدم الفرصة ويمكن ان اقول انها مدينة حديثة تحيط بها المزارع والأشجار المتنوعة وبناياتها حديثة وسكانها رجال أعمال منهم من يعمل في التجارة وأكثرهم في الزراعة وفي الشوارع تشاهد الآلات الحديثة الخاصة بالزراعة والقطن هو اهم مايزرع في هذه المنطقة وتزرع بها أنواع كثيرة من الخضروات والفواكه الرخيصة الثمن وتتمتع جعار بأكبر مؤسسة زراعية المعروفة بلجنة ابين. المشرفة على زراعة القطن والمسئولة عن تسويقه إلى مختلف انحاء العالم واعتقد انها لازالت تواصل نشاطها.

إلى عدن

ثم استقلينا السيارة متجمعين نحو عدن ومرت بنا على الساحل وفي نهايته عرجت بنا على المخفر وأخذ الجنود في تأدية واجبهم يفتشون الأمتعة تفتيشاً دقيقاً ثم تابعنا السير إلى ان وصلنا عدن حوالى الساعة العاشرة ووقفت بنا أمام بيت الصديق عبدالقادر بن محمد الشرفى ومكثت في ضيافته أربعة أيام وكانت عامرة بالمقابلات إذ وجدت الإخوان صالح محمد الناخبي وحسين أحمد البطاطى ثم صالح علي الناخبي رفيق السفر والسادة آل البيتى ولا أنسى أولاد الأخ عبدالقادر الشرفى ومرحهم وفرحهم ومساجلاتهم في محفوظاتهم المدرسية انها أربعة أيام فقط إلا أنها كانت عامرة بالسرور وحسن المقابلة.

إلى المكلا

وفي يوم ٢٠ صفر عام ١٣٩٠هـ كان الميعاد المقرر لعودتى إلى المكلا وقد بات معى في بيت الشرفى الأخ صالح على وقد تكرم الأخ عبدالقادر الشرفى وحجز لنا سيارة من الليل وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل قمنا نعد امتعتنا وكانت السيارة أمام المنزل وتحركنا بوقته إلى المطار وبقينا ننتظر ساعة السفر وقبيل شروق الشمس نودينا بالتحرك إلى الطائرة وودعنا الإخوة واتجهنا إلى الطائرة وأخذ الركاب مقاعدهم ثم تحركت الطائرة وبعد ان أخذ دورة واسعة على أرض المطار ارتفعت متجهة إلى الريان وفي الساعة التاسعة والنصف جثمت على أرض مطار الريان ومكثنا به برهة ريثما يؤدى ضباط الجمرك واجبهم ثم واصلنا سيرنا في سيارة أجرة إلى المكلا وفي الساعة العاشرة والربع كنت قد وصلت إلى منزلي ووجدت ابنى وأمه قد عادا قبلى من الحجاز واجتمع الشمل وبعد شهر وصل ابنى محسن من العراق لقضاء إجازته وكنت قد تمثلت بقول شوقى :

وكـــل مسافـــر سيعـــود يومـا إذا رزق الســلامة والإيـــابـا

ومادمت قد وصلت إلى المكلا محل الأهل والسكن فلابد من التعريف بشىء عن المكلا حسبما وصل إليه بحثى . كخاتمة لهذه الرحلة .

التعريف بالمكلا

تقع مدينة المكلا على ساحل بحر الجنوب العربي وعلى سفح الجبل الذى سمى بها وتمتد عماراتها على شكل خط مستطيل يبدأ بالقصور السلطانية غربا ويتجه شرقا حتى مصانع الجير ثم ينحرف جنوبا فيكون لسانا داخلة في البحر تحيطه المياه من الجهات الثلاث وإذا نظرت إليها من البحر فإنها تراها أشبه مايكون بالهلال. أما بيوتها فعالية قد تصل إلى خمس طبقات واغلبها مطلية بالجير الأبيض من الداخل والخارج وتنار بيوتها بالكهرباء وكذا شوارعها فكانها تمثل حزاماً من الفصوص الألماسية تشد خصر الجبل الحانى عليها ولها منظر رائع يجذب الأنظار إليها وقد امتدت العمارات وشملت الشرج والديس وماحولهما واتسع العمران إلى أن أصبحت أو كادت تكون مدينة واحدة تمتد من رأس المكلا وتنتهى بباكز يبور على خط مقابل إلى مجرى الوادى وفي مناطق الديس والشرج بنيت العمارات على الطراز الحديث وظهرت في هذه المنطقة احياء كحى تمى وكحى باسويد وحى الشفاء والمنورة.

وقد اشتهرت المكلا منذ القديم وان كان البعض يقول انها عرفت في العهود القريبة ويقولون انها كانت تسمى المكنة والخيصة وقد يكون ذلك إلا أن اسمها المعروف بالمكلا هم اسم على مسمى فالمكلا في اللغة العربية معناه المرفأ الذى تلجأ إليه السفن ويبدو ان هذا الاسم قديم جدا وقد تكون لها عدة اسماء. كشبام مثلا تسمى بيجم والصفراء. والذى يبدو لى ان تسميتها بالمكلا يرجع إلى عهد سيف بن ذى يزن الحميرى الذى تحدث عنه التاريخ بانه نزل بجيشه الفارسى لاسترجاع بلاده من الجيش بسيف عدن ونستنتج من هذه اللمحة التاريخية مايلى :

١ ـ يجوز ان يكون سيف بن ذى يزن قد اختار ميناء المكلا كمرفأ مناسب لسفنه نظر إلى أن ميناء المكلا في أوقات معينة يكون ملجأ امينا للسفن.

٢ ـ ويجوز انه نظم الخطط الهجومية على اليمن من عدة جهات براً وبحراً وجعل المكلا مركزاً لقيادته ويساعدنا على هذا الاستنتاج ماوجد من آثار حوافر الخيل في منطقة الديس ويقول العلماء المختصون كالبعثة المصرية برئاسة سليمان الحزين ان زمنها يقدر إلى ماقبل ألفى سنة وعللوا كثرتها بأن سببها مجاعة أو مقتله .

٣ ـ وتوجد منابع للمياه بالقرب من المكلا في المكان المسمى بكزيبور ولايعلم حتى الآن من هو الذى حفر هذه العيون وغرس حولها الأشجار وان كنا نعتقد ان المياه كانت إلى زمن قريب تجرى على وجه الأرض ولاسيما منطقة سقم ولربما ان الأمطار وكانت دائمة الهطول في أوقات معينة على هذه المناطق ولربما ان كلمة باكزيبور قد حرفت وكان الاسم الصحيح لها هو بانح سابور والذى كان هذا الاسم شائعا في الجيش الفارسى .

٤ ـ ويجوز ان يكون سيف بن ذى يزن قد جعل المعتقل لأسرى الحرب في وادى حجر ولربما انه ساق إليه النساء والصبيان الصغار من الحبشة ووجهوا إلى الزراعة وبمرور الزمن تكاثروا ويطلق عليهم . الصبيان أو الحجور ومن حجر توزعوا إلى مناطق كثيرة .

٥ ـ ويؤكد مانقول ماجاء في التاريخ ان الميناء الذى نزلت به قوات الملك الحميرى اسمه متوب وانه بالقرب من المكلا .

٦ ـ وجاء في التاريخ أيضا ان اسم رأس المرزبان كان معروفا في هذه الحملة وفي شرقى المكلا يوجد موضع يسمى بالرأس ولعله هو هذه استنتاجات قد تصح وقد لاتصح ولكنى أحببت عرضها فلعلها تكون مدعاة للبحث والتنقيب حتى تظهر الحقيقة .

أول من استقر بالمكلا

لم يصل إلى علمنا ان أسرة معروفة يقال انها أول من سكن المكلا واعنى بذلك قبل القرن الرابع الهجرى إلا أن الاستقراءات والاستئناس إلى بعض الوثائق القديمة تلقى بعض الضوءا على ان المكلا كانت معروفة يرتادها الصيادون في مواسم معينة من كل عام ويأتون إليها من عدة مناطق ويرجح انه في أواخر القرن الرابع الهجرى الذى عرف ان شيخ المنصورى الجعفر ى كان يأتى من أرض الجعافرة بالقرب من عمان ومعه العدد الكبير من القوارب الكبيرة بها اتباعه وبنو عمه وكان خبيرا بشئون البحر وإلى جانب ذلك شخصيته القوية التى فرضها على سكان المناطق المجاورة للمكلا وكان الصيادون يحتكمون إليه في قضاياهم فيحلها ولربما انه استطاع ان يؤمن المنطقة بفضل قوة اتباعه وبنى عمه وانصاره من السكان نقول هذا مستند بن على دليلين الأول وجود آل بكيران ومعهم بعض الوثائق التى تثبت نسبتهم إلى المنصورى ولعل المهنة مازالت تلازمهم منذ ذلك الوقت وهى اشتغالهم بالسمك الثانى بدأ العكابرة يظهرون ويقوى نفوذهم في الوقت الذى بدأ المنصورى في الضعف ويقول العكابره انهم اشتروا الأرض من المنصورى من فلك إلى العظم.

الشيخ يعقوب بن يوسف ينزل إلى المكلا

في عام ٥٥٣هـ هبط إلى المكلا الشيخ يعقوب بن يوسف واستوطنها ومات بها وعليه قبة معروفة باسمه.

وفي عام ١٠٧٠هـ قام الإمام أحمد بن الحسن برحلة بدأها من صنعاء ومر في طريقه إلى حضرموت بفوة ثم المكلا وطلع عقبة المكلا في طريقه إلى سيون.

الجديانى بالمكلا

تشير وثائق آل بكير الذين ينتسبون إلى الجديانى اليافعى ان جدهم الأول نزل إلى المكلا عام ٩٨٠هـ في سفينة ذاهبه إلى الهند وهو بها لغرض المعاش ولكنهم وجدوا فى ساحل المكلا معركة تدور بين البادية وعرض وساطته وقبلت وحكموه في النزاع الناشب بينهم فاستطاع ان يقضى على النزاع ويسدد أمورهم ومن ثم عرضوا عليه ان يبقى مقابل بعض مالهم من عوائد على الصيادين فرغب في البقاء وكان خيرا لهم وله واستمر حاكما لهذه المنطقة حتى ازاحة الكسادى عام ١١١٥هـ وبعد. فهذا خواطر سجلتها ومعلومات دونتها فإن كانت مفيدة فالله الحمد والمن وان كانت غير ذلك فهذه بضاعتى والكمال لله وحده وماقصدى إلا أن انوه بايجاز عن قبيلة ذات تاريخ مجيد لم يعرف عنها إخواننا العرب في الوطن الكبير الا نتف لاتغنى ولا تعطى صورة واضحة لامجاد واعال هذه القبيلة أملا من الله ان يهىء من الشباب الواعى من يبحث ويستقصى ويدون ويخرج لنا تاريخا شاملا ليأخذ مكانة في المكتبة العربية وليعبر عن تاريخ أسرة كبيرة من الأسر العربية لعل في ذلك حافزا للعلم والعمل والسير على أقوم نهج والله من وراء القصد وماتوفيقى إلا بالله وهنا امسك القلم في تاريخ ٢٦ شوال عام ١٣٩٠هـ الموافق ٢٤ ديسمبر عام ١٩٧٠م.

تم بقلم عبدالله بن أحمد الناخبي (المؤلف)

أوسمـة عاليـة

أطلع على هذه الـرحلة بعض الأدبـاء ورجـال البحث والتمحيص بغـرض المراجعة وتصحيح الأخطاء وفي مقدمتهم الأستاذ الكبير الأديب المؤرخ الشاعر المؤلف الكاتب محمد عبدالقادر بامطرف.

والعـلامـة الفقيه المحدث الأديب الشاعر الكاتب المؤلف الشيخ عبدالرحمن عبدالله بكير.

والأديب الواعى المدرك بدر بن أحمد الكسادى.

وأبت مكارم أخلاقهم إلا أن يمنحونى على هذا الجهد المتواضع أوسمة الشرف والفخار ماجعلنى اعتز بهذه المنح الغالية وستراها قيماً بعد بعنوان (وسام عالى):

شاكراً لهم وذاكراً ومتمنيا لهم ان أرى قريباً نتاج أفكارهم تتناوله الأيدى من مؤلفات غالية وتحف نادرة وفقهم الله آمين.

شاء بعض الأصـدقاء الأفاضل إلا أن يمنحوا هذا المجهود المتواضع أوسمه عالية فاحببت ان اضعها كما شاؤا أكثر الله من أمثالهم ووفقهم إلى كل خير.

وسـام عالي من الأستـاذ الكبير الأديب المؤرخ محمد بن عبدالقادر بامطرف قال :

يافع في أدوار التاريخ :

صديقنا الشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي الفقيه الكاتب الشاعر الخطيب في غير حاجة إلى مزيد من التعريف وانه حينما يخرج لنا كتابا قيما كهذا يجعلنا ننال شيئا توقعناه ونحقق مراداً تمنيناه وكتابة (رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ) يكشف لنا النقاب عن جانب حضارى في تاريخ جنوب اليمن قليلون هم المحيطون به

وذلك لهو الدور الهام الذى لعبه اليافعيون في تاريخ اليمن خاصة وتاريخ الأمة العربية عامة.

ولقد عرفنا نحن الحضارم جانبا من نشاط يافع السياسى والعسكرى والعلمى والثقافى في حضرموت وهو جانب يدل على مالدى الفرد اليافعى من استعداد للاشراق حيث تتوفر له الفرص للبروز والسمو والتفاعل في المحيط الذى يستقربه ولذلك دخل يافع التاريخ في حضرموت من أوسع أبوابه ولسوف تبقى معالمهم التاريخية هنا مابقى لحضرموت تاريخ يدون ويتلى وخاصة عن الحقبة الممتدة عبر القرنين الماضيين.

والمؤلف بهذا الكتاب الممتع اثبت انه ذو حس وصاف. . فهو عندما يصف لنا طوافه في نواحى جبل يافع نشعر وكأننا نطوف معه تلك الربوع ونجتلى معالمها ومجالات النشاط الحيوى فيها وهو عندما يذكر لنا لقاءاته هناك نلتقى معه على صفحات كتابه بالشخصيات العديدة التى جعلت من ذلك الجبل الأشم محلة يتوق أهلها إلى الأخذ بالجديد من أسباب الحياة مع الحفاظ الواعى على القديم المفيد من تراث الآباء والأجداد.

وكذلك الحال حينما يقص علينا المؤلف مكانة يافع في التاريخ اليمنى فإنه بعبارته السلسلة السهلة الطلية وعمقه في البحث والاستقصاء يفتح امامنا سجلا حافلا نتعلم منه الشيء الكثير عن الأدوار التى كانت ليافع في التاريخ منذ العصور الموغلة في القدم.

وبهذا كله احاط المؤلف بالصورة البديعة التى أراد ان يرسمها عن يافع في كتابه من جوانبها الأربعة. فاتت وثيقة تنبض بالحياة لشعب لم يكن بالمتقاعس من ارتقاء سلم المجد والضرب بأوفى نصيب في التاريخ كلما بدت له بارقة حركة أو مساهمة حضارية في تاريخ العروبة والإسلام.

حيا الله المؤلف وجعل التوفيق حليفه في كل بحث علمى مفيد

المكلا ١٢ ذى القعدة ١٣٩٠هـ

محمد عبدالقادر بامطرف

وسام عالى من الشيخ بدر بن أحمد الكسادى

قال

لقـد قرأت عديداً من الكتب في مواضيع عديدة. وبـالأمس قرأت كتـابكم ولاتعجب إذا قلت لك اننى معجب كل الاعجـاب بهذا الكتـاب. لقـد تعود الكتاب ان يكرموا الناس بعد وفاتهم وهم يرثونهم أو يكشفون عن أمجادهم بعد موتهم. أما أنت بكتابك هذا فقد فاض كرمك بشموله فكرمت من مات وشمل كرمك الاحياء في حياتهم.

وبهـذا الأسلوب خلدت ذكـرى الأمـوات فكـدت تبعثهم وشجعت الاحياء بذكرك لهم لتدفعهم إلى المزيد في المعرفة. وهذا أسلوب نادر مايهتدى إليه الكتاب. ونحن نرجو أن يقتدى كل كاتب يريد الكتابة بمثل هذا الأسلوب.

المكلا ٢٨ شوال عام ١٣٩٠هـ الموافق ٢١ ديسمبر عام ١٩٧٠م

بدر بن أحمد الكسادى

وسام عالى: من الأديب العلامة الشيخ عبدالرحمن عبدالله عوض بكير

قال

أحمد الله سبحانه وأصلى وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وبعد.

لقد امتزج في رحلتك هذه ياسيدى إلى الاقليم اليافعى من هذه الجمهورية التاريخ بالقصة والعظة بالبحث واشراق الأسلوب بجمال الواقع وإنها لمزية اتاكما الله من فضله وحكمته ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثير.

لقد كان كتابك هذا كتاب رحلة ذات زمن معروف وذات مكان محدود لا خيال فيهـا ولاتشبيه وكان يمكن ان يكتفى بالوصف وصف المناظر التى وقعت تحت بصرك أو وصف الحوادث التى قيلت تحت سمعك أو شيئاً نحو ذلك ومثله وذلك هو مايتبـادر إلى الذهن أول وهلة حين يسمع عن رحلة لمكان محدود من منطقة محدودة ومن شخص من اقليم كاقليم اليمن الجنوبى عاش فيه ولم يفارقه الا لزيارة

قريب في منطقة الجنوب أو لحج بيت الله الحرام في زمن قصير ووسط أعمال الحج الكثيرة.

إلا أن مارأيت كان غير ذلك فهو كما اسلفت تاريخ وقصة وعظة وعبرة وأسلوب وواقع جرى قلمك فيه رخاء حيث أصاب.

لقد رأيت في هذه الرحلة حواسك مجتمعة وهى تحترق اسى وتتفطر حسرة للاهمال الذى تعرض له قومك الأقربون وذوو قرابتك الأدنون من المؤرخين الذين كتبوا عن منطقة الجنوب ولم يكتبوا عن يافع كثيرا ولربما ولا قليلا ولكن رأيتك في نفس الوقت تبتسم من خلال ذلك الاحتراق والتفطر وظله الذى ظلل نفسك وحواسك بقتامة. رأيتك تبتسم لاثنين من الزملاء. صلاح عبدالقادر البكرى. ومحمد عبدالقادر بامطرف فقد حاولا ان يلقيا أضواء كاشفة على تاريخ ما أهمله المؤرخون عن قومك ومساقط رؤوسهم. هكذا كنت اتصور انك ترى أما الأول فبحكم ارتباطه والتصاقه بالمنطقة اليافعية وبحكم متابعته لتاريخ المنطقة كلها وهو شيء من البر يقدمه لقومه. وأما الثانى فلا خلاصة لمعلوماته واخلاصه للتاريخ الخاص بالمنطقة كلها في مختلف أحواله وأشكاله والعام بكل بلاد العرب والمعمورة واخلاصه للحقيقة أينما وجدت ومع من وجدت وهو في كلما يكتب ويحلل ابن بجدتها وسمير ليلتها والاثنان جديران ان يقابلا بالابتسامة العريضة الصادقة في كثير من المواقف والمناسبات.

سيدى لقد اطلعتنى في هذه الرحلة كرماً منك على أصل يافع ومن أى أسرة عربية ينحدرون واريتنى مثاوى يافع وأى منطقة من هذا الجنوب يقطنون قابلت بينى وبين قبائلهم وأسرهم ومدنهم وقراهم قبيلة قبيلة وأسرة أسرة ومدينة مدينة وقرية قرية حتى لقد كنت اعتقد في بعض المواقف اننى كنت معك أرى ماترى واسمع ماتسمع واتحدث إلى من تتحدث بل لقد رأيتنى وأنا معك تتساقط دموعى من مآقيها وتنحدر كما تساقطت دموعك وانحدرت وأنت تفارق أصدقاء الطفولة وأبناء العمومة والخؤولة في حمحمة ساعة فراقك لأولئك الأعزاء كان ذلك وأنا معك في اليوم الخامس عشر من صفر من عام الف وثلاثمائة وتسعين من هجرة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام وأنا وأنت على ربوة ساعات الوداع بصفحة

٢٦ وأكمة العودة من يافع بصفحة ١٧٥ .

إنى بصورة خاصة أشعر نحو هذه القبيلة الكبيرة يافع من عرفت منهم ومن لم أعرف وعلى اختلاف بيوتهاتهم اشعر نحوهم بشيء غريب يشدنى إليهم ويجعلنى ارتاح لسماع أخبارهم وتتبع أثارهم والاستمتاع ببطولاتهم ماسر هذا الشعور ماسببه ماهى دوافعه من أين تأتى روافده لا أدرى.

إننى أحب هذه القبيلة أو قل هذا الشعب اليافعى أحبه حبا لااستطيع كما قلت لك ان افسره لكننى أحبه وكفى.

لقد كنت وأنا اتابع رحلتك وأسير معك ياسيدى حريصا على ان يمتد بك زمن الحديث في بعض المناسبات وبعض الفصول لتعطى القارىء الفكرة الكاملة أو القريبة من الكاملة وتوقفه على حقائق الأمور أو على الكثير من حقائق الأمور وأنت أنت الخبير بموضوع الكتابة هذه المكتوى بنار تقصير المقصرين في كتابة التاريخ اليافعى. هذا رغم انى أجد بين السطور مايفى عن امتداد الموضوع الكتابى أحيانا إلا أنه ليس بوسع كل قارىء ان يدرك ماتشير إليه في هذه المنعطفات والثنايا أو أن يصل إلى شيء من ذلك. ورغم انك بين الحين والحين تعتذر بأن الكتابة ليست تدوين تاريخ بمقدار ماهى وصف رحلة وهى كذلك إلا أنها فرصة ينبغى اهتبالها والفرص لاتسنح دائما والتفكير في الأقدام على الجديد يطول ويطول ومابين اليد هو الأقرب للتناول. ولقد كان يجدر ان تولى بعض المواضيع عناية خاصة وفي نفس الوقت ليس لها غيرك فيما اعتقد ولاسيما وقد مزجت بين تاريخ الموطن وقصة السفر مزجا حكيما في أسلوبه وفي نسج خيوط موضوعه ومن ذلك على سبيل المثال وفيما يحضرنى الآن :

١ ـ موضوع الشخصيات الأدبية بحضرموت على ان من بينهم شخصيات جديرة بالاهتمام والعناية الخاصة مثل شخصية الأمير علي بن صلاح بن محمد القعيطى وهى شخصية[1] تاريخية أدبية علية إلى جانب انها من ألمع الشخصيات اليافعية

---

(١) الأمير علي بن صلاح من أقوى الشخصيات التى عرفتها حضرموت مؤرخا من المؤرخين الماهرين ويمتاز بالحافظة التى اختصه الله بها وكان يحكى التاريخ لجلسائه كقصة وقد تداركت مافاتنى انظر ص٤٣ في الهامش.

بحضرموت وما كان ينبغى الا تشير إليها رحلتكم من قريب أو من بعيد.

٢ ـ موضوع السلطنات في يافع من حيث اشكالها وماتؤديه من خدمات للمجتمع اليافعى ونظام اتصالها الرسمى بالعالم الخارجى ومكاتباتهم مع ملوك ورؤساء عصرهم أو نحو ذلك إذا كان شيء منه يوجد ويقينى انه يوجد حقا ان وقوفكم تحت عنوان وقفة وتأمل بصفحة ٤٦ يعطيكم العذر في الكتابة العذر المؤقت ولكن هل يعطى العذر لأمثالكم في متابعة البحث والسفر إلى يافع مرة ومرة وأكثر من مرة ومرة.

٣ ـ والموضوع الأخير موضوع السلطان غالب بن عوض كان ينبغى ان يشمله شمول بحثكم ويوفيه[1] لا أقول كاملا ولكن ليوفيه بعضا كبيرا من حقه لأنه يتحدث عن أخر فصل من فصول الحكم اليافعى القعيطى في تلك الحكومة التى امتدت امتداد قرن من الزمان وبضع سنين والذى يمكن ان يقال عنه بالتحديد انه بدأ من ٢٤ ذى الحجة عام ١٢٨٣هـ وهو التاريخ الذى هاجم القعيطى فيه مدينة الشحر وأجلى عنها حكامها من آل كثير واستمر إلى فجر يوم ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٨٧هـ الموافق ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٧م حيث استولت الجبهة القومية على مقاليد الحكم وحيث اعطى السلطان غالب بن عوض وثيقة التنازل عن الحكم (اتضح فيما بعد بأن السلطان غالب بالرغم من الضغط والتهديد لم يكتب شيئا عن تنازله بل أوصى بعدم سفك الدماء بين صفوف الشعب في الوثيقة التى سلمت للثوار الذى قابلوه في الباخرة التى أتت به إلى المكلا في ١٧ سبتمبر ١٩٦٧م. إلا أنه ذلك لايأثر على صياغة المقالة أو مضمونها إلى غير ذلك من المواضيع ذات الأثر الأنى والرجعى على الحكم اليافعى بحضرموت سواء حكم الكسادى أو آل بريك أو القعيطى مما أنت بصدد الحديث عنه أو مما سيكون له أثره في حكم المنطقة مستقبلا ومامهد له الحكم القعيطى بواسطة ماغرسه من غراس صالح.

---

(١) السلطان غالب بن عوض بن صالح بن غالب بن عوض القعيطى. يرتبط تاريخه مع تاريخ الثورة وسيأتى الزمن الذى ستظهر فيه صفحات من التاريخ عن الحقبة التى تولى فيها شئون السلطنة وماقبلها ومابعدها.

كم أنا مدين لك ياسيدى بما غمرتنى به من اكرام حين كنت لك تلميذاً وكنت لى أستاذاً ثم زميلاً في العمل التربوى وفي غيره وبعد ذلك واثناءه أخا مخلصاً ومتفانياً في لجنة الشئون الدينية ولك في كل مرحلة من هذه المراحل فضل التوجيه المخلص ثم لم تشأ إلا أن أكون من بين أولئك القلائل الذين شرفتهم بالاطلاع على رحلتك هذه وهى ماتزال في مراحلها التحضيرية الأخيرة. فلقد كان لى شرف قراءتها في السابقين مضافاً إليه شرف اكرامك لى فيمن كرمتهم بذلك من الأكرمين فمنك الفضل ولك الفضل دائما فيما قدمته لى وماشرفتنى به كما كان لك الفضل أستاذاً وزميلاً وأخاً في الله.

سيدى الشيخ عبدالله ليس هذا تقريظاً لرحلتك إلى يافع وماحوته من معلومات تاريخية فذلك لايكون إلا من مؤرخ ولست به وإنما تلك كلمات اعتراف من قارىء استفـاد مما قرأ وأضاف به معلومات إلى معلوماته وتشرف بتلك المعلومات وأدار بصورة متواضعة ان يعترف بالفضل لأهله.

وهل الشيخ عبدالله بن أحمد بن محسن الناخبي بحاجة إلى من يقرضه في مثل هذا المـوضوع وهو من عرفناه رجل دين ودنيا ورجل إدارة وسياسة ورجل سلم وحرب ولا غرابة ممن يبيت الشهامة درج وفى سلالم اسلافه عرج وهو كاتب من كرام الكاتبين ومؤرخ من خيره المؤرخين وباحث فذ في الباحثين.

وفقنا الله وإياه آمين

المكلا ـ حضرموت

٦ ذى القعدة عام ١٣٩٠هـ ـ ٤ يناير عام ١٩٧١م

عبدالرحمن عبدالله بكير

ملحـــق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه ومن ولاه إلى يوم الدين وبعـد.

فقد كتبت صفحات في (رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ) جمعت فيها ماتيسر لي من معلومات وبمرور الزمن جمعت معلومات أخرى وكان لزاماً على أن أعيد الكتـابة مرة أخرى ولكن عوائق كثيرة حالت دون ذلك وخوفاً من النسيان رأيت أن أجمـع هذه المعلومـات في صفحـات قليلة لحفـظهـا أولاً ولتكون باعثاً للمثقفين من أبناء قومنا.

ثانياً ليتابعوا البحث والتنقيب حتى يتكون ليافع تاريخ متكامل وهذه المعلومات التى أسجلها في هذه الصفحات قد ذكر بعضها في الرحلة المشار إليها إلا أنها قد تكـون مجملة وقـد لاتعطى الصورة المتكاملة فاستعنت بالله وعليه الإتكال وهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

عبدالله أحمد محسن الناخبي

أنسـاب يـافـع

من عدة مراجـع تاريخية وضعت سلسلة لنسب يافـع سألحقهـا في آخر هذه الصفحات بإذن الله ولنقتصر على الأهم منها، فيتصل نسب يافع إلى ناعته بن شرحبيل فانجب ناعتـه زيد ابن ناعته وزيد انجب قاول بن زيد وقاول انجب حجيراً وشرحبيل نفيل ويافع السرو وينكف أبناء قاول ويافع بن قاول انجب بلده وجحيملان وشرحبيل أبناء يافع ومنهم انتشرت بطون يافع ومسكنهم السرو أى سرو وحمير الذى تمتد حدوده من شرق اليمن إلى الساحل ويشتمل على الهضبة مساكن يافع العليا وبطون الأودية بين الجبال الشاهقة إلى أبين بما في ذلك لحج والضالع وقد عرفت هذه القبائل اليافعية بالنجدة والكرم والآباء والشمم وفي عصر الهمداني ذكر عدة قبائل من يافع منهم الأريوم وأذان والذراحن وبنو قاسد والأبقور وبنو شعيب وبنو جبر وكلد والسياون وهم أهل الهجر وبنو سمى وبنو صائد أربد ومسكنهم صول والأصووت ولهم ثروة ويافع من أنجد القبائل اليمنية وأخبارهم في عصرنا كثيرة.

وأشراف يافع في اليمن اليوم أي في عصر الهمداني بنو أحمد عبدالجبار بن محمد بن عبدالله بن زائد بن عاصم بن مرشد بن يفضل بن ذي جنا بن النضر بن يزيد الأصغر بن عمر بن مره بن ذي يزن بن يريم الأكبر بن شرحبيل بن يافع بن قاول، راجع سلسلة النسب في آخر هذه الصفحات كما ذكر الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المؤرخ النسابة عدداً من أودية يافع وجبالها وسكانها فمن ذلك العر وثمر وعلة وحطيب وبهر وذو ناخب وذو ثاوب وسلفة وسلب وشعيب وعرميحان والعرقة ومدوره والمجزعة وتيم.

فالعر . لاذان من يافع

ثمر . للذراحن من يافع

عله	. للأصووت من يافع
حطيب	. لبني قاصد من يافع
يهر	. لبنى شعيب من يافع
ذو ناخب	. لبنى جبر من يافع
ذو ثاوب	. لبنى صائد من يافع
سلفه	. لبنى شعيب من يافع
شعب	. لبنى سمى من يافع
عرميحان	. لبنى شعيب من يافع
سلب	. لبنى جبر من يافع
العرقه	. لبنى للاهجور من يافع

ثم قال وفي هذه المواضع قرىٰ ومساكن كثيرة. وذكر كثيراً من الأودية والقبائل منها من لم يزل محتفظاً باسمه ومنها من نالته يد التغيير ومن القبائل من لم نعلم عن اسمائها ماعدا الذراحن مازالوا موجودين لابثمر ولكن بأرض المفلحى وماجاورها. وقد ذكرت بعض هذه المواضع في رحلتى إلى يافع. للفائدة ننقل تعليقاً للمؤرخ المحقق الأديب البارع الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالى عندما جاء ذكر يافع في الجزء الثانى من الأكليل تتميماً للفائدة قال متع الله بحياته.

يافع قبيل ضخم مرهوب الجانب شديد الشكيمة ذو أباء وشمم وعروبه يعربيه وهم دائماً أحرار لايدينون لسلطان واقليمهم فسيح ومخلاف واسع يسمىٰ سر وحمير ويقع في الجنوب الشرقى من اليمن.

وقبيلة يافع ممن هب لنداء الإسلام وكانت في طليعة جيش المسلمين الفاتح لمصر وكان على ميسرته مبرح بن شهاب اليافعى الرعيني الصحابي وحسان بن زياد اليافعى البطل المغوار وهم الذين اجتازوا نهر النيل إلى الضفة الغربية وركزوا العلم فيها ومن ذلك اليوم سميت تلك المنطقة بالجيزة.

إلى أن قال ونبغ منهم جماعة منهم المحدث عبدالله بن وهب اليافعى وممن اشتهر في الوطن قاضى صنعاء واليمن بأسره أبو بكر اليافعى وكان شاعراً مفوهاً من أعيان القرن السادس.

(وسنذكر طرفاً عنه في صفحة أخرى).

ومنهم قطب الحرم المكي عبدالله بن أسعد اليافعى صاحب التآليف الحسان وغيرهم كثير وكثير.

وممن أدركنا عصره الرئيس الكبير والشاعر الخنذيذ والجواد المتلاف والعالم الضليع منصور بن نصر بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن زيد بن أسعد اليافعى الحميرى ينتهى نسبه إلى الوزير المشهور موفق الدين علي بن محمد اليحيوي وزير المؤيد الرسولي ثم إلى آل يحيى الساكنين بالقارة من يافع ومن شعره :

إذا كنت تسأل عن قومى وعن حسبي كتب التواريخ والأنساب تكفينا
فنحن من يافع حزنا الأولى حسبا من منتقىٰ يافع قحطان داعينا
من أيفعت في سماء المجد معلنة للعز تدعو وللعلياء تنادينا

وكان شجاعاً باسلاً وجواداً مشهوراً وكانت وفاته عام ١٣٤٢هـ عن ٨٥ سنة وآخر ما قاله من الشعر :

إلهى هذا العبد قد طال عمره ثمانين عاماً ثم عامين تتبع
وعاش بعدها ثلاث سنوات وأولدا ولاداً نجباء وأحفاداً

ذكرهم في غير هذا التعليق، انتهىٰ كلام الأكوع مع تصرف بسيط.

(تنبيـــه)

ذكر الأكوع إن بني مليك غير معروفين اليوم وأقول أن المليكى معروف في ذى ناخب وكان المليكى يحتل منطقة في أسفل وادى شباب وكانت لهم أملاك وقلت رجال المليكى ولم يبق منهم غير فرد واحد اسمه صالح محمد بن سالم عمر المليكي ولازالت له بقية من أموال وحصنهم المشهور يسمىٰ اليوم بدار أهل علي ويقول صالح المذكور ان شباب أى وادي شباب لايزال من أملاكه وانه يزاول العمل فيه كلما دعت الحاجة إلى العمل فيه وهو معدود من قبيلة آل بن ناجي عمر.

ومـازلنا نتلمس ونبحث عن الشخصيات اليافعية التى قدمت الكثير الطيب للناس ومن كان يعرف البطل المشهور منصور بن نصر اليافعى وبقدر مالدينا من مراجع مع قلتها فيلزمنا أن نقدم للشعب اليافعى مانحصل عليه من معلومات عن الشخصيات اللامعة التى دخلت التاريخ من أوسع أبوابه وها أنا أقدم شخصية عظيمة يافعية بما تحمل هذه الكلمة من معانى هذه الشخصية التى وهبها الله ملكه علمية وحافظة قوية فهو الفقيه الضليع والمحدث البارع استوعب الكثير من العلوم والفنون واعترف له بالفضل ذووه من علماء عصره في اليمن الميمون واطلقوا عليه الحافظ المحدث ذلكم هو العلامة الشيخ عبدالملك بن محمد بن أبي ميسره علامة اليمن ومفتيها ومحدثها وأديبها ومربي نشأها في اقاصى اليمن وأداينها مسكنه جبل الصلو ترجم له الجندي والشرجي وبامخرمة.

سمع من القاسم بن محمد ولقى أبا عبدالله محمد بن الوليد بن عقيل المالقي المكي سنة ٤٥١هـ وأخذ عن الحسن بن أحمد بن محمد المقري النيسابورى لمع اسمه في الوطن واشتهر بالإمامة في اليمن وعدن وغيرهما كما اشتهر بالتواضع وحسن المقابلة واخلاصه في التعليم مع زهد وورع مما جعله محبوبا عند الخاصة والعامة مع عزة نفس وعفة وقناعة. عرض عليه أحد مشائخ بعدان الانتقال إلى بعدان وتعهد

له ان يقوم بما يحتاج إليه من نفقة وكسوة له ولأهله ليتفرغ للتدريس ونشر العلم فاعتذر له وشكره وأرسل إليه الرد بقصيدة مطلعها :

منزلي منزل رحيب أنيق فيه لي من فواكه الصيف سوق

وأمّه الطلاب من كل مكان ونهلوا من معينه الفيّاض وكان محافظاً على الأوقات ملازماً للعبادة والذكر والتلاوة حتى استجاب لنداء ربه عام ٤٩٣هـ وفقدت اليمن عالماً فذاً ومعلماً مخلصاً وتقياً نقياً. وبكاه العلماء ولاسيما تلاميذه الكثير الذين حملوا الأمانة من بعده وانتشروا في أرجاء الأرض يعلمون ويرشدون ويوجهون ويربون.

ونذكر من تلاميذه على سبيل المثال لا الحصر بعض العلماء الأعلام، فمنهم العلامة القاضى محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعى أن القاضى أبوبكر الذي سنذكره فيما بعد.

ومنهم العلامة الشيخ الزاهد يحيى بن عبدالعليم وأصله من خدير وكان هذا الشيخ خال القاضى أبو بكر ابن محمد اليافعى. ومنهم العلامة عبدالله بن عبدالرزاق بن حسن وسالم بن عبدالله، ومنهم العلامة محمد ابن القاضى مسلم بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالله المصعبي، ومنهم العلامة أبو بكر بن أحمد بن محمد البردي بعدن قرأ عليه مختصر المزني وكتاب الرسالة للشافعى. هذا قل من كثر وقطره من بحر.

وكان يشتغل في نواحي اليمن وعدن لنشر العلم والمعرفة رحمه الله.

قاضي صنعاء واليمن بأسره

عالم واسع الاطلاع سريع البديهة لمع اسمه وسطع نوره وبَعُدَ صيته ذا شخصية قوية وجذابة عليه مهابه وجلال عرفته اليمن عالماً أديباً شاعراً مجيداً عظم العلم فعظمه واعتز بالدين فاعتز قاضى صنعاء واليمن بأسره ذلك هو القاضى أبو بكر بن محمـد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعى نشأ في أسرة علمية تربى على يد أبيه العلامة وأخواله العلماء ميلاده سنة ٤٩٠هـ ومات بالجند ١٧ رمضان عام ٥٥٢هـ، كان عصره ذاخراً بالعلماء في اليمن والأدباء والشعراء عاصر الإمام يحيى بن أبي الخير وقد حضر موته هو وأصحابه فحينما سمع بموته قال ماتت المروءة وماتت المروءة.

أخـذ العلم وبالأخص الفقه عن العلامة زيد بن عبدالله اليفاعي وعن أبيه وأخواله آل عبدالعليم، استوعب علوم عصره وكان قمة فيها أجاد وساد فقيهاً محققاً وأديباً بارعاً وشاعراً مجيداً له ديوان كان مشهوراً في الأوساط اليمنية ولكنا لم نعلم عنه شيئاً عرفه أهل عصره بالفصاحة وقوة الحافظة وتشيرّ بعض المراجع ان الشيخ عمار دون له بعضا من قصائدة في مختصره المفيد.

ولي القضاء من إب إلى عدن ثم صنعاء ثم اليمن بأسره من جهة الداعي محمد بن سبأ ومن قبله من جهة الأمير منصور ابن الفضل في ذي جبله.

وكان له ولد سماه محمداً أخذ الفقه عن أخواله آل عبدالعليم نبت نباتاً حسناً وتفوق في علم الكلام واللغة العربية وفروعها وكان شاعراً مطبوعاً جيد الشعر مات رحمـه الله بالجند سنة ٥٤٦هـ، ومات فيما بعد والده ودفن بالجند وقبراهما هناك معروفان وبطبيعة الحال فالقاضى أبوبكر الأب ألمه هذا الحدث الجلل وحنان الأب يفرض عليه ذلك ولاسيما في الابن المؤدب العالم البر بوالديه ولكن إيمان الأب تغلب على العاطفة واحتسبه عند الله ورضى بالقضاء. وجعل من الشعر متنفساً له ورثاه

بقصائد جمّة منها مطلع قصيدة له يرثى بها ولده قال :

جوار الله خير من جواري ودار نعيمه لك خير دار

إنه الإيمان الصادق فجوار الله خير من جوار نهايته الفراق وميلاد ابن القاضى أبو بكر عام ٥١٧هـ.

ولنتابع الحديث عن عالمنا النابغة القاضى أبى بكر بن محمد فقد كان ذاجاه عظيم وحظ وافى عند الخاصة والعامة، وكان الملوك والأمراء لايردون له شفاعة أو طلب فقد استوهب خراج الفقهاء في الأجناد من الداعي محمد بن سبأ وخلصها لأهلها وكان الضعفاء يلجأون إليه فيسعى في قضاء حوائجهم وكان على جانب عظيم من الأدب مع العلماء وكانت الأسئلة ترد إليه فيرد عليها وإذا تنازع عنده الخصوم يقول لأصحابه من طلبة العلم والعلماء ماقال القمران في هذه الحكومة وتارة يقول هاتوا جواب القمرين يقصد الإمامين عبدالله بن يحيى المصعبي ويحيى بن أبي الخير الأول من سفهنة والثاني من تسير، لاحظ أدبه مع العلماء واحترامه لهم وهم أهل لذلك، ويدل أيضاً على كثرة العلماء في عصره.

وفي عهده قدم القاضى الرشيد أحمد بن علي ابن إبراهيم بن الزبير من مصر فأحتفىٰ به وأكرمه وأحسن استقباله ويسر له مقابلة العلماء والأدباء وتولى بنفسه رعايته والقيام بما يتطلبه من توفير المنزل والنفقة وهيّأ له المناخ المناسب ليستفيد منه أكبر عدد ممكن من أبناء اليمن لأنه معروف في الأوساط الإسلامية بعلمه وسعة معارفه واحاطته بشتى العلوم والفنون فاستفاد منه جماعة من أهل اليمن وهذا يؤكد ماذكرناه من احترامه للعلماء ومساعدتهم والتأدب معهم في مجالسهم.

هذا ماتيسر لدى من معلومات وخوفاً من الضياع أو النسيان سجلتها في هذه الصفحات.

ومن عرفناه من علماء يافع السلطان صالح بن غالب القعيطى محدث وفقيه وأديب واسع الاطلاع يتقن عدة لغات أجنبية إلى لغته العربية وله باع طويل ذكرت ذلك في كتابي (رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ).

الأمـير علي بن صلاح بن محمد بن عمر القعيطي شخصية قوية لماعه أديب ومؤرخ واسع الاطلاع سياسي محنك ويبهر الجالسين عندما يتحدث عن التاريخ

الحضرمي باسلوبه الرائع وكان يحتفظ بالوثائق التاريخية وقد سجل تاريخها ومضمونها في دفتر كان يرجع إليه وقد جلست معه عدة مرات فكان يتدفق تدفق السيل في شرح وتحليل الوقائع التاريخية مع حفظه لتاريخ الإسلام حسب ماجمع من كتب تاريخية أتى عليها دراسة وتحليلا، وتاريخ يافع في حضرموت كان هو المرجع الوحيد لطلاب التاريخ من العلم ان الوثائق التاريخية قد جمعت واحرقت كما ذكر ذلك المؤرخ السيد علوي بن طاهر الحداد وبالأخص تاريخ يافع.

الشيخ صالح بن محمد بن عامر الذي اطلق عليه أهل حضرموت العامري كان عالماً ربانياً زاهداً داعياً إلى الله بيته مفتوحاً للقاصدين محبوباً عند الناس يقضى حاجة العجائز والعاجزين عاش متقشفاً لادخل له غير مايجود به بعض عارفي فضله يطوف في المساجد داعياً إلى الله رحمه الله رحمة الأبرار.

وممن عرفناه في يافع

السيد عبدالله بن محمد بن الشيخ بوبكر بن سالم الساكن في حنكة آل مرشد كان فقيهاً فذاً وله إلمام في اللغة العربية ووهبه الله خطاً جميلاً وشاعراً مجيداً إلى الفصحىٰ أقرب وكانت لي معه جلسات متعددة حينما زرت يافع في عام ١٣٥٠هـ وكان في ذلك الحين ظهور المسمىٰ حسن هارون القرمطي وكان أحد أتباعه هو حسين عاطف على ماأذكر يتردد على الحنكة لبذر عقيدة القرمطة وحصلت بينى وبينه مناظرة وأوضحت له دعوة حسن هارون وانها هدم للإسلام وذكرته بما أحدثه القرامطة في مكة من قتل الطائفين ونقل الحجر الأسود وطال النقاش في المسجد يوم الجمعة فلما أعيته الحجة عمد إلى السلاح ووجهه إلى إلا أن إخواننا أخذوا منه السلاح وقالوا له ان معك علم فقل وان كنت جئت لتضليلنا فأنت ممنوع من العودة إلى محلنا وإذا عدت فسوف يكون مصيرك القتل وعاد أدراجه وبعد ذلك أخذنى السيد عبدالله إلى بيته وأفضىٰ إلى بأسرار خطيرة وشكر لي عملي وماقمت به وتبادلنا فيما بعد القصائد ولكن مع الأسف لم أصحبها معى إلى حضرموت فضاعت كما ضاع غيرها من المعلومات التاريخية.

الشيخ عبدربه اليزيدى وعبدالله أحمد اليزيدي ودرسا على الشيخ سالم بن مبارك الكلالي.

وتفقهـا عليه علاوة على الفنون الأخرى كالنحو والصرف والحديث والتفسير وبـرع الأول في علم الفرائض فكان له متقناً والآخر في الفقه والحديث وكلاهما يشتركان في ذلك، فالأول عاد إلى يافع بنيّة الدعوة ونشد العلم ولكنه لم يجد المناخ المناسب فاشتغل بزراعته ومايكف به نفسه ويعفها عن الحاجة.

والثـانى كان مقره مدينة الشحر فأخذ في نشر الدعوة والقيام بشئون مسجد بجواره وكان يلقى دروساً فيه وانتفع به من أراد الله له الانتفاع.

وممن سمعنا عنهم من علماء يافع الوطن الشيخ خالد عبيد الصانبى والشيخ مقبل يحيى العبادى وكذلك الشيخ محمد القيفى والشيخ عبد الرب العوادي ، وقد قاما بواجبهما في نشر الدعوة وكانا يتجولان في القرى ويلقيان على أهلها مايجب عليهم من أمور الدين من أحكام الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك مما تمس إليه الحاجة .

يافع في مجالات الحياة

اليافعى بطبيعة وجوده في الوطن رجل كفاح نظر إلى ضيق مساحة الأرض فهو يشتغل بالزراعة والتجارة ونجح في التجارة ولاسيما يافع العليا كما عمر الأرض فلن تجد شبراً يصلح للزراعة إلا عمرة والبادية اغلبهم يشتغلون في تربية الأنعام ومنها يكسبون لقمة العيش ومنهم من يشتغل بزراعة البن وزراعة الحبوب وترى في بطون الأودية حدائق البن وإلى جانبها المزارع الأخرى ومنها يعيشون الا ان يافع العليا اتجهوا إلى المهاجر أندونيسيا وأوروبا وأمريكا وأفريقيا ففتح الله عليهم أبواب الرزق ونبغوا في التجارة والأعمال الأخرى وعادوا إلى الوطن فمنهم الثرى الواسع الثرى ومنهم المهندس والميكانيكى وجلبوا معهم بعض العادات فكانت يافع العليا أقرب إلى الأخذ بالمدينة الحديثة ويتقنون اللغات الأجنبية نطقاً ولاسيما الأشخاص الذين يعملون في المصانع والأعمال الثقيلة واكتسب الكثير منهم خبرة في كثير من الأعمال التى زاولوها. والكلام يطول في هذا الصدد إلا أن بعضهم نقل عائلته إلى الجهة التى هاجر إليها والحق أبناءه في المدارس فتخرج العديد منهم وأكثرهم يعمل بالمهجر بمرتبات عالية.

ويجدر بي أن ألمح إلى فترات مضت على يافع الوطن وقد ساد فيها الجهل وحكموا العادات القبيلة لا الشرعية فلا ميراث للمرأة ولا قيمة لها في المجتمع والقوى يسخر الضعيف والغني لايرحم الفقير إلا ماقل في هذه الفترات المظلمة كان المناخ مناسباً للمضللين والدجالين والمشعوذين واستطاعت بعض الشخصيات المضللة ان تتسلل إلى يافع وتبذر في بعض الأوساط مبادىء القرمطة مثل علي بن المفضل وفي الأخير حسن هارون وتحكمت هذه المبادىء في نفوس ضعفاء الإيمان فأمنوا بها وقاتلوا من أجلها ولاتزال هناك بقية ثم تسللت المبادىء الشيوعية ووجدت المناخ المناسب وآمن بها ضعفاء العقول وقاتلوا لتثبيتها ولكن الله غالب على أمره فقد

بدأت بعض العقول النيرة تدرك الهوة التى وقعت فيها وبدأت تعمل للخروج منها وتتفعم القيادة الرشيدة وعندما يسخر الله لهم القائد الحكيم فستعود المياه إلى مجاريها ويعود الإسلام هو المهيمن على القلوب وماذلك على الله بعزيز.

مرّت فترات على يافع مظلمة وخطيرة حتى كاد الوطن اليافعى يكون معزولاً عن العالم وقل ان تجد عالماً جاب يافع في تلك الفترات لأسباب عدة منها :

الصراعات بين القبيلة الواحدة وبينها وبين القبائل الأخرى فالخوف هو السائد والأمن معدوم.

وكـل من حاول التسلل ليقول كلمة الدين حامت حوله الشكوك والأوهام.

الظلم هو السائد والعدل مفقود.

هذه الحالة هيأت الفرص لكل ذى مبدأ هدّام وسلّم الله يافع من المنصرين ولكن لم تسلم من غير ذلك.

ونحن نتـطلع إلى الشبـاب القوى بإيمانه المتمسك بوحدته الشاعر بمسئوليته المعتز بإسلامه ليقوم بدوره في تعليم الجاهل وإرشاد الحائر وإصلاح ماأفسده الجهل والتنقيب عن آثار آبائه وأجداده وحينئذ يتجلى التاريخ الحقيقى ليافع وأدواره في التاريخ وماذلك على شبابنا الصاعد ببعيد.

شهرة يافع بالنجدة والأقدام

لايختلف اثنان في شجاعة اليافعى منذ القدم وحيثما حلوا يفرضون وجودهم ولاتغمض أعينهم على الضيم فمنهم أهل نجده وأباء وشهامة وكرم ويقولون ان الشجاعة والكرم صنوان لايفترقان ولهم صولات في الهند وحضرموت واليمن ونسوق مثالاً على ذلك أملاه على علامة اليمن الشيخ محمد سالم البيحاني رحمه الله قال :

أراد المصعبي أن يبني حصناً في بيحان واسمه هادي بن إسحاق عندما اشتد الخلاف بينه وبين بعض القبائل وقصده من بنيانه ان يتحصن به هو وأهله ولم يستطع فاستنجد بالجهورى من يافع لمعرفة سابقه بينهم فهبوا لنجدته وبنوا له الحصن وسمى بالجهورى أى الحصن وبعد أن تم بناؤه قال له الجهورى اتركه مفتوحاً ونحن نحميه فشكر لهم حسن الصنيع وسميت القرية بحصن هادىء وبها ولد صديقنا الشيخ محمد سالم البيحانى الكدادي وفي حصن الجهورى يقول بعض الشعراء بالشعر الحميني :

بونـاصره قال أبـنـينـا الحـصـون أربـعـة
في وسـط بيحـان لوجـا للبـلا نردعـه
بالجـهـورى شيخ بالـرسـمال والمـدرعـة
شيخ الـثـلاثـة يتـشـللـن علـى درعـة

وعندما اختل الأمن في مدينة شحير وماحولها وبها كثير من آل خلاقه قال عاقلهم منادياً أمام القبائل المجاورة :

شحير من خلاقه وخلاقه من شحير، واستتب الأمن بحماية أفراد من خلاقه .

يافع والسياسة

علمتهم التجارب من خلال حل المشاكل وبراعة التصرف في حلها، فهم في الغالب عاشوا في بحر من المشاكل التى لم ينجح منها فرد ولم يخل منها زمن ولكنهم عاشوا مع عقول جبارة قادرة على حل المشاكل سواء كانت فردية أو جماعية وسواء مع قبيلة أم مع حكومة ومواقفهم مشهورة مع الأئمة في اليمن ومع الانجليز في عدن ولهم قدرة على إقناع المتخاصمين والاصلاح بينهم والأمثلة كثيرة، فالنشادي الناخبي استطاع ان يسدد مابين الحموم ويصلح أمورهم فاختاروه مرجعاً لحكام الحموم وحكمه نهائى.

والجديانى مرت السفينة بالمكلا في طريقها إلى الهند وهو الوحيد من يافع ووجد القبائل في حرب طاحنة فنزل من السفينة وطلب منهم الوجه كما هى عادة القبائل فأعطوه ذلك بإيقاف الحرب وطلب منهم التحكيم بعد ان بحث المشاكل التى بينهم فحكموه فحكم فرضي الجميع بحكمه وطلبوا منه البقاء لحل مشاكلهم مقابل شيء كانوا يفرضونه على الصيادين فقبل منهم فصارخاً كما لهم ورئيساً لا يخالفونه في أمر حتى أطاح به الكسادى وتولى السلطة من بعده.

والبريكى عندما وصل شبوه وجد قبائل المنطقة في حروب أتت على الأخضر واليابس فطلب منهم أن يحكموه بعد أن عرف الأسباب التى أدت إلى الاقتتال فحكموه واصدر حكمه الذى ارتضاه الجميع وطلبوا منه البقاء في شبوه وماحولها وفرضوا على أنفسهم وأموالهم وانعامهم ضريبة يدفعونها لهم مقابل مايقومون به من اصلاحات فصار الحاكم الذى لايرد حكمه ونزح بعضهم إلى حريضة وحكموها ثم إلى الشحر وحكموها بفضل مواهبهم السياسية والأمثلة كثيرة ونكتفى بهذه الإلمامة لتعطى بعض الضوء على ما ليافع من مهارة في الشئون السياسية.

يافع والتجارة

نظراً لضيق مساحة الأرض الصالحة للزراعة وكثرة السكان لابد من بحث عن مصادر أخرى لكسب لقمة العيش وكان الاشتغال بالتجارة هو المصدر الأول فاشتغل اليافعى في التجارة وبرهن على كفاءة قادرة على أن يزاحم في الأوساط التجارية فاشتغل البعض في عدن مع الحفاظ على التجارة في الوطن فنجحوا في عدن وأصبح لهم مركزاً ممتازاً ثم هاجر البعض إلى أندونيسيا وأمريكا وأفريقيا والهند والمملكة العربية السعودية وكونوا لأنفسهم مراكز ممتازة ولهم حسابات دقيقة وبعد نظر في المتغيرات فلا يندفعون وراء الفائدة التى مصيرها الهبوط فجأة فهم قد اكتسبوا الخبرة والعبرة بالغير فتجارتهم مستمرة ومعاملاتهم محل تقدير ويشبهون الدواعن في بعض الأمور فترى اليافعي في بدء العمل التجارى شديد المحاسبة على نفسه ويصرف على أهله بمقدار حتى يصل إلى المستوى المناسب فيوسع على نفسه وعلى أهله ولكن بدون إسراف وكلما اتسعت تجارته مد يده في سبيل المصالح العامة وساهم في المشاريع النافعة وجعل لفعل الخير نصيباً من تجارته. وفي حضرموت اشتغل منهم جماعة في التجارة ومازالوا هناك وأعمالهم التجارية مستمرة بقدر ماتسمح لهم الظروف الراهنة. وفي المملكة العربية السعودية مجموعة من يافع شقوا طريقهم وحققوا أهدافهم وبعضهم كون التجارة من المال القليل ولكن بالصبر والمثابرة وحسن التقدير واحتلوا المكان المشرف في الأوساط التجارية. وأودُّ أن أذكر اسماء البعض كمثال يعطى الصورة الحقيقية لليافعى عندما يزاول الأعمال التجارية وهم كثرة واكتفى بالأسماء الآتية :

المشائخ علي بن عبدالله العيسائي.

المشائخ عمر قاسم العيسائي.

المشائخ عبدالحي السيلانى.

المشائخ محمد عبدالحافظ بن شيهون.
المشائخ حسين عبدالحافظ بن شيهون.
المشائخ محسن عبدالخالق صلاح السعيدي.
المشائخ أمين عبدالحافظ بن صلاح.
المشائخ محسن عبدالرب الحريبي
المشائخ فضل سالم أحمد الصانبي
المشائخ عوض سالم أحمد الصانبي

هذا قل من كثر وغيرهم قد يكونون ذا مستوى تجارى لاتحضرني اسماؤهم ولكن شاهدت كثيراً من الدكاكين العامرة في الأسواق يديرها اليافعيون هذا هنا في جدة أما باقي مدن المملكة فقد يكونون بها بكثرة إلا أن معلوماتي عنهم قليلة واكتفى بهذا القدر كمثال فقط ولابد من الإشارة إلى أن يافع العليا هم الذين اشتهروا بالتجارة والصناعة وهندسة البناء والحدادة وسائر أنواع الصناعات التى تتطلبها المنطقة وذلك بفضل الأسفار والاستفادة من الأعمال التى زاولوها في المهاجر.

أما يافع بني قاصد فالتجارة فيهم محدودة وأغلبهم يشتغلون بالزراعة وغرس البن والبادية منهم يعيشون بتربية الأنعام وبعضهم التحق بالجندية بعدن ولكن المدنية الحديثة غزت يافع في الوقت الحاضر وهذا له حديث آخر.

المجتمع اليافعي

فيما مضى كان المجتمع اليافعي متماسك ومتعاون ولهم عادات المرأة سافره ولكن العفة والحياء هما شعارهما يتزاورون ويتبادلون الآراء حول أمورهم الداخلية وهم حريصون على حل مشاكلهم بأنفسهم وتعتبر القرية وسكانها كأسرة واحدة الصغير يوقر الكبير والكبير يرحم الصغير.

وفي المهجر يكون ائتلافهم أقوى بصرف النظر عن الانتماء إلى القبيلة فيكفى أن يكون يافعيا يعين بعضهم البعض ويؤهلون بالوافد ويساعدونه حتى يستطيع شق طريقه بنفسه.

المرأة اليافعية

المرأة اليافعية مثالية في عفتها واخلاصها لزوجها واعانته في شئون الحياة تقوم بتدبير المنزل وتربية الأطفال والعناية بالمواشى وتشارك زوجها في الحقل وتوفر له أسباب الراحة وتحافظ على ماله وإذا غاب تولت مسئولية البيت والمزارع وتعمل جادة لاتعرف الكسل ولا الملل ولها فن في تنويع المأكولات : فمثلا من طعام البُرّ : تنوعه إلى عدّة أنواع شهية من المعطف إلى المعشر إلى الرقاق إلى الشموط ومن الذرة العصيدة واللحوح والمجفأ والكبان إلى غير ذلك من الأنواع . والكلام عن المرأة اليافعية طويل وبالرغم من ذلك فالرجل لايراعى لها هذا الاخلاص والعمل الدؤوب إلا أن البعض الذين عادوا من المهاجر بدأوا يعرفون للمرأة فضلها وتجد كل التقدير والإحترام .

المرأة اليافعية بالنسبة لاجادتها الطبخ فهي فنية في صناعة السمن قبل أن تجد مثله في لذته وطعمه والمرأة الدوعنية تشبه اليافعية في كثير من الأمور مع فوارق العادات والمناخ والتقدم العلمي ، فالمرأة اليافعية لاتعرف القراءة ولا حتى أمور الدين بل ان بعض القبائل يرى تعلمها من العار أما الآن فقد تغيرت الأوضاع .

يافع والتعليم

كان التعليم فيما مضى مقصوراً على الكتاب ويقوم أحد المعلمين بتعليم الأطفال القرآن الكريم والخط مقابل أجرة معينة وعوائد متبعة للمدرس كانت إذ ذاك والقراءة غير مجودة وأغلب الذين يقرأون يلحنون كثيراً، إلا أن المقيمين في عدن أدخلوا أبناءهم المدارس واستفادوا منها ومنهم من قام بالتدريس في عدن والمناطق المجاورة ولهم إلمام بالعلوم وبعضهم أكب على المطالعة وكون لنفسه ثروة علمية إلا أن أغلبهم اتجه إلى المهاجر والطفل اليافعى ذكي وسريع الحفظ إذا وجد من يوجهه. وقد جربت ذلك في أبناء المشائخ الذين أتى بهم السيد حسين بن حامد المحضار إلى المكلا وعددهم ٤٩ ووكل إلى تعليمهم وفي مدى ستة أشهر حصلوا على معلومات طيبة في الفقه والتوحيد والنحو والتجويد وقراءة القرآن مجوداً ونبذة عن السيرة النبوية مع اتقان الإملاء وتحسين الخط والإنشاء وأمر السلطان عمر بن عوض القعيطى أن يقوم الشيخ صالح العامري ومحمد جابر الرشيدى بامتحان لهؤلاء الطلبة مع ٤٩ من طلاب مدرسة الفلاح وعين المكان لذلك وجرى الامتحان بسئولات مختلفة في النحو والفقه والتجويد وكانت إجابات الطلبة من يافع متميزة بالجودة والاتقان وعندما انقضت الجلسة وكان السلطان في انتظار الشيخين فأخبراه بأن أبناء يافع قد تفوقوا على طلبة مدرسة الفلاح بمراحل قد لايصل إليها طلبة مدرسة الفلاح إلا بعد أربع سنين وهذا مما يدك على ذكاء وقوة حافظة ورغبة صادقة. وقد أصيب مقادمة يافع بالدهشة لأنهم لم يتوقعوا من الطلبة ان يلموا بهذه المعلومات في مدى ستة أشهر.

الخـاتمـة

أختم هذه الصفحات اليسيرة أملاً أن يقيظ الله من يتولى كتابة التاريخ اليافعى من شبابنا الطموح وهذه المعلومات التى سجلتها لم أقصد بها كتابة تاريخ ليافع وإنما هي صالحة لتكون أساساً لذلك.

وكان بودّى أن أذكر شيئاً عن الأشخاص الذين ذكرتهم في هذه الصفحات وأن أدّون شيئاً عن بدء عملهم والمراحل التى مرت بهم في سبيل الكفاح إلى ظهورهم على مسرح الحياة التجارية ولكن هذا يرجع إليهم هم فقد أعود مرة أخرى للكتابة فلو تكرموا بإعطائي فكرة عنهم وعن الأطوار التى مرت بهم وعن المشكلات التى اعترضت سبيلهم وكيف تغلبوا عليها وأقول هذا وأنا آسف فبعضهم لم اتشرف بمعرفتهم والذين عرفتهم لم تتح لي الفرصة لأوجه إليهم بعض الأسئلة لتكون الفائدة أعم وهنا أمسك القلم راجياً أن تكون هذه الصفحات حافزاً لأبناء يافع ليهتموا بتاريخ الآباء والأجداد ومن لا تاريخ له لا حياة له والله الهادي إلى سواء السبيل.

(جدة ١ ربيع الأول سنة ١٤٠٨هـ)

عبدالله أحمد الناخبي

سلسلة نسب يافع

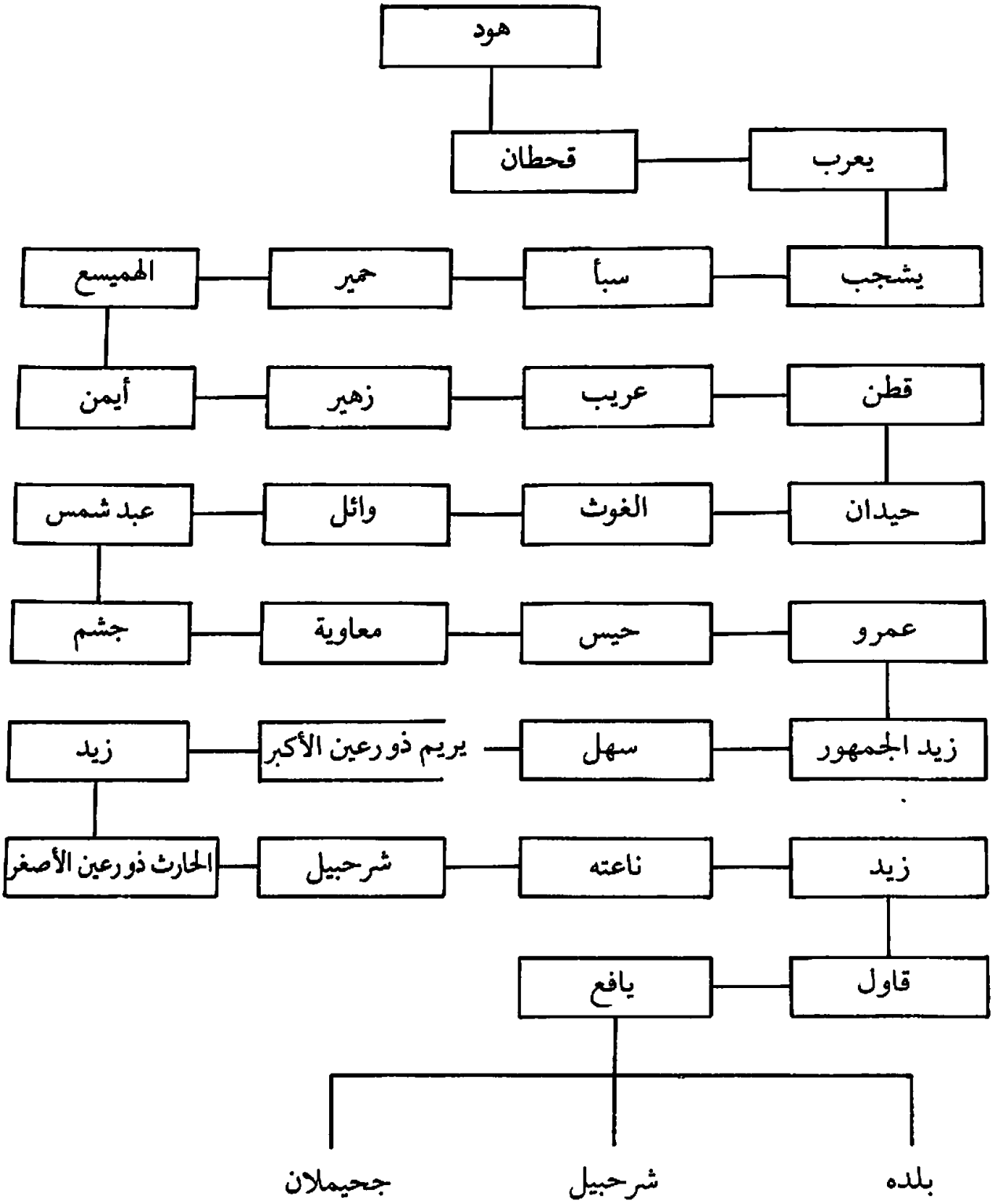

« أنين مغـترب »

نازح عن وكره مغترب يحتسي آلامه في عزلته
تصهر الآلام صدراً موجعاً وهي لاترحمه في غربته
يذكر الربع وما خلّفه من مجالات الصبا في أسرته
يذكر اليوم الذى ودّعهم كل فرد فيهمو في حيرته
غالب الدمع عيوناً طالما كانت النور له في ظلمته
احتمى في ظل أغصان رؤى وأرفات نبتت من روحته
فإذا بي أترك الربع الذي عشت فيه نازحاً عن رؤيته
إنها الأقدار شاءت هكذا لاتراعى باكياً من لوعته
حكمـــة لله لا أعـرفهـا أترى حمل القنا من حكمته
رب ثبتني فقلبي مفعم بهموم طفحت عن قدرته
أذكر الربع فتعلو حمم تتلظىٰ في سويداه مهجته
كيف أنسى ذلك اليوم الذي سكب الطفل الأسمر من نظرته
ليت شعري هل لنا من عودةٍ ونرىٰ الربع بأبهىٰ حلته
ويعود الأنس في أرجائه والصفا يبدو بأقصىٰ رقته
بين إخوان وخلانٍ لنا وشباب مخلص في وحدته
يلتقى الآباء بالأبناء علىٰ رفرف الأنس وأحلا نغمته

تمـــت

من شعر الشيخ/
عبدالله أحمد الناخبي

مراجع هذا البحث

حضرموت وعدن	لصلاح البكرى
في جنوب الجزيرة	لصلاح البكرى
في شرق اليمن يافع	لصلاح البكرى
شخصيات حضرمية	لسعيد باوزير
صفحات من التاريخ الحضرمى	لسعيد باوزير
بضائع التابوت	لابن عبيدالله
حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية	لابن هاشم
تاريخ عدن	لحمزة لقمان
معلومات مستقاه من شخصيات	
القاموس وشرحه	
تاريخ العرب القديم	للحواص وتوبا
تاريخ الصليحون	لحسين قبض الله
عقود اللال في أسانيد الرجال	لعيدروس بن عمر الحبشى
البرقه الشيقة	للسيد علي بن أبى بكر السكران
عقود الألماس في مناقب العطاس	لعلوى بن طاهر الحداد
نصف قرن من الصراع القبلى	لمحمد عبدالله بامطرف
رحلة الجرموزى	
صليل السيوف	لحبيب جاماتى

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
التاهب للسفر	١٢
ثلاثة أيام في بيت الشرفي	١٤
عدن	١٥
تاريخ عـدن	١٧
من عدن إلى يافع	١٨
في السيارة	١٩٠
ليلة السيلة البيضاء	٢٠
محوال	٢٢
المفاجأة	٢٤
ساعات الوداع	٢٦
وصف حمحمه	٢٧
الآثار	٢٩
انطباعاتى	٣٠
أين تاريخ يافع	٣٢
لماذا سموا بيافع أو بنى مالك	٣٤
وادى سلب	٣٦

الموضوع	الصفحة
الكثيري يغتنم الفرصة	١٢٠
بن بريك في أحور	١٢١
العبـــــرة	١٢٢
سلطات يافع على أهم مدن حضرموت	١٢٣
الدولة القعيطية	١٢٤
البـــدايـــــة	١٢٦
دور السادة العلويين	١٢٨
تسرع وخلاف	١٣٠
قدوم عوض بن عمر القعيطي من الهند	١٣٣
الحملة الفاشلة	١٣٤
احتلال غيل أبي وزير	١٣٥
دور الكسادى	١٣٦
خلاف خطير بين الأسرة القعيطية	١٣٨
احتلال دوعن	١٣٩
السلطان غالب بن عوض القعيطي الأول	١٤١
السلطان عمر بن عوض القعيطي	١٤٢
السلطان صالح بن غالب القعيطي	١٤٣
السلطان عوض بن صالح القعيطي	١٤٥
السلطان غالب بن عوض القعيطي الثاني وقصة نهاية الدولة القعيطية اليافعية	١٤٦
العودة من يافع	١٧٦
أرض العواذل	١٧٨
موقع بلاد العواذل	١٧٩

الموضوع	الصفحة
الزراعة	١٨٠
الطريق إلى شقره	١٨١
شقـــــره	١٨٢
مدينة جعار	١٨٣
إلى عدن	١٨٤
إلى المكلا	١٨٥
التعريف بالمكلا	١٨٦
أول من استقر بالمكلا	١٨٨
الشيخ يعقوب بن يوسف ينزل إلى المكلا	١٨٩
الجديانى بالمكلا	١٩٠
أوسمة عالية	١٩١
ملحـــق	١٩٨
أنساب يـافـع	١٩٩
تنبيـــه	٢٠٢
قاضي صنعاء واليمن بأسره	٢٠٤
وممن عرفناه من يافع	٢٠٧
يافع في مجالات الحياة	٢٠٩
شهرة يافع بالنجدة والأقدام	٢١١
يافع والسياسة	٢١٢
يافع والتجارة	٢١٣
المجتمع اليافعي	٢١٥
المرأة اليافعية	٢١٦
يافع والتعليم	٢١٧

الموضوع	الصفحة
استجابة يافع للخليفة الثانى	٣٧
التعريف بعبدالله بن أسعد اليافعى	٣٩
أبناؤه	٤٠
الشخصيات العلمية اليافعية	٤١
الشخصيات الأدبية اليافعية	٤٣
من الشعراء الشعبيين اليافعيين	٤٥
من فضليات النساء اليافعيات	٤٦
جهلنا بتاريخ يافع	٤٧
يافع والسلاطين	٤٩
الحـــدود	٥٠
يافع في لحج وعدن وفي بعض مناطق الجنوب وماحولها	٥٦
إمارة السليمانى اليافعى	٥٨
المعـــركـــة	٦٠
وقفة تأمل	٦١
متى تمركزوا فى هذه المناطق	٦٢
اهمال	٦٣
احتلال أمام اليمن ليافع	٦٤
إعلان الثورة من يافع	٦٧
أساليب أخرى ماكرة	٦٨
نجدة يافع لسلاطين حضرموت	٧٠
بعض ماقيل من الأشعار في هذه الحروب	٧١
وقفـــــة	٧٢
استـــــدراك	٧٣

الموضوع	الصفحة
نقض الصلح	٧٥
تقسيم مقاطعة يافع	٧٨
يافع العليا	٧٨
يافع السفلى	٨٠
المرأة من يافع	٨٦
هجرة يافع	٨٧
دولة آل كساد في المكلا	٩١
احتلال دوعن	٩٤
أخطاء الكسادى في التقدير	٩٥
احتلال آل كثير للشحر وطرد آل بريك منها	٩٦
أثر هذه المعركة على يافع في الهند	٩٧
القوات المشتركة	٩٨
الكسادى وبن بريك	٩٩
خلاصة وتعقيب	١٠١
الكسادى مع شعبه	١٠٣
دولة بن بريك	١٠٧
من حريضه إلى الشحر	١٠٩
تمرد ابن همام	١١١
غزو يافعى غير متوقع	١١٢
تدهور العلاقات بين الكسادى وبن بريك	١١٤
غزو الشحر من قبل الكثيري بالاتفاق مع بعض السادة العلويين	١١٦
بن بريك والكسادى يتفقان	١١٧
خلاف خطير بين آل بريك	١١٩

الموضوع	الصفحة
الخاتمـــة	٢١٨
سلسلة نسب يافع	٢١٩
أنين مغترب	٢٢٠

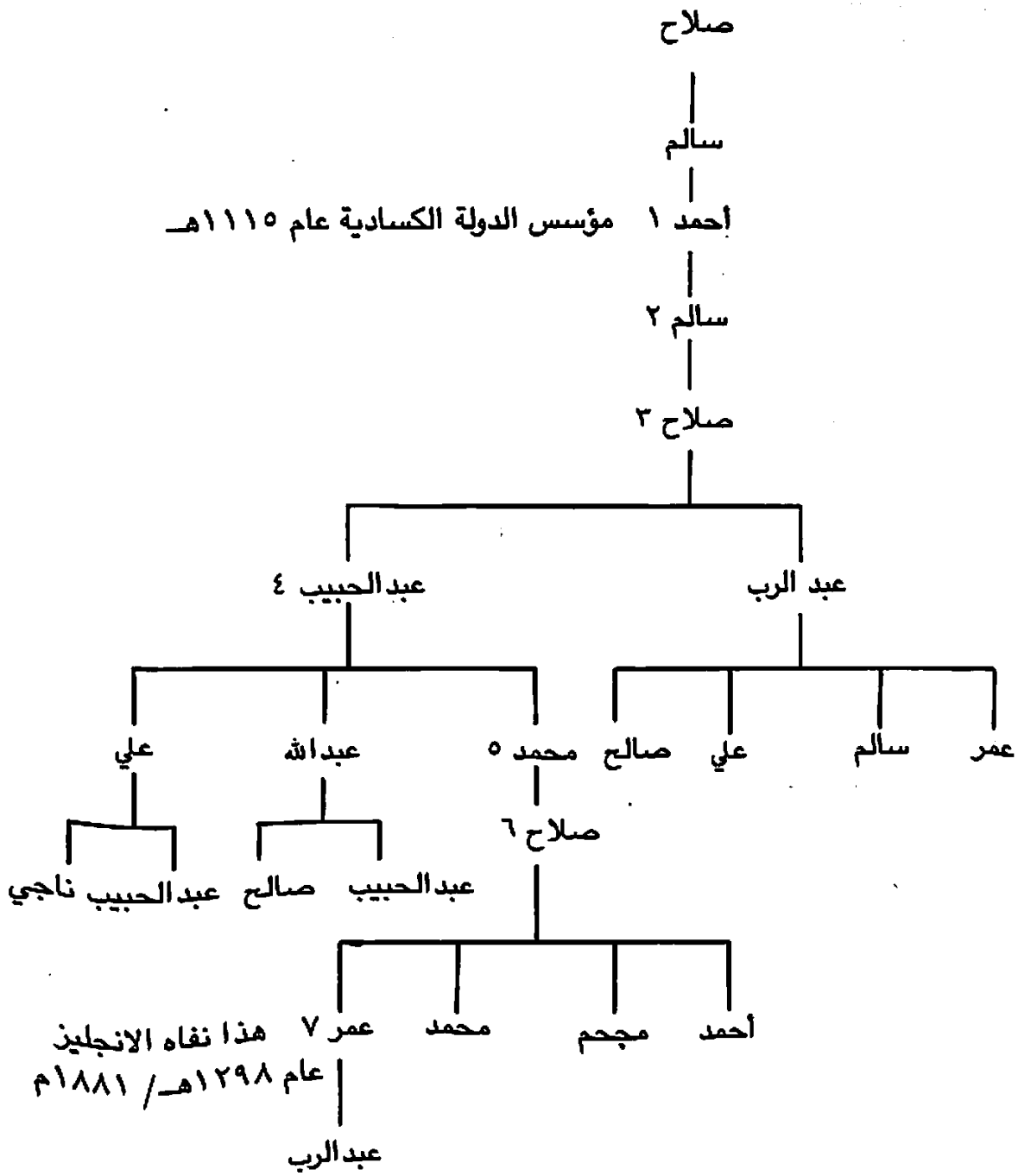
صلاح
سالم
أحمد ١ مؤسس الدولة الكسادية عام ١١١٥هـ
سالم ٢
صلاح ٣
عبد الرب
عبدالحبيب ٤
عمر
سالم
علي
صالح
محمد ٥
عبدالله
علي
صلاح ٦
عبدالحبيب
صالح
عبدالحبيب ناجي
أحمد
مجحم
محمد
عمر ٧
هذا نفاه الانجليز
عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م
عبدالرب

تصويب

ص	س	الخطأ	الصواب
٩	١١	الطبيعية	الطبيعة
٩	١٣	تحفى	تحفز
١٠	٧	التقريط	التقريض
١٢	٨	وسار	وساد
١٤	١٠	الجواد	الجوار
١٤	١٢	بعرن	بعدن
١٧	١	تاريخ عدن	اما تاريخ عدن
١٨	١٢	نقلت	نفلت
١٩	٢٠	حرا	حدا
٢٠	١٢	اثر الطريق	اثرا للطريق
٢٠	١٠	بن	به
٢١	٨	حيثما	حينما
٢٦	١٢	والوحده	والوجوه
٢٧	٦	ويزكى	ويذكى
٢٧	٦	الزلى	الربا
٢٧	٢٠	جذب	جذابا
٢٩	١٥	تصلم	تصلهم
٢٩	١٦	الزراع	الذراع
٢٩	١٧	صيعر	صيفر
٣٠	٥	الوتيره	الوثيره
٣٢	٦	قصدوا	تصدوا
٣٦	٨	فتلتقى	فتلتف
٣٧	٨	سفيان	حسان
٣٧	١١	سفيان	حسان
٣٩	٧	الوهم	المرهم
٤٠	٢	علنا	علمنا
٤٠	٧	فالقيته	فالفيته
٤٠	١٠	بذكر	يذكر
٤١	١٧	المحمدى	الاحمدى
٤٢	٢٠	مجموع	بحر
٤٢	٢٠	مااكفر	وما اكثر
٤٣	٣	القذر	النذر
٤٤	١٠	يحلمون	يحملون
٤٦	٤	الموقره	الموفده
٤٦	٨	بعد عدد	بدور
٤٦	٩	جميع	جمع
٤٧	٥	نعرضها	نعرفها
٤٩	٣	هو تنتسب	هو الذي تنتسب
٤٩	١٤	اجياد	اجبارى
٥٦	٦	التيار	التسيار
٥٧	٨	معظمة	معطمه
٦٣	٤	لاستشاره	لاستشارت
٦٤	١٤	واد	اواد
٦٦	١١	إذ وجدوا مافيه	إذ وجدوا فيه
٦٧	١٧	حالين	حالمين
٧٥	٢	اطراق	اطراف
٧٥	٨	قوة	فيه
٧٦	١٦	اسفل كلد	اسفل سيلة كلد

ص	س	الخطـــأ	الصـــواب
٧٩	٢٣	عتا	عثاره
٨٠	٢	الجرن	الجرف
٨٢	١	الحره دبى	الجردبى
٨٤	١٦	كساوى	كسادى
٨٨	٥	قال	فآل
٨٨	٢٤	اصطرو	اضطروا
٩٧	١٠	ثلج	تعج
٩٨	١٧	عاجله	عاجلت
١٠١	١٤	عبدالحى	عبدالحبيب
١٠١	١٥	عبدالحى	عبدالحبيب
١٠١	١٦	عبدالحى	عبدالحبيب
١٠١	١٨	عبدالحى	عبدالحبيب
١٠١	٢١	عبدالحى	عبدالحبيب
١٠٣	١٩	مرئيات	مرتبات
١٠٤	٧	العلائات	العائلات
١٠٥	١٥	القفان	القبان
١٠٥	٢٣	شن	شىء
١٠٧	١٤	بعض	البعض
١٠٩	١٦	على	ناجى
١١٠	١٠	عادا	عارا
١١٠	١١	بلدتهم	جلدتهم
١١٠	٢٤	اى الزمن	في الأمن
١١٤	٩	عبدالحى	عبدالحبيب
١١٧	٤	مشارق	مشارف
١٨٧	٩	بانح	باغ
١٨٨	١١	مسند بن	مستندين
١٩٠	٨	فاله	فلله
١٩٠	١١	واعال	واعمال

ص	س	الخطـــأ	الصـــواب
١١٧	٧	عبدالحى	عبدالحبيب
١١٨	٣	الادباء	الادبار
١٢٠	١٢	واكفريه	واكثريه
١٣٢	٧	وبعون	وبعوث
١٣٣	٧	ارخى	آخر
١٣٤	٣	سلطه	سلطنة
١٣٧	٥	والجد	وابحر
١٣٨	٣	قاما	قام
١٣٨	٧	لاى	لأى
١٣٨	٨	الاميرين	الأميران
١٤٠	٥	التناصر	التناحر
١٤١	٤	والساده العلويين	ويحترم السادة العلويين وقصده اغلب السادات
١٤٣	١١	والحدث	والحديثة
١٤٣	١٣	عليه	علميه
١٧٩	٥	الكود	الكور
١٧٩	٥	جبال سلسلة	سلسلة جبال الكور
١٧٩	٧	الكود	الكور
١٨٣	٧	الى	من
١٨٣	١٧	خلف	تخلف
١٨٤	٢	متجمعين	متجهين
١٨٦	٥	فانها	فانك
١٨٦	٢٠	الجيش	الحبش
١٨٧	٥	بكزيبور	باكزيبور

ص	س	الخطـا	الصـواب
١٩١	٧	سرو وحمير	سرو حمير
٢٠٠	١٠	لبنىللاهجور	لبنى الاهجور
٢٠٤	٧	واخرا	زاخر
٢٠٦	٨	مفتوحاً	مفتوح
٢٠٨	١٦	القبيله	القبليه
٢١١	٣	فمنهم	فهم
٢١٢	٣	ينح	ينج
٢١٣	٢٠	المشاخ	الشيخ
		المشائخ	الشيخ
		المشائخ	الشيخ
		المشائخ	الشيخ
		المشائخ	الشيخ
		المشائخ	الشيخ
		المشائخ	الشيخ

ص	س	الخطـا	الصـواب
٢١٥	٣	شعارهما	شعارها
٢٢٠	٣	موجعا	موجعاً
٢٢٠	١٠	الغنا	العنا
٢٢٠	١٢	سويدان	سويداء
٢٢٠	١٣	الاسمر	الاسى
٢٢١	١٧	محمد عبدالله	محمد عبدالقادر

مؤلف هذه الرحلة هو

عبدالله بن أحمد بن محسن بن عبدالله بن عوض بن أحمد بن صالح بن علي بن ناجي بن عبدالله الناخبي من مواليد يافع بلدة حمحمة رحل مع والده إلى حضرموت وسنه ٧ سنوات وأخذ جانبا من العلوم الدينية والعربية في تباله على شيخه العلامة سالم بن مبارك بن عبدالرحمن الكلالى وكان في نفس الوقت جنديا يقوم بدوره في واجبات الجندية وفي عام ١٣٣٩ رحل إلى المكلا وبدأ حياته به إماما في مسجد يلقى دروساً دينية به وقام بتعليم طائفة من الطلبة ثم مدرساً في مدرسة الفلاح في المدرسة الوطنية ثم المدرسة السلطانية ثم مفتشاً عاما في المعارف ثم نائبا عن مدير المعارف وعضوا في مجلس الدولة ويشترك في عدد من اللجان كالخيرية والمعارف والدينية وغيرها وتولى الخطابه بمسجد عمر واستمر حوالى ٣٥ عاما ثم احيل إلى المعاش وهو الآن يقوم بنفس العمل الذى بدأه إماما بمسجد بازرعة يلقى دروساً دينية في ثلاثة أوقات.

من مواليد ١٣٢٣هـ ومكث في تباله جنديا وفي التعليم حوالي سبع سنين ونصف.

طبعت بمطابع شركة دار الأهرام للطباعة والنشر
ص.ب ٤٩٩ هـ ٢١٧٧ ت ٢٧٧١ القاهرة الجزيرة